ISSN:2707-8183
ISSN:2707-8191

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية

INTERNATIONAL JOURNAL OF HISTORICAL AND SOCIAL STUDIES

العدد 17
اب أغسطس 2021

HISTORICAL.MAGAZINE2015@GMAIL.COM
WWW.INT-HISTORIANS.COM

هيئة التحرير واللجنة العلمية الاستشارية

رئيس التحرير
الاستاذ الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني

نائب رئيس التحرير
الدكتور عثمان برهومي / تاريخ / تونس

مديرة التحرير
الدكتورة وفاء سمير نعيم /اجتماع / مصر

الهيئة العلمية الاستشارية

الأستاذ الدكتور ناهدة حسين علي الاسدي / تاريخ / العراق
الأستاذ الدكتورة جنان عبدالجليل هموندي / تاريخ / العراق
الأستاذ الدكتور ميلاد مفتاح الحراثي / علوم سياسية / ليبيا
الأستاذ الدكتور حاجي دوران / اجتماع / تركيا
الأستاذ الدكتور حسين جبار شكر / تاريخ / العراق
الأستاذ الدكتور محمد سالم الطراونة / تاريخ / جامعة السلطان قابوس
الأستاذ الدكتور علي علام / تاريخ / المغرب
الدكتور لحسن اوري / تاريخ / المغرب

التصميم الداخلي للصفحات وغلاف المجلة

م. آثار حيدر عباس جاسم الداوودي

السياسات والقواعد والاجراءات

ترحب المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية البحوث العلمية المكتوبة وفقا للمعايير العلمية في اي من الحقول الدراسات التاريخية او العلوم المساعدة ذات العلاقة ويشمل ذلك كل العلوم نظرا لطبيعة التاريخ كعلم يتناول النشاطات الانسانية كافة مع مراعاة عدم تعارض الاعمال العلمية المقدمة للنشر مع العقائد السماوية، والا تتخذ ايه صفة سياسية والا تتعارض مع الاعراف والاخلاق الحميدة، وان تتسم بالجدة والأصالة والموضوعية وتكتب بلغه سليمه واسلوب واضح.

سياسات النشر

تسعى المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية الى استيعاب رو افد كل الافكاروالثقافات ذات البعد التاريخي ويسعدها ان تستقبل مساهمات الافاضل ضمن اقسام الدورية البحوث والدراسات عروض الكتب عروض الاطاريح الجامعية وتقارير اللقاءات العلمية.

هيئه التحرير

تعطي هيئة التحرير الأولوية في النشر والعروض والتقارير حسب الأسبقية الزمنية الواردة للمجلة، ووفقا لاعتبارات علمية و فنية تراها هيئه التحرير.

وتقوم هيئه التحريربالقراءة الأولية للبحوث العلمية المقدمة للنشربالمجلة للتأكد من تو افرمقومات البحث العلمي وتخضع البحوث والدراسات والمقالات بعد ذلك للتحكيم العلمي والمراجعة اللغوية.

يحق لهيئة التحرير اجراء التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشرلتكن وفق المعيارتنسيق النص في عمودين مع مراعاة تو افق حجم ونوع الخط مع نسخه المقال المعياري.

هيئه التحكيم

يعتمد قرار قبول البحوث المقدمة للنشر على توصيه هيئه التحرير والمحكمين، اذ تجري عملية التحكيم السري للأبحاث المقدمة وفقا لاستمارة خاصة بذلك.

يستند المحكمون في قراراتهم في تحكيم البحث الى المدى ارتباط البحث بحقل المعرفة والقيمة العلمية لنتائجه ومدى اصاله افكار البحث وموضوعيه ودقه الادبيات المرتبطة بموضوع البحث وشمولها، فضلا عن سلامه المنهج العلمي المستخدم في الدراسة ومدى ملاءمة البيانات والنتائج النهائية لفرضيات البحث وسلامه تنظيم اسلوب العرض من حيث صياغة الافكار ولغة البحث وجوده الجداول والاشكال والصور ووضوحها.

البحوث والدراسات التي يقترح المحكمون اجراء تعديلات جذريه عليها تعادل الى اصحابها لأجرائها في موعد اقصاه اسبوعين من تاريخ ارسال التعديلات المقترحة الى المؤلف اما اذا كنت التعديلات طفيفة فتقوم هيئه التحريربإجرائها.

تبذل هيئه التحرير الجهد اللازم لإتمام عمليه التحكيم من متابعه اجراءات التعديل والتحقق من استيفاء التصويبات والتعديلات المطلوبة حتى التوصل الى قراربشأن كل بحث مقدم من قبل النشربحيث يتم اختصارالوقت الازم لذلك الى أدني ممكن.

في حاله عدم مناسبه البحث للنشرتقوم الدورية بأخطارالباحث بذلك، اما بالنسبة للبحوث المقبولة والتي اجتازت التحكيم وفق الضوابط العلمية المتعارف عليها واستوفت قواعد وشروط النشر بالمجلة فيمنح كل باحث افاده بقبول بحثه للنشر.

البحوث والدراسات العلمية

تقبل الاعمال العلمية المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية التي لم يسبق نشرها وتقديمها للنشرفي مجله الكترونيه او مطبوعة اخرى.

يجب ان يتسم البحث العلمي بالجودة والأصالة في موضوعه ومنهجه وعرضه متو افقا مع عنو انه.

التزام الكتاب بالأمانة العلمية في نقل المعلومات و اقتباس الافكاروعزوها لأصحابها وتوثيقها بالطرق العلمية المتعارف عليها.

اعتماد الاصول العلمية في اعداد وكتابه البحث من توثيق وهوامش ومصادر ومراجع مع الالتزام بعلاقات الترقيم المتنوعة.

اعطاء مساحة واسعة للتحليل والاستنباط والقراءات الفكرية والتوقعات المستقبلية بالنسبة للموضوعات التي تأخذ بعدا تاريخيا سياسيا.

ارشادات المؤلفين (الاشتراطات الشكلية والمنهجية)

ينبغي الا يزيد حجم البحث على ثلاثين 30 صفحه ولا يقل عن 12 صفحة حجم A4 ،مع الالتزام بالقواعد المتعارف عليها عالميا بشكل البحوث بحيث يكون المحتوى حسب التسلسل ملخص مقدمه موضوع البحث خاتمه ملاحق الاشكال الجداول الهوامش المراجع.

عنوان البحث

يجب ان لا يتجاوز عنوان البحث عشرين 20 كلمه وان يتناسب مع مضمون البحث ويدل عليه او يتضمن الاستنساخ الرئيسي.

نبذه عن المؤلف والمؤلفين

يقدم مع البحث نبذه عن كل مؤلف في حدود 50 كلمه تبين اخر درجة علمية حصل عليها واسم الجامعة والكلية والقسم التي حصل منها على الدرجة العلمية والسنة والوظيفة الحالية والمؤسسة او الجهة او الجامعة التي يعمل لديها والمجالات الرئيسية لاهتماماته البحثية مع توضيح عنوان المراسلة العنوان البريدي وارقام التليفون الموبايل الجوال والفاكس.

صورشخصية

ترسل صوره واضحة لشخص الكاتب لنشرها مع .

ملخص البحث

يجب تقديم ملخص باللغة الانكليزية للبحوث والدراسات باللغة العربية في حدود 100 الى 150 كلمة، اما البحوث والدراسات باللغة الإنجليزية يرفق معها ملخص باللغة العربية في حدود 150 الى 200 كلمة.

الكلمات المفتاحية

الكلمات التي تستخدم للفهرسة لا تتجاوزعشره كلمات يختاره الباحث بما يتواكب مع مضمون البحث وفي حاله عدم ذكرها تقوم هيئه التحرير باختيارها عند فهرسة المقال وادراجه في قواعد البيانات بغرض ظهور البحث اثناء عملية البحث والاسترجاع على شبكه الانترنيت.

مجال البحث

الإشارة الى مجال تخصص البحث المرسل العام والدقيق.

المقدمة

تضمن المقدمة بوضوح دواعي اجراء البحث والهدف وتساؤلات وفرضيات البحث مع ذكر الدراسات السابقة ذات العلاقة.

موضوع البحث

يراعي ان تتم كتابة البحث بلغة سليمه واضحه مركزة، وبأسلوب علمي حيادي وينبغي ان تكون الطرق البحثية والمنهجية المستخدمة واضحه وملائمه لتحقيق الهدف وتتوفر فيها الدقة العلمية مع مراعاه المناقشة والتحليل الموضوعي الهادف في ضوء المعلومات المتوفرة بعيدا عن الحشو تكرار السرد.

الجداول والاشكال

ينبغي ترقيم كل جدول شكل مع ذكرعنوان يدل على فحواه والإشارة اليه في متن البحث على ان يدرج في الملاحق ويمكن وضع الجداول في متن البحث اذا دعت الضرورة الى ذلك.. وبالنظر الى ان المجلة في الجانب الفني تنظم على عمودين لذا نرجو من الباحثين تنظيم الجداول والرسوم بما يتناسب ذلك او وضعها كمرفقات في نهاية البحث.

خاتمة البحث

تحتوي على عرض موضوعي للنتائج والتوصيات الناتجة عن محتوى البحث على ان تكون موجزه بشكل واضح ولا تأتي مكرره لما سبق ان تناوله الباحث في اجزاء سابقه من موضوع البحث .

الهوامش

- تنظم الهوامش بطريقة الكترونية ويكون الهامش بتسلسل اسفل كل صفحة بالنسبة لدليل شيكاغو. ووفقا للالية المعتمدة في اسلوب APA.
- تعتمد المجلة في تنظيم الهوامش اسلوبين الاول دليل شيكاغو والثاني APA)).حجم ونوع الحروف,
- مراعاة التنظيم الالكتروني والفني للبحث وفق ما يلي:

نوع الحرف المطلوب sakkal Majalla وبحجم 20 بخط عريض للعنوان وحجم 18 عادي للمتن وحجم 14 عادي للهوامش، وتكون هوامش الصفحة من جميع الجهات 2 سم.

عروض الكتب

- تنشر المجلة المراجعات التقييمية للكتب العربية والأجنبية حديثه النشر.
- يجب ان يعالج الكتاب احدى القضايا او المجالات التاريخية المتعددة ويشتمل على اضافه علميه جديده.
- يعرض الكتاب ملخصا و افيا لمحتويات الكتاب مع بيان اهم اوجه التميز واوجه القصور و ابراز بيانات الكاتب كامله في اول عرض اسم المؤلف المحقق المترجم الطبعة الناشر مكان النشر سنه النشر السلسلة عدد الصفحات .
- الا تزيد عدد الصفحات العرض عن ستة صفحات.

عروض الاطاريح الجامعية

- تنشر الدورية عروض الاطاريح الجامعية رسائل الدكتوراه والماجستير التي تم اجازتها بالفعل ويراعي في الموضوعات المعروضة ان تكون حديثه وتمثل اضافة علمية جديدة في احدى حقول الدراسات التاريخية والعلوم ذات العلاقة. وخاصة التي تعالج موضوعات فكرية تاريخية تسهم في وضع اطار نظري لمدرسة تاريخية جديدة.
- ابراز البينات كما وردت في اول العرض اسم الباحث اسم المشرف الكلية الجامعة الدولة سنه الإجازة.
- ان يشمل العرض على مقدمة لبيان اهمية موضوع البحث مع ملخص لمشكلة موضوع البحث وكيفية تحديدها.

- ملخص لمنهج البحث وفروضه وعينته وادو اته وخاتمة لاهم ما توصل اليه الباحث من نتائج.
- ولا تزيد عدد صفحات عرض الاطروحة او الرسالة عن 8 صفحات.

تقارير اللقاءات التعليمية

- ترحب المجلة بنشر التقارير العلمية عن الندوات والمؤتمرات والحلقات النقاشية سينمار الحديثة الانعقاد والتي تتصل موضوعاتها بالدراسات التاريخية والاجتماعية والانسانية.
- يشترط ان يغطي التقرير فعاليات اللقاء نوه مؤتمر ورشه عمل سينمار مركزا على الابحاث العلمية واوراق العمل المقدمة ونتائجها واهم التوصيات التي يتوصل الها اللقاء.
- لا تزيد عد صفحات التقرير عن 6 صفحات.

قواعد عامة

ترسل كافه الاعمال المطلوبة للنشر بصيغه وورد, ولا يلتفت الى اي صيغ اخرى .

المساهمون للمرة الاولى من اعضاء هيئه التدريس بالجامعات يرسلون اعمالهم مصحوبة بسيرهم العلمية وفقا أحدث نموذج مع صورة شخصية واضحة.

ترتيب الابحاث عند نشرها في المجلة وفق اعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث او قيمة البحث.

حقوق المؤلف

- المؤلف مسئول مسئوليه كامله عما يقدمه للنشر بالمجلة وعن توفر الأمانة العلمية به سواء لموضوعه اولمحتواه ولكل ما يرد بنصه وفي الاشارة الى المراجع ومصادر المعلومات.
- جميع الآراء والافكاروالمعلومات الواردة بالبحث تعبرعن راي أحد غيره وليس للمجلة اوهيئة التحرير ايه مسئوليه في ذلك.
- ترسل المجلة لكل صاحب بحث منشورنسخة الكترونية متكاملة للعدد الصادر.
- يحق للكاتب اعاده نشر البحث بصوره ورقيه او الكترونيه بعد نشره في المجلة دون الرجوع لهيئة التحريرويحق للمجلة اعاده نشر المقالات والبحوث بصوره ورقية لغايات غيرربحية دون الرجوع للكاتب.
- يحق للمجلة اعاده نشر البحث المقبول منفصلا او ضمن مجموعه من المساهمات العلمية الاخرى بلغتها الأصلية او مترجمة الى ايه لغة اخرى وذلك بصوره الكترونيه اوورقية لغايات غيرربحيه.
- لا تدفع المجلة ايه مكافئات ماليه عما تقبله للنشر فيها وبعد ما ينشر فيها اسهاما معنويا من الكتاب في اثراء المحتوى الرقمي العربي.

الاصدارات والتوزيع

- تصدر المجلة الدولية للدراسات التاريخية بشكل دوري فصلي، ومن الممكن ان تصدر شهريا وفقا للابحاث المقدمة والملفات العلمية.
- المجلة متاحة للقراءة والتحميل عبر موقعها الالكتروني على شبكه الانترنيت.
- ترسل الاعداد الجديدة الى كتاب المجلة على بريدهم الالكتروني الخاص.
- يتم الاعلان عن صدور الدورية عبر المو اقع المتخصصة والمجموعات البريدية والشبكات الاجتماعية.

المراسلات

ترسل الاعمال المطلوبة للنشر الى رئيس التحرير

historical.magazine2015@gmail.com

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية
International Journal of Historical and Social Studies
IJHSS

المؤرخ وتوقع أمور المستقبل

محاولة في التنظير وإعادة البعث والتأصيل في ضوء تجارب الأمم، ووقائع العمران البشري

الدكتور عبدالمجيد النوري

تشكل علاقة المؤرخ بتوقع ما ينتظر حدوثه من أمور في المستقبل، إحدى القضايا الفكرية التي تستحق من قبل أهل التاريخ بالأساس، سيما في زمننا هذا، مزيدا من العناية والاهتمام. بقصد إعادة البعث والاحياء ورد الاعتبار، على أمل، بل ورهان النضج والهيكلة والاستقلال العلمي في المستقبل. ذلك؛ لما يترتب عنها من فوائد كبرى، سواء تعلق الأمر بما يهم الأفراد والمجتمعات والدول أم الحضارات والأمم. ولا مندوحة أن المسيرة التاريخية لهذه العلاقة الأصيلة في الوجدان والتراث الفكري الإسلاميين بشكل عام، وفي علم التاريخ على نحو خاص، كبا بها الفرس في فترات تاريخية معينة. إذ بقدر ما تعرضت للإهمال منذ منتصف القرن الخامس الهجري، بقدر ما لبثت أن دخلت مقابر شبه النسيان بالعالم الإسلامي، بعد الصحوة النسبية التي عرفتها فيما بين أواخر القرن الثامن وأواسط القرن التاسع الهجريين.

والحال، أن علم التاريخ يعتبر من أجل العلوم التي لا ينبغي أن يغفل عنها الخاص والعام على مر الأزمان، سيما أهل الحكم والسلطان. لما فيه من الفوائد والعبر، خصوصا ما يتعلق منها بامتلاك قدرات الفطنة[1] لمستجدات وقائع العمران، ومعرفة ما يجب القيام به من أدوار إن في الحاضر أو المستقبل. ولاريب أن هذه الفوائد الكبرى، التي نحسبها من المهام الضروري للمؤرخ، بغية الرقي بذاته ومجتمعه وعمله. ومن ثم، أمته وحضارته، تفتح باب نقاش جوهري آني، حول تخصص علمي دقيق وجليل. تماما مثلما هو أصيل في عمل القدامى من أهل التاريخ، رغم أن موضوعه يدرج في الوقت الراهن، ضمن ما يصطلح عليه ب:"علم المستقبليات". ذلك؛ لأن إشكاله الأساس يدور حول علاقة المؤرخ بأمور وأدوار المستقبل. كذا حول موضوعات العمل، ومناهج الاشتغال، التي تساعده على أداء وظائفه العلمية بجودة عالية، لتحقيق مقاصده ورهاناته المرجوة.

ولكي تحقق هذه الورقة مقاصدها ضمن هذا الملتقى العلمي الذي يدور موضوعه حول "التاريخ وصناعة المستقبل"، سأحاول أن أقارب بعض القضايا المرتبطة بالإشكال الأساس السالف الذكر، ونقترح من بين ذلك ما يلي:

. التاريخ والمستقبل: مقاربة مفاهيمية لبعض المصطلحات المهيكلة للورقة العلمية.

. علاقة التاريخ بالمستقبل: أصالة الفكرة موضوع العمل ومناهج الاشتغال.

---

[1] الفطنة والفطانة : قوة استعداد الذهن للإدراك ما يرد عليه في حذق ومهارة وقدرة على تبين الأمر وعلمه. (فخر الدين الرازي، الفراسة دليلك إلى معرفة أخلاق الناس وطبائعهم وكأنهم كتاب مفتوح، تحقيق، مصطفى عاشور، مكتبة القرآن، القاهرة، 1407هـ.1987م، هامش رقم 4، ص. 56)

I. التاريخ والمستقبل: مقاربة مفاهيمية للمصطلحات المهيكلة للورقة العلمية.

1. مفهومي المؤرخ والتاريخ

تعنى هذه الورقة في بدايتها بمحاولة إعطاء مقاربة مفاهيمية أولية لبعض المصطلحات الأساس المهيكلة لمادتها العلمية. ذلك؛ لأن المصطلحات مفاتيح العلوم من ناحية، ولأننا نفتقد للأسف مدرسة علمية متخصصة في دراسة المصطلحات التاريخية بالعالم الإسلامي من ناحية أخرى. ويأتي في مقدمة هذه المصطلحات مفردتي "المؤرخ" و"التاريخ".

أما المؤرخ، فجمعه مؤرخون، وهم "أهل التاريخ"[1]

حسب أبو راس الناصر المعسكري. وجدير بالإشارة أننا نتبنى ههنا دلالة هذا المفهوم العام. سيما وأنه جاء على لسان أحد المؤرخين. ولا جرم أن معناه سيزداد وضوحا في ضوء ما قدمه بعض القدامى والمحدثين من المؤرخين، من معاني ودلالات لمصطلح التاريخ. تماما مثلما تتضح مقاربتنا الذاتية له في ضوء المعنى الذي حددناه لهذا المصطلح الأخير. وقد عرفته في دراسة سابقة[2] . مصطلح التاريخ . بكونه " علم استرجاع ماضي الإنسان، وما عرض له فيه من الأحوال، بقصد التأمل والنظر، لاستخلاص العبر، وتقديم الآراء والأفكار، بهدف تحقيق الرخاء والرفاه في زمن الاستقرار، ثم اقتراح الحلول خلال الأزمات والمحن، حسب مقتضيات الظروف والأحوال، سيما بعد معرفة قوانين تكرار واقعات العمران البشري، وتشابه أحداثه في الشدة والرخاء". وهكذا، فكل من يتولى أمر هذا العمل الجليل، ندرجه من وجهة نظرنا في زمرة المؤرخين الذين تتعدد مهامهم العظام بتعدد توجهاتهم واختياراتهم. وجدير بالقول، إن هذا الاجتهاد الذاتي مستخلص من حصاد ما اطلعنا عليه من أفكار في كتابات بعض المؤرخين.

---

[1] أبو راس الناصر المعسكري، زهر الشماريخ في علم التاريخ، تنسيق، بن عمر حمدادو، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران الجزائر، 2016م، ص 26

[2] . عبد المجيد النوري، التاريخ وعلم الاقتصاد، مساهمة في قراءة الظواهر التاريخية لضبط بعض قوانين زوال الحضارات والدول". ورقة عمل منشورة ضمن كتاب جماعي بعنوان: "التاريخ حقيبة العلوم: وقائع المؤتمر الدولي التاريخ حقيبة العلوم". وهو مؤتمر دولي عقده الاتحاد الدولي للمؤرخين بالتعاون مع جامعة سليمان الدولية بتركيا، وبمشاركة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وجامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس . بالمغرب، وكلية التربية جامعة سامراء بالعراق تركيا (انطاليا) 3 . 9 نيسان أبريل 2020، المجلد الثاني، إعداد وتنسيق الدكتورة، وفاء سمير نعيم، الطبعة الأولى، مطبعة وراقة الليدو، فاس، يوليوز، 2020، ص. 322 . 323

ولا ضير أن نغنيه بمزيد من ذلك، انسجاما مع أغراض هذا البحث ورهاناته. وعليه، لا جدال في القول إن مصطلح التاريخ مشتق من "الأرخ[1]. كما أنه "مقبول عند الانام، لأنه مشتمل على فكر وعبر، ولولاه لم يصل إلينا لا خبر ولا أثر، إذ هو خزينة أخبار الناس والرجال"[2]

وحسبك، كون موضوعه يدور عند القدامى حول "الإنسان والزمان"[3]، والبحث في أحواله"[4]. كما يتمحور حسب أحد المعاصرين حول "إنجازات الإنسان في المكان عبر الزمن"[5]. لذلك نشاطر ابن خلدون الرأي، إذ اعتبر علم التاريخ "خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال"[6]. سيما وأنه خصه "بذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل. بينما اعتبر ذكر الأحوال العامة للآفاق والأجيال والأعصار أسا للمؤرخ، تنبني عليه مقاصده، وتتبين به أخباره"[7].

وعليه، فإذ كان من أغراض علم التاريخ وفوائده، "الوقوف على الأحوال الماضية، وأخذ العبرة منها، والتنصح بها، وحصول ملكة التجارب، بالوقوف على تقلبات الزمن"[8]، فإن من مقاصده ورهاناته الكبرى، الاستفادة منها فيما "يستقبله أهل كل زمن من أمور"[9]، توقعا وتدبيرا، سواء "بجلب المنافع و دفع المضار"[10]، أو معرفة ما يجب القيام به في المستقبل من أدوار"[11]. ومن هنا يتبين أن مسألة "أمور المستقبل"، أو ما يسمى في زمننا

---

[1]. أبو راس الناصر المعسكري، زهر الشماريخ في علم التاريخ، ص 26

[2]. محيي الدين الكافيجي، المختصر في علم التاريخ، تحقيق، محمد كمال الدين عز الدين، ط، 1، عالم الكتب، 1410هـ. 1990م، ص. 17

[3]. محمد بن عبد الرحمان السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، تحقيق فرانزروزنتال** ، ترجمة، صالح أحمد العلي، دار الكتب العلمية، ص. 17

[4]. محيي الدين الكافيجي، المختصر في علم التاريخ، ص. 55

[5]. محمود إسماعيل، فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية، ط، 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988م، ص. 12

[6]. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ، ج، 1، حقق نصوصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه، عبد الله محمد الدرويش، ط، 1، 2004م، ص. 125

[7]. ابن خلدون مقدمة، ج، 1، ص. 120

[8]. حاجي خليفة كشف الظنون، نقلا عن أبي علي أحمد مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق، سيد كسروي حسن، حسن، ج، 1، ط، 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2003، ص. 18

[9]. مسكويه، تجارب الأمم، ج، 1، ص. 60

[10]. حاجي خليفة كشف الظنون، نقلا عن مسكويه، تجارب الأمم ، ج 1، ص. 18

[11]. رشيد الدين فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ، تاريخ المغول، المجلد الثاني، الجزء الأول، الإيلخانيون، تاريخ هولاكو مع مقدمة رشيد الدين، نقاه إلى العربية محمد صادق نشأت وفؤاد عبد المعطي الصياد ومحمد موسى هنداوى، راجعه، يحيى

هذا، بالدراسات المستقبلية، تعتبر من المهام الكبرى الأصيلة في عمل المؤرخين بالعالم الإسلامي، كما سنفصل في ذلك لاحقا.

ذلك؛ لأنهم كانوا يدركون أن علم التاريخ يبحث في "وقائع العمران والزمان"[1]، أي في الظواهر التاريخية، ما دامت أموره" يتكرر مثلها وينتظر حدوث شبهها وشكلها"[2]، ومعلوم أن من سمات الظاهرة التكرار. تماما مثلما كانوا يدركون أن هذا التكرار محكوم بضوابط، أي بقوانين وسنن. على أساس أن "أمور الدنيا متشابهة، واحوالها متناسبة"[3]، حسب مسكويه على سبيل المثال. ولا مبالغة في القول إن هذا الأخير، أصل لعلم المستقبليات في العالم الإسلامي، منذ القرن الرابع الهجري، بأسلوب مخالف لغيره من المؤرخين.

والحال، أنه ذكر في مقدمة كتابه "تجارب الأمم" ما لا يترك مجالا للشك في ذلك. سيما ما يتعلق منه بالفطنة لما ينتظر حدوث من أمور في المستقبل. إذ يستطيع المهتم بعلم التاريخ حسب رأيه" أن يعرفها قبل وقوعها، بل ويستقبلها استقبال الخبر"[4]. والحقيقة أن الكلام صريح وواضح بخصوص علاقة هذا المؤرخ بأمور المستقبل. وقد ختم على ذلك بطابع خاص لا يترك مجالا للريب في ذلك، عندما حدد أسباب عدم تعرضه لذكر معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، في كون "أهل زمنه لا يستفيدون . حسب زعمه . منها تجربة فيما يستقبلونه"[5].

. صفوة القول، نرجو أن تكون اتضحت في ضوء ما سبق، بحكم ما يسمح به حجم الورقة، بعض معاني ومقاصد مصطلحي التاريخ والمؤرخ، لأن الأول "مصدر الثاني"[6]. تماما مثلما نرجو أن تكون تبينت بعض المهام والميزات التي تحدد صفة وهوية هذا الأخير في بلاد الإسلام منذ زمن بعيد. ومنها صلته الضرورية بالأمور المستقبلية. ولا غرو أن هذه الصلة، اعتراها بعض الإهمال والفتور في مراحل معينة. لذلك تراهن هذه الورقة، سيما في زمننا هذا، على إعادة بعث وتأصيل وتقوية وتجديد هذه الصلة التي نعتبرها ضرورية، بين أهل التاريخ، وبين الفطنة لأمور المستقبل، بمحاولة توقعها قبل حدوثها، من خلال رصد وقائع العمران .

الخشاب، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، الإدارة العامة للثقافة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه. ص 210.

[1]. السخاوي، الإعلان بالتوبيخ ، صص. 18. 19

[2]. مسكويه، تجارب الأمم ، ص. 59

[3]. مسكويه، تجارب الأمم، ص. 59

[4]. مسكويه، تجارب الأمم، ص. 59

[5]. مسكويه، تجارب الأمم، ص. 60

[6]. التهناوي، نقلا عن سيد كسروي حسن، تقديم، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، لأبي علي أحمد مسكويه، ج، 1، ، ص. 11

الظواهر الاجتماعية . و تجارب الأمم، وتتبعهما بالمطالعة والدراسة والتصحيح والتفسير والتحليل والنقد... والتأويل.

ولأجل ذلك، نأمل من الآن فصاعدا من كل مؤرخ أو مهتم بالتاريخ، أن يضع في حسبانه أثناء "مطالعته لأخبار الماضين وحوادث المتقدمين[1]، محاولة استيعابها فكريا، وتقمصها وجدانيا، بهدف استخلاص العبر، لفهم مجريات الحاضر، والفطنة لما ينتظر حدوثه من أمور في المستقبل. كذا ضبط قوانين تكرار واقعات العمران، لمعرفة ما يجب القيام به من أدوار، من أجل "سداد الأمور وصلاح أحوال الجمهور" بتعبير تقي الدين المقريزي[2]. ولا جرم أن هذا عين الفطنة والدهاء اللذين يرفعان قدر المؤرخ وجودة عمله، وربما قدر مجتمعه ودولته وأمته وحضارته. في حال ما إذا تم تقديره وتكريمه، بدعم البحث العلمي وأهله والاهتمام بإنتاجاته في سائر العلوم، وفي مقدمتها علم التاريخ. وهذا ما يجب أن يكون. فالأمم الراقية ما تزال في سالف الدهور إلى وقتنا الحاضر تعنى بشأن علمائها[3]، خصوصا من له من منظورنا، قدرة على توقع ما ينتظر حدوثه من أمور في المستقبل. فهل يجوز الحديث عن علم المستقبل أو المستقبليات، وكيف يمكن تعريفه؟.

[1] . السخاوي، الإعلان بالتوبيخ ، ص. 47

[2] . المقريزي، إغاثة الأمة أو تاريخ المجاعات في مصر، قدم له وشرحه، صلاح الدين الهواري، ط، 1، شركة أبناء الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 2008، ص. 16

[3] . أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج، 14، دار الكتب السلطانية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1338هـ/ 1919م.ص. 3

2. علم المستقبل أو المستقبليات، الدلالة والسجال فيما بين الأنا والغير.

بداية، بدهي أن" الدراسات المستقبلية تبنى على المستقبل أولا"[24]. والمستقبل يعبر عما هو "قادم بعد الحاضر[25]. ويبدو لكثير من الناس أنه مرادف لمصطلح "التوقع"[26]. ونحسب الأمر كذلك أيضا. لذلك يشكل إدراك البعد الزمني للظاهرة الإنسانية في كينونتها، بوصلة استيعاب الحقل المعرفي للدراسات المستقبلية[27]. وغير ذي شك أن مصطلح "علم المستقبل" يثير اختلافات، كما يطرح سجالات كبيرة بين الباحثين والمختصين في الزمن الراهن. وقد انقسموا في ذلك إلى فرقين مختلفين. فبينما يعتبر رواد الفريق الأول "الدراسات المستقبلية" علما، ويستعملون المصطلح المذكور في كتاباتهم ويدافعون عنه، أمثال هربرت جورج ويلز، وفلختهايم الذي يحسبه فرعا من علم الاجتماع، بل وأقرب إلى علم الاجتماع التاريخي"[28]، بينما نعتبره نحن أصيلا في علم التاريخ وفرعا منه قبل ذلك، نجد رواد الفريق الثاني ينفون عنه صفة العلمية. ذلك؛ لأن المستقبل مجهول. ومن ثم، يتسأل أحدهم، كيف يرسي علم على المجهول؟ بل ويضيف "فراد بولاك" في نقده لفلختهايم، أن تسمية "علم المستقبل" تسمية مبالغ فيها"[29].

وقد ذهب "دي جوفنال" إلى حد نفي ظهور "علم المستقبل"، لأنه ليس عالم اليقين، وإنما عالم الاحتمالات، كما أن المستقبل ليس محددا يقينا، فكيف يكون موضوع علم من العلوم؟"[30]. وعلى نفس المنوال يقول إدغار موران "إن الشكوك التي تحيط بما يبدو أنه ثابت، أي الماضي والحاضر، لا تلغي كل محاولة لتوقع واستشراف المستقبل فحسب، بل تكشف عن تفاهة علم المستقبل وعلم المستقبليات اللذين يدعيان ارتكازهما على أساس الحاضر. إنه بالتأكيد يجعلنا نتخلى عن كل تصور يقيني للمستقبل[31]". والحال، أن الرجل يؤمن بما يصطلح عليه ب: "لا يقينية التاريخ"[32]. إذ يقول إن "التقدم الكبير الذي قدمته سبعينيات القرن الماضي هو الاعتراف بمبدأ اللايقين.

---

[24]. المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، مستقبل الماضي وماضي المستقبل، ط، 8، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 2005، ص 43

[25]. رابح عبد الناصر جندلي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي، مجلة العلوم السياسية والقانون، العدد الأول، جانفي، 2017م، ص. 24

[26]. ريتشارد أ سلوتر، الدراسات المستقبلية: إطار مفاهيمي، ترجمة، خلود سعيد، مكتبة الاسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، سلسلة أوراق، عدد، 21، 2016م، ص. 27

[27]. رابح عبد الناصر جندلي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي... م س، ص. 24

[28]. رابح عبد الناصر جندلي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي...، ص. 32

[29]. رابح عبد الناصر جندلي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي...، ص. 32

[30]. رابح عبد الناصر جندلي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي...، ص. 32

[31]. إدغار موران، إلى أين يسير العالم؟، ترجمة، أحمد العلمي، ط، 1، الدار العربية للعلوم ناشرون، 1430هـ. 2009م، ص. 14

[32]. إدغار موران، تربية المستقبل، المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، ترجمة عزيز لزرق ومنير الحجوجي، ط، 1، دار توبقال للنشر، منشورات اليونسكو، 2002م، ص. 74

وهو بالتأكيد المعنى الأول الذي تحمله معها كلمة "أزمة"، أي ظهور اللايقين هناك حيث يبدو كل شيء يقيني، ومنضبط ومحكم بالتالي قابل للتوقع"[33].

وهذا الكلام الأخير فيه نوع من المصداقية، بل ولا يكاد يختلف حوله اثنان. إذ لا يوجد على الحقيقة شخص بإمكانه توقع أمور المستقبل بتفاصيلها وجزئياتها الصغيرة والدقيقة. سيما ما يتعلق منها بأسماء الأشخاص والفضاءات والوسائل وغير ذلك. وهذا أمر يحتاج بشكل من الأشكال إلى دراسة ونقاش لا يسمح به ما نخن فيه الآن. وفي جميع الأحوال لا ينفي ما سلف ذكره بتاتا، إمكان توقع ومعرفة ما ينتظر حدوثه من وقائع العمران و"معظمات الأمور" بتعبير أحد المؤرخين[34]، سواء من حيث الماهية والشكل العام، أم ما يرتبط بذلك من تفاصيل ممكنة، بحكم الترابطات القائمة بين مختلف البنى والعلاقات الاجتماعية بمختلف أنواعها وأبعادها.

ولنا في التاريخ البشري نماذج وقرائن كثيرة تثبت حقيقة ذلك، منها ما يتعلق بفراسة أحوال الناس والمجتمعات[35]، ومنها ما يرتبط باستشراف بعض المؤرخين وتوقعهم لما كان ينتظر حدوثه من وقائع العمران. تماما مثلما حدث مع ابن خلدون وتلميذه المقريزي ومؤرخ المغول رشيد الدين ومهدي المنجرة وكينز وغيرهم جميعا في القديم والمعاصر.

أما القصور الذي يمكن أن يحصل في هذا الباب، ولعله سبب حديث البعض عن اللايقين واللامتوقع التاريخيين، وربما إنكار أحقية وجود أو الكلام عن "علم المستقبل"، فأرجعه إلى جملة أسباب، لعل أبرزها العجز البديهي للعقل البشري عن الإحاطة بكل الأشياء والأحوال والأسباب، ثم النقص الحاصل في ملكة التجارب، إضافة إلى عدم معرفة الضوابط أي القوانين والسنن، المتحكمة في تكرار واقعات العمران، ناهيك عن غياب فترة أساس لدى أهل التاريخ . كما سنشرح ذلك لاحقا . يفهم في ضوئها المؤرخ مجريات الحاضر، ويعرف تقلبات الزمن والأحوال، ويتوقع مستقبلات الأمور قبل وقوعها، ونرجو من الله أن يكون مصطلح "فترة الأساس" المذكور كما سنبينه لاحقا من إضافاتنا النوعية المفيدة لأهل التاريخ، سيما لمن يروم امتلاك القدرة على الفطنة لأمور المستقبل.

وإذ لا تتسع هذه الورقة لمزيد من المناقشة والسجال في الإشكال السالف الذكر، أخلص إلى القول أنني ممن يعتبر مصطلح "علم المستقبل"، علما له مواضيعه وأغراضه وفوائده، بل ويستحق صفة العلم بالعالم الإسلامي منذ القرن الرابع الهجري وربما قبله. ذلك؛ لأن أصوله راسخة عند أهل التاريخ منذ ذلك الحين، تماما مثلما هي راسخة

---

[33]. إدغار موران، إلى أين يسير العالم؟، ترجمة، أحمد العلمي، ط، 1، الدار العربية للعلوم ناشرون، 1430هـ.2009م، ص. 19

[34]. رشيد الدين، جامع التواريخ، ص.215

[35]. انظر على سبيل المثال ما حكاه ابن القيم الجوزية عن فراسة ابن تيمية، وما جاء فيها من توقعات حول دخول التتار الشام سنة 699هـ وأن جيوش المسلمين تكسر، وما أخبر به الناس سنة 702هـ من هزيمة التتار لما تحركوا وقصدوا الشام، وأن النصر للمسلمين، إضافة إلى ما جاء في توقعاته من بعض التفاصيل، مثل المدن التي لا يكون فيها قتل عام ولا سبي عام. وهكذا يبدو أن النقص في التوقعات المستقبلية مرتبط بالنقص في قدرات وملكات ذلك، ولا يدل على بطلان هذا العلم الصعب التعليم والتعلم والمنال. وهو تقريبا ما قاله الرازي حول علم الفراسة. (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق، ناصر بن سليمان السعودي، وعلي بن عبد الرحمان القرعاوي، وصالح بن عبد العزيز التويجري، وخالد بن عبد العزيز الغنيم، الجزء الرابع، ط، 1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1432هـ.2011م، ص. 2694 .2695، وما بعدهما)

في الفكر والجدان والتراث الإسلامي، كما يستخلص من كتب الفراسة والتاريخ والحكم والأمثال وغيرها. بيد أنه لم يرق للأسف لجملة أسباب . نضرب الصفح عنها الآن . إلى درجة النضج والهيكلة والاستقلال العلمي. ويشرفنا أن يكون من رهانات هذه الورقة وصول أهل التاريخ إلى هذا المبتغى في المستقبل.

لذلك، نحاول من جانبنا في الوقت الحالي، تجديد الاحساس لدى أهل التاريخ، بهذه المهمة الضرورية، بل قل العلاقة والصلة المتأصلة بينهم، وبين ضرورة محاولة "الفطنة لأمور المستقبل"، والاهتمام بها، بقصد تأملها قبل وقوعها. كما حث على ذلك مسكويه منذ القرن المذكور، ومثلما حاول ابن خلدون والمقريزي والسخاوي، وغيرهم ممن جايلوا أهل القرن التاسع وأوائل العاشر الهجريين، بلورته وتطويره بشكل نسبي. بيد أن النكسة الثانية والكبرى . حسب ما يبدو . حلت بعد ذلك بهذا الفرع العلمي وكبا به للأسف فرس مؤرخي بلاد الإسلام وغيرهم. والأدهى أن النكسة استمرت، خصوصا ببلادنا، قرونا طوال إلى أن عمل الغرب على محاولة تجديده ودعمه وتطويره في الزمن المعاصر، لأسباب سياسية واقتصادية وحضارية... بعد الحرب العالمية الثانية.

والملفت للنظر أن أمة الإسلام ما تزال متأخرة في هذا المجال، وكذلك الحال مؤرخوها إلا القيل منهم، مقارنة بأهل الاقتصاد والفلسفة وعلم الاجتماع وغيرهم، ويأتي في مقدمة هؤلاء، مهدي المنجرة الذي دافع عن التاريخ وأهله، وهو رجل فكر واقتصاد ومستقبليات بالأساس، قبل أن يكون رجل تاريخ. وحسبك أنه بقدر ما اعترف رحمه الله، بأهمية مقاربة المستقبلية مع التاريخ، بل "واعتبر ذلك أمرا حيويا"، بقدر ما تأسف، ونتأسف معه، لكون الكثير من بلدان العالم الثالث اتجهت إلى جعل التاريخ غاية في حد ذاته، بدل أن تواكبه وتتوقع مآله"[36]، وهو ما نأمل أن يحصل في المستقبل.

والواقع أن هذه المواكبة بقصد توقع المآل والفطنة لأمور المستقبل، هي المطلوب الأول، بل المهمة الضرورية، المنوطة بالمؤرخ في عمله قبل غيره، لأنها من منظورنا من المحددات الأساس لهويته. فإذا كان من الواضح أنه لا غنى لأحد، سواء من المختصين في المستقبليات، أم المهتمين بها من سائر العلوم، عن علم التاريخ، فيما يسعون إليه من تنبؤ أو استشراف أو استبصار أو توقع... لمستجدات وقائع العمران وأمور المستقبل، أو التخطيط له، ووضع الاستراتيجيات لما يسمونه ب: "صناعة المستقبل"، فما بالك بالمؤرخ المختص في مطالعة أحوال الماضي، ونقل الأخبار وتدوين حوادث الأيام.

والحال، أننا نعتبره الأولى بمعرفة سبل حل ومواجهة ما ينزل بالناس والمجتمعات والحضارات والدول، من غلاء ومحن وفتن، يرافقها في الغالب، حسب النسبة والظروف والأحوال، خراب ودمار، يمكن أن يفضي إلى زوال الأسر والحكام والحضارات والدول. ومن هنا تتجلى أهمية علماء وخبراء التاريخ في سائر الأمم. سيما من رزق منهم بالسعي، والتوفيق من الله، القدرة على توقع أمور المستقبل قبل وقوعها، في ضوء رسوخ ملكة التجارب، وقوانين تكرار واقعات العمران، وغيرها من الآليات والقدرات المعرفية والمنهجية الضرورية لذلك.

وعليه، جدير بالإشارة ههنا إلى أنه يجب التمييز بالضرورة الملحة في هذا الحقل المعرفي .علم المستقبليات ،. ويجوز أن نطلق عليه حسب **مقاصد هذه الورقة ورهاناتها، "علم المستقبل"، بصيغة المفرد، لأنه أصيل في عمل أهل**

---

[36] . المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، ص 297.

التاريخ، وله غرض أساس، بين شيئين أساسين، أولهما التخطيط ووضع الاستراتيجيات للمستقبل وربما صناعته .كما يقال .، وثانيهما محاولة الفطنة لما ينتظر حدوثه من أمور، وما يجب القيام به اتجاه ذلك من أدوار في المستقبل. وعليه، إذا كان الأمر الأول هو الأغلب على اهتمامات رواد الدراسات المستقبلية المعاصرة، فإننا نعتبر الأمر الثاني بمثابة الفرع المعرفي الأصيل في عمل أهل التاريخ، خصوصا بالعالم الاسلامي، كما تبين أثناء مقاربتنا لمصطلحي التاريخ والمؤرخ.

لذلك، فالذي يهمنا بالأساس ضمن مقاصد ورهانات هذا العمل التأسيسي المتواضع، الموجه لأهل التاريخ بالتحديد. ليس التخطيط للمستقبل ووضع الاستراتيجيات لصناعته، كون ذلك بالنسبة إلينا من بديهيات الأمور التي لم يخل منها زمان ولا مكان عبر سائر الأزمان، رغم الاختلافات الطبيعية في ذلك بين الأشخاص والدول، وإنما هاجسنا الأساس هو: "كيف السبيل وما العمل لامتلاك أهل التاريخ وغيرهم من المهتمين بالمستقبل، قدرات الفطنة لما يمكن أن يستجد من أمور هـ ومعرفة ذلك قبل وقوعه"؟ ذلك؛ لأن تاريخ العمران البشري في غالبه، تاريخ وقائع عمران، أي تاريخ "ظواهر اجتماعية"، أكثر منه تاريخ "أحداث فردية"، وربما هو ما اصطلح عليه أحد القدامى ب: "نوادر الأحوال "[37]. فلا جرم أن جل أمور التاريخ، إن لم نقل كلها، تتكرر، وأن هذا التكرار محكوم بسنن، أي بضوابط و"قوانين حسب لغة العلم"[38].

وبدهي، أن يقود أن التفكير العقلي المنطقي، .الذي لا يحالفه الصواب في بعض القضايا والأحيان .، الإنسان إلى القول، إنه مثلما تخضع الظواهر الطبيعية والفزيائية لهذا الكون الذي خلقه الله عز وجل، لضوابط وقوانين، ما يزال الإنسان يكتشفها يوما بعد يوم، بواسطة العلم والتجربة. فلابد أن تخضع ظواهره الاجتماعية لنفس المنطق والصيرورة، مما يجعل ووقائع التاريخ تتكرر وأموره تتشابه. " سنة الله في الذين خلوا من قبل. "ولن تجد لسنة الله تبديلا"[39]، "ولن تجد لسنة الله تحويلا"[40]. ولا غرو أن من فوائد هذا التكرار إضافة إلى ضبط القوانين بعد رسوخ ملكة التجارب، وغيرها من العوامل التي سنتحدث عنها لاحقا، إمكان الحديث عن علم المستقبل، بإمكان توقع ما ينتظر حدوثه من أموره، والتنبؤ به قبل وقوعه، ومن ثم، معرفة ما يجب القيام به من أدوار.

والسؤال المطروح حسب أحد المهتمين بالموضوع، سيما في مجال الظواهر الطبيعية هو: " هل التنبؤ في حد ذاته لا يحمل في طياته أيضا بذور الغيبيات التي يعارضها العلم والدين ، ولهما فيه رأي قاطع ؟"[41]. وقد جاء جوابه بالنفي، إذ يقول: "إن التنبؤ العلمي لا ينبع من فراغ، بل هو نابع حقا من نواميس الكون وأحكامه، ثم إنه يتمشى معها، ولا يتعارض مع قواعدها"[42]. والحال أن الواقع الإنساني . الذي هو التاريخ بعينه . لا يجري حسب رؤية الإسلام من منظور محمود إسماعيل اعتباطا، وحركة تطوره ليست عشوائية، وأحداثه لا تقع حسبما اتفق، بل

---

[37] .رشيد الدين، جامع التواريخ، ص.215

[38] .محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي الجزء الأول طور التكوين، ط، 4، سينا للنشر، 2000م، صص 208

[39] .سورة الأحزاب، آية، 62

[40] .سورة فاطر، آية 43

[41] .عبد الحسن صالح، التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، عدد، 48، ديسمبر 1981م، ص. 12

[42] .عبد الحسن صالح، التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان، ص. 12

كل ذلك محكوم بقوانين وسنن، حسب اعتراف ولفرد كانتل. كما أن السنن المسيرة لحركة التاريخ لا تقتصر على شعب دون شعب، ولا على اقليم دون آخر، لأن الإسلام أنزل للناس كافة"[43]. قال تعالى" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ "[44]. ومن ثم نخالف إدغار موران ومن يدور في فلكه الرأي في كون "التطور التاريخي لا يخضع للقوانين ولا لحتمية متفوقة"[45].

ولذلك، "فإننا نرنو، تماما مثلما ندعو إلى إعادة النظر في طريقة التعامل مع قراءة التاريخ، سيما العربي الإسلامي منه، من خلال الاهتمام بالظواهر، لاستخلاص القوانين المتحكمة فيها وفي تكرار أمثالها، وانتظار حدوث أشباهها وأمثالها"[46]. فلا ريب أن ذلك يشكل أساس الدراسات المستقبلية الأصيلة عند أهل التاريخ، والتي طالها الإهمال ودفنت في مقابر شبه النسيان منذ قرون طوال. لذلك نتطلع إلى إعادة بعثها وتأصيلها وفق رؤية قائمة على رصد الظواهر ومحاولة ضبط القوانين، والتدقيق في الموضوع، ووضوح المناهج وآليات العمل، وغيرها مما يجعل هذا الحقل العلمي، ناضجا ومستقلا بذاته في المستقبل.

وغير ذي شك أن هذا المبتغى يواجه صعوبات عديدة في كل ما سلف ذكره، وفي غيره من القضايا التي لابد من الحسم فيها، ونذكر منها على سبيل المثال، مسألة المستقبل هل هو "موضوع معطى مسبق، معد سلفا ومستقلا، وأن المطلوب هو إماطة اللثام عنه فحسب[47]، أم أنه عكس ذلك تماما، "إذ هو أفكار ومشاهد لصعوبة وتعقد الموضوع الرئيس فيه، ألا وهو الظاهرة الاجتماعية كما يرى البعض"؟[48]. كما يجب الحسم في طبيعة الرؤية لحركة التاريخ والزمن. وهي مسألة خلافية بين الباحثين والمفكرين أيضا. وللإشارة فقط، ففي الوقت الذي يرى محمود اسماعيل، وهو واحد من مؤرخي العالم الإسلامي المعاصر، "أن الإسلام طرح فكرة الزمن المستمر المتطور، بدلا من فكرة الدورية التي كانت سائدة قبلا"[49]، نجد الفرنسي إدغار موران يقول " إن التاريخ لا يتقدم بشكل انسيابي، مثل تدفق نهر، بل يسير على شكل انحرافات مصدرها سواء أنواع التجديد والابتكار الداخلية، أو الأحداث أو الطوارئ الخارجية"[50]. كما أنه "لا يشكل تطورا مستقيما، لأنه عقدة مكونة من النظام، والفوضى والتنظيم. ويخضع لحتميات ومصادفات في الوقت نفسه. ويشهد اضطرابات، ومفترق طرق، وانحرافات، ومراحل سكون، وركود ، ونشوة..."[51].

---

[43]. محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ج، 1، طور التكوين، ط، 4، ، ص 207

[44]. سورة الأنبياء، آية 107.

[45]. إدغار موران، إلى أين يسير العالم؟، ص. 14. 15

[46]. عبد المجيد النوري، التاريخ وعلم الاقتصاد، مساهمة في قراءة الظواهر التاريخية لضبط بعض قوانين زوال الحضارات والدول، ص. 326

[47]. رابح عبد الناصر جندلي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي...، ص. 31

[48]. رابح عبد الناصر جندلي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي...، صص. 34. 43

[49]. محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ج، 1، طور التكوين، ط، 4، ص 207

[50]. إدغار موران، تربية المستقبل، ص. 75

[51]. أدغار موران، النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، ترجمة هناء صبحي، ط، 1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، 1430هـ/ 2009م، ص. 252

وإذ تبين أن علم المستقبل في علاقته بحركة التاريخ، خاضع لقوانين وسنن ولا علاقة له "بالتنجيم والعرافة وما شابه ذلك"[52]، فالمعلوم أن هناك فرقا كبيرا بين الغيب، وبين المستقبل. فالغيب شيء خاص بالقدرة الإلهية[53]، بدليل قوله تعالى " وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"[54]. أما المستقبل، "فقد أعطانا الله القدرة، حسب مهدي المنجرة، لتغيير أمورنا"[55]. تماما مثلما أعطانا . حسب زعمنا . فطنة وبصيرة لمعرفة بعض ما يمكن أن يستجد من أمورنا وأحوالنا في المستقبل. سيما وأن الإسلام طرح، حسب محمود إسماعيل، " فكرة التطلع له "[56]، في حين فهم مهدي المنجرة كلمة "الآفاق"[57] في القرآن الكريم، باعتبارها " النظرة المستقبلية"[58]. وورد في تفسيرها عند المختصين من القدامى أقوال عديدة، فقيل إنها " آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب"[59]، وقيل "فتح أقطار الأرض، وما أخبر به من حوادث الأمم، وقيل أيضا هي السماء"[60]. وفي جميع الأحوال فالمعنى العام ينطوي على رؤية مستقبلية.

وغير ذي شك أن المقاربة المفاهيمية لعلم الدراسات المستقبلية، تتعدد بتعدد أصحابها من ناحية، "ونظرا لحداثتها وتعقدها في آن واحد "[61]، من ناحية أخرى. وللوقوف على حقيقة ذلك يكفي الرجوع إلى بعض الدراسات العلمية المختصة. ومع ذلك، يبدو أنه من المفيد جدا أن نسجل ههنا بعض هذه المقاربات . خدمة لأغراض الموضوع ،. قبل عرض رؤيتنا الذاتية. بداية، ورد في أحد الدراسات المعاصرة المختصة، "أن أدق تعريف للمستقبلية هو ما تناولته مجلة" Society World " والقائل بأن المستقبلية هي: دراسات تستهدف تحديد وتحليل وتقويم كل التطورات المستقبلية في حياة البشر في العالم أجمع بطريقة عقلانية موضوعية. وعرفها أيضا إدوارد كورنيش بأنها: العلم الذي يرصد التغير في ظاهرة معينة ويسعى لتحديد الاحتمالات المختلفة لتطورها في المستقبل، وتوصيف ما يساعد على ترجيح احتمال على غيره. وقيل في رأي ثالث بأنها: مجموعة من البحوث والدراسات التي تهدف إلى الكشف عن المشكلات ذات الطبيعة المستقبلية، والعمل على إيجاد حلول عملية لها، كما تهدف إلى

---

[52] .عبد الحسن صالح، التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان، ص. 12

[53] .المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى،، ص 43

[54] .سورة لقمان، آية، 34

[55] .قال تعالى: " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق". (سورة فصلت الآية 53)

[56] .محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ج، 1، طور التكوين، ط، 4، ص. 208

[57] .قال تعالى: " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق". (سورة فصلت الآية 53)

[58] .المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، ص 43

[59] . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه، خليل مأمون شيحا، ط، 3، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1430هـ.2009م، ص. 972

[60] .أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، النكت والعيون تفسير الماوردي، مراجعة وتعليق، السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ج، 5، دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، ص. 189

[61] .رابح عبد الناصر جندلي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي...، ص. 29

تحديد اتجاهات الأحداث وتحليل المتغيرات المتعددة للموقف المستقبلي، والتي يمكن أن يكون لها تأثير على مسار الأحداث في المستقبل"[62].

وما دام المستقبل؛ يعبر عما هو قادم بعد الحاضر[63]. فطبعي، أن يهتم علم المستقبل بالبحث في عالم الغد في ضوء معطيات الواقع الحالي. وعليه، فالباحث المستقبلي هو المهتم بدراسة ما سيكون عليه عالم الغد"[64]. ويشكل تحديد الاتجاهات، وتخيل مستقبل مرغوب فيه، واقتراح استراتيجيات لتحويله إلى مستقبل ممكن، أحد أهداف الدراسات المستقبلية."[65]. و في ضوء ذلك تتجلى أهميتها، كما تتجلى في العديد من القضايا والنقاط، نذكر منها "العمل على التقليل من حدة الأزمات من خلال التنبؤ بها قبل حدوثها والاستعداد لمجابتها"[66]. وهذا الهدف النبيل، الذي أشار إليه بعض القدامى، أمثال مسكويه والمقريزي وغيرهما، هو الذي يهمنا بالأساس ضمن سائر أهداف الدراسات المستقبلية. لذلك نعتبره من أساسيات المهام المنوطة بالمؤرخ، كونه يدخل في صلب ماهية علاقته بأمور المستقبل، الأصيلة في علمه، والمحددة لهويته، والمؤسسة لعلم المستقبل عند أهل التاريخ بالعالم الإسلامي.

وفي ختام هذه المقاربة والسجال، بخصوص مصطلح " علم المستقبل" ، يشرفني أن أساهم في ذلك من منظوري الشخصي، بالقول، عبر قناة هذا الاجتهاد الأولي: " إن المستقبل عبارة عن أمور ينتظر وقوعها، بعد ولادتها من صلب مجريات الحاضر، بمختلف إجراءاته وقراراته، ووقعات عمرانه، و طبيعة قيمه و ثقافته، وفعله الاجتماعي، بمختلف أنماطه، فعلا وتفكيرا وإحساسا...، كذا معتقداته الدينية. أما علم المستقبل، في انسجامه مع أغراض ورهانات هذه الورقة العلمية، فنعرفه بكونه **الاجتهاد الفكري الذاتي لمحاولة العلم بهذه الأمور المنتظرة قبل حدوثها، بواسطة "جودة الذهن وحدة القلب وحسن الفطنة"[67]، وقوة البصيرة. مع ضبط علامات حدوثها، وقوانين انتظارها، في ضوء مطالعة أحوال الماضي، الذي تنعكس فيه أمور المعيش اليومي والآتي، ورسوخ ملكة التجارب، ووقائع العمران البشري، وغيرها مما يحتاجه علم المستقبل وأهله من قدرات وملكات معرفية ومنهجية، وغيرها.**

---

[62] .رابح عبد الناصر جندلي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي...، ص. 29. 30

[63] .رابح عبد الناصر جندلي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي...، ص. 24

[64] .محرك كوكل عبر الرابط الآتي:

/https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%A8%D9%84

[65] .المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، ص 296. 297.

[66] .رابح عبد الناصر جندلي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي...، ص. 34

[67] . استعملت هذه العبارة الخاصة بأسباب صحة الفراسة ، حسب ابن القيم الجوزية، لأنني تقاطعت معه في ذلك بشكل كبير أثناء تحديد شروط صحة "توقع أمور المستقبل، أي علم المستقبل". والراجح أن علم الفراسة قريب أعم وأشمل من علم المستقبل. ولأنني توافقت في الوقت الحالي بشكل كبير مع ابن القيم الجوزية حول الصيغة المذكورة، فإنني فضلت الاحتفاظ بعبارته التي تبدو أكثر دقة، على أمل تأملها ودراسة مصطلحاتها وربما تعديلها في المستقبل. وخلاصة الأمر، أن كل تلك الشروط أو ما سماها رحمه الله بالأسباب، يمكن اختزالها في مصطلح: " قدرات وملكات علم المستقبل"، وهي التي تمكن من توقع أموره قبل وقوعها. (انظر ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين ، ص. 2693)

وعليه، إذا كان أهل الفراسة "يستدلون بالأحوال الظاهرة المحسوسة على الأحوال الباطنة"[68]، فإن أهل التاريخ يمكنهم أن يتوقعوا ويستبصروا، في ضوء مجريات الحاضر، باعتباره في زعمنا "ماضي فات ومستقبل آت"، مع ما يلزم ذلك من شروط سبق ذكرها وعلامات، ما يمكن أن يستجد من أمور في المستقبل. ومثل هذه التوقعات التي تتخذ من الحاضر منطلقا، ومن الماضي مرآة، ومن معرفة أمور المستقبل ومستجدات واقعات العمران غاية، ليست من علم الغيب بشيء على الإطلاق، بل هي محاولة فطنة وتوقع لما سلف ذكره، وفق ما سلف ذكره من شروط وعلامات وقدرات وملكات. والله تعالى الموفق للصواب.

وننهي الكلام في هذا المقام بالقول: إن عبارة "الفطنة لأمور المستقبل" التي استعملتها كثيرا، لجمالية لفظها، ودلالة أصالتها، على أصالة مفهوم مصطلح "علم المستقبل" في علم التاريخ بالعالم الإسلامي، تنطوي في مضمونها العام، على دلالة مصطلحين أساسيين يستعملان بكثرة في الدراسات المستقبلية المعاصرة، وهما: مصطلح " الاستشراف" ومصطلح "التنبؤ". أما مدلول الأول، استنادا إلى الدراسة المتخصصة السالفة الذكر، فيعبر عن " علمية منظمة لمجموعة من التنبؤات المشروطة، التي تتضمن المعالم الرئيسية لمجتمع معين أو مجموعة من المجتمعات لحقبة زمنية لا تتجاوز عشرين سنة. ويخضع في ذلك للأساليب العلمية التي تحلل الماضي وتفسر الحاضر. تماما مثلما يستند إلى قاعدة صلبة من البيانات العلمية والمعلومات الدقيقة كميا ونوعيا بشأن الظاهرة الآنية حاضرا، وأصولها التاريخية ماضيا، باعتبارها جزءا مهما في التنبؤ بالمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية في المستقبل"[69]. أما دلالة الثاني، فتحمل معنى " ما ستؤول إليه الظاهرة الاجتماعية في المستقبل المنظور انطلاقا من المعطيات المحيطة بها حاضرا وكينونتها ماضيا"[70]. والحقيقة أن رصد الظواهر التاريخية بقصد ضبط قوانين تكرار، وانتظار حدوث أمثالها، يدخل في صلب الأساسيات المعرفية لعلم المستقبل، لذلك نجدد الدعوة والأمل للعناية والاهتمام بدراسة الظواهر التاريخية، وهي واقعات العمران البشري بالتعبير الخلدوني، وفق طرق ومناهج علمية تمكن من تطوير وهيكلة علم المستقبل الأصيل في علم التاريخ. فما باقي القرائن الدالة على هذه الأصالة؟

II. علاقة التاريخ بالمستقبل: أصالة الفكرة موضوع العمل ومناهج الاشتغال.

1. أصالة الدارسات المستقبلية في الشرع والتاريخ التراث الفكري بالعالم الإسلامي، الحاصلة والآفاق.

يشكل علم التاريخ أحد العلوم التي اهتم بها البشر، على مر الدهور والأيام، لما فيه من الفوائد والعبر، التي تستخلص من تجارب الأمم، ووقائع العمران. وغير ذي شك أن أهداف هذا العلم متعددة، يأتي في مقدمتها محاولة استبصار وتوقع مستجدات وقائع الزمن وأحواله قبل حدوثها، لمعرفة ما يجب القيام به من أدوار في المستقبل. و هو ذاته أحد أهداف علم المستقبل أو ما يسمى بالدراسات المستقبلية في زمننا هذا، وقد يكون هو أصل اشتقاقه منه. ومهما كان الأمر، لا ريب أن هذا المسعى الشريف، يعتبر من أشرف أهداف علم التاريخ، بل، وأكبر مقاصد ورهانات المؤرخ.

---

[68]. فخر الدين الرازي، الفراسة ... م س، ص. 32

[69]. رابح عبد الناصر جندلي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي...، ص. 31. 32

[70]. رابح عبد الناصر جندلي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي...، ص. 31

وبنجاحه في ذلك، يبلغ الدرجة العليا بين نظرائه وأهل زمنه. تماما مثلما يمكن أن يبلغ ذلك مجتمعه ودولته وحضارته وأمته. ومن عوامل ذلك اهتمام أولو الأمر وأهل السياسة والحكم، بسائر أهل العلم، وفي مقدمتهم أهل التاريخ، سيما ممن لهم دراية وعناية كبيرة بعلم المستقبل والتفكير المستقبلي. ومن المؤسف جدا ألا يحظى هذا العلم الأصيل في عمل المؤرخين ببلاد الإسلام، بل وفي التراث والوجدان، بما يستحق من العناية والاهتمام، لما له من أهمية كبرى في نهضة الشعوب والأمم.

ولا جرم أن بعض حكماء وعلماء ومؤرخي الأمة الإسلامية، فطنوا إلى ذلك. فنبهوا إليه في كتبهم، تلميحا وتصريحا. وهذا خير دليل على رسوخ وأصالة علم المستقبل في الثقافة والتراث والوجدان ببلاد الإسلام ، سيما في عمل أهل التاريخ، برسوخ ثقافة الإسلام. ذلك؛ لأن ظهور هذا الأخير، مثل حسب قول محمود إسماعيل، " ثورة عالمية عقيدية واقتصادية واجتماعية وفكرية. كما أنه جاء بتصور للتاريخ البشري في ماضيه وحاضره ومستقبله. إذ بقدر ما طرح فكرة احترام الماضي باعترافه بنبوة الأنبياء، بقدر ما طرح فكرة التطلع للمستقبل"[71]. هكذا يتبين أن ."العناية بالمستقبل ليست أمرا جديدا، فقد حفلت اللغة العربية بلفظ يحمل هذا المعنى، كثيرا ما استعمله الرسول ﷺ، وهو كلمة " الاستبصار"[72].

وقبل أن نواصل الكلام حول رسوخ وأصالة علم المستقبل عند أهل التاريخ في بلاد الإسلام منذ قرون طوال، جدير بالإشارة أنه طرح نقاش كبير بخصوص زمن ظهور الدراسات المستقبلية وحول سيرورة التاريخية. أما السيرورة فتم تقسيمها وفق ما أجمع عليه المحللون، إستنادا إلى دراسة معاصرة، إلى ثلاث مراحل أساس، أولها مرحلة اليوتوبيا، وثانيها مرحلة التخطيط، وآخرها مرحلة النماذج العالمية. أما مسألة الجذور فقيل أنها ترجع إلى العهد الإغريقي، عندما حدد أفلاطون نظرته لما يجب أن يكون عليه المجتمع في المستقبل. وبذلك يكون أول من تناول حقل الدراسات المستقبلية.

وتطورت هذه الدراسات المستقبلية مع مطلع العصر الحديث إلى غاية القرن التاسع عشر، مع كل من القديس أوغسطين وتوماس مور وفرنسيس بيكون والقس توماس مالتوس وغيرهم"[73]. والملفت للنظر أن الدراسة السالفة الذكر التي يعنى موضوعها ب: "التأصيل التاريخي والمفاهيمي والمنهجي للدراسات المستقبلية"، لم يشير صاحبها إلى مساهمة أهل بلاد الإسلام، سيما المؤرخون منهم، في تأصيل أو إغناء النقاش والكلام بخصوص علم المستقبل. والحال، أنهم أهل الفراسة والعلم ويدينون بدين الإسلام الذي حدد الصلة بين عمل الإنسان الدنيوي، وبين مصيره الأخروي في المستقبل. لذلك، بدهي أن يكون الفكر المستقبلي راسخ في اللاشعور الجمعي، والوجدان الفردي عندهم.

---

71. محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ج، 1، طور التكوين، ط، 4، صص 206. 207. 208.

[72]. المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، ص 41

[73]. رابح عبد الناصر جندلي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي...، ص. 25. 26.

والأغلب على الظن أن "الإنسان مفطور على حاستي الذاكرة والتوقع، لأنه ينظم حياته داخل شبكة نسيجها الماضي والحاضر والمستقبل"[74]. ولذلك نساير الرأي القائل: "إن الجميع يطبق مبدأ الاستبصار في حياتهم اليومية عادة من دون الوعي بذلك"[75]. ومصطلح الاستبصار الذي يحمل معاني الاستشراف ومحاولة توقع أمور المستقبل قبل حدوثها، من المصطلحات الأصيلة في اللغة العربية وفي ثقافة ووجدان أهل الإسلام بدليل السنة النبوية الشريفة والقرآن.

قال نبي الرحمة عليه ألف صلاة وسلام: إن في كل أمة محدثين ومروعين، فإن يكون في هذه الأمة أحد فعمر منهم"[76]. والمحدث المصيب في حدسه كأنما حدث بالأمر، والمروع الذي تلقى الأمور في روعه، وهو الذي ألقي في روعه الصواب والصدق"[77]. وقال ﷺ اتقوا فراسة المؤمن. فإنه ينظر بنور الله. ثم قرأ قوله تعالى: "إن في ذلك لآيات للمتوسمين"[78]. وفي تفسير "المتوسمين" أقوال متعددة منها: للمفترسين للناظرين للمعتبرين للمتفكرين"[79]. وقيل: للمفترسين المتأملين[80]. وقيل: للمبصرين"[81]. وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء"[82]. وقيل: هم الذين يتوسمون الأمور فيعلمون أن الذي أهلك قوم لوط قادر على أن يهلك الكفار، ومنه قول عبد الله بن رواحة للنبي ﷺ:

إني توسمت فيك الخير أعرفه والله يعلم أني ثابت البصر"[83]

هذه الأحاديث والآية القرآنية الكريمة بتفسيراتها المتعددة، إضافة إلى قول عبد الله بن رواحة، كلها حجج قوية، تثبت أن ثقافة التوقع والاستبصار لأمور المستقبل راسخة عند أهل الإسلام في ضوء ما جاء به الإسلام. بل وتجد لها قرائن عند العرب منذ الجاهلية. فلما جاء الإسلام ثبت هذه الخصلة الذهبية، لما فيها من خير ومنفعة ذاتية وجماعية، سواء للفرد أم المجتمع والدولة، وكذلك الحال الأمة والحضارة. لذلك فأهل الإسلام بخاصتهم وعامتهم، سيما الراسخون في العلم منهم، وكذلك المؤرخون الأفذاذ، وأصحاب الرفق والعدل والرحمة، وحسن السياسة والتدبير، من أولي الأمر، وأهل السياسة والحكم، أولى وأسبق بمعرفة أهمية توقع أمور المستقبل، ومحاولة

---

[74]. كولن ولسون، فكرة الزمن عبر التاريخ، ترجمة، فؤاد كامل، مراجعة، شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، عدد، 159، مارس، 1992، ص. 5

[75]. ريتشارد أ سلوتر، الدراسات المستقبلية: إطار مفاهيمي، ص، 49

[76]. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق عبد الأمير مهنا، ج، 3، ط، 1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت. لبنان، 1412هـ. 1992م، ص. 300

[77]. الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ص. 300

[78]. سورة الحجر، آية، 75.

[79]. ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ص. 2677

[80]. الزمخشري، تفسير الكشاف، ص. 564

[81]. أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، النكت والعيون تفسير الماوردي، مراجعة وتعليق، السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ج، 3، دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، ص. 167. 168

[82]. الزمخشري، تفسير الكشاف، ص. 564

[83]. الماوردي، النكت والعيون ،ج، 3 ، ص. 167. 168

الفطنة إليها واستبصارها، قبل أن يقول ريتشارد أ سلوتر : " إن مبدأ الاستبصار يعد أحد المفاتيح الرئيسية للمستقبل الصالح للعيش[84]، بل وقبل أن يشبه الاستبصار الاجتماعي بالأنوار الأمامية للسيارة أو كاشوف (رادار) الطائرة أو التقدير الموهوب لقبطان سفينة. ولذلك، يرى أننا نحتاجه لتطوير رؤى مفيدة ومتقدمة للسياق العالمي في العقود المقبلة[85].

وحسبك ما قاله فصحاء العربية وحكماء شعراء العرب في الجاهلية، فيما له علاقة بالفطنة لأمور المستقبل والفراسة التي تعرف بواسطتها بواطن الأمور من خلال ظواهرها، وربما المقبل منها من خلال حاضرها. ونضرب لك من الأمثلة في ذلك، قول أوس التميمي[86]:

" مليح نجيح أخو مأقط نقاب يحدث بالغائب[87]

وفي السياق نفسه، قال زهير بن أبي سلمى:

وفيهن ملهى للصديق ومنظر أنيق لعين الناظر المتوسم" [88].

وقد سبق شرح المتوسم بكونه الناظر المتأمل المتفرس المستبصر. ولكي يصيب صاحب هذه المهمة ذات الصلة بعلم المستقبل أهدافه بدقة، يحتاج، حسب ابن القيم الجوزية، إلى سببين، "أحدهما: جودة ذهن المتفرس، وحدة قلبه، وحسن فطنته. والثاني ظهور العلامات والأدلة على المتفرس فيه. فإذا اجتمع السببان لم تكد تخطئ للعبد فراسة. وإذا انتفيا لم تكد لم تكد تصح له فراسة. وإذا قوى أحدهما على الآخر: كانت فراسته بين بين"[89].

ويشكل هذا النص الأخير أحد القرائن النظرية الدالة على رسوخ علم الفراسة وعلم المستقبل في بلاد الإسلام، وهما في الحقيقة مصطلحان متداخلان مترادفان متكاملان، بل ويحملان معنى واحدا رغم التمييز الدقيق بينهما في الاختصاص والموضوع، إذا يختص علم الفراسة بسمات وعلامات الجسد الخلقية والخلقية، للاستدلال بالأحوال الظاهرة المحسوسة في الجسد على الأحوال الباطنة"[90]. بيد أن هذا لا ينفي عنه ما له علاقة بأحوال الناس والمجتمعات وأمورهم المستقبلية. وقد سبق الحديث عن فراسة ابن تيمية. تماما مثلما سبقت الإشارة إلى قول النبي ﷺ في حق عمر بن الخطاب ﷺ، كونه من المحدثين والمروعين. وهكذا يجوز القول أن أحدهما يدخل في أحشاء الآخر، لأنه يحويه في بطنه، كونه أعم منه وأشمل.

أما ما يخص بعض الحجج العملية، فحسبك من الأقوال المأثورة، وما فيها بالأساس من العلامات المشهورة، الدالة على أصالة علم المستقبل، حتى فيما يرتبط بالبنيات الاجتماعية الصغرى، والعلاقات الاجتماعية اليومية التي

---

[84] .ريتشارد أ سلوتر، الدراسات المستقبلية: إطار مفاهيمي، ...م س، 2016م، ص، 48

[85] .ريتشارد أ سلوتر، الدراسات المستقبلية: إطار مفاهيمي، ص، 49

[86] .أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ربيع الأبرار، ص. 300

[87] . المأقط: المضيق في الحرب والموضع الذي يقتتلون فيه. والنقاب: الرجل العالم بالأشياء المنقلب عنها الفطن. (الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ص. 300)

[88] ..أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، النكت والعيون ،ج، 3، ص. 167

[89] . ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ص. 2693

[90] .فخر الدين الرازي، الفراسة ... م س، ص. 32

تبدو مألوفة وعادية، رغم أنها تدخل ضمن بنيات اجتماعية كبرى، ولها أهمية عالية في قراءة أحوال الدول والمجتمعات البشرية، خصوص يتعلق بأمور حاضرهما ومستقبلهما، قولهم ما يلي: " إذا رأيت أن قوما يخرجون من عند القاضي ويقولون: ما شهدنا إلا بما علمنا، فاعلم أن شهادتهم لم تقبل. وإذا قيل للمتزوج صبيحة البناء. كيف ما قدمت عليه؟ فقال الصلاح خير من كل شيء، فاعلم أن امرأته قبيحة. وإذا رأيت خارجا من عند الوالي وهو يقول: يد الله فوق أيديهم، فاعلم أنه صفع"[91].

وهذه الرموز والعلامات الجميلة والمسلية، تعبر عن زمنها، وقد لا تصيب كل الحقيقة. والذي يهمنا فيها أنها دالة على رسوخ فطنة الناس لأمور المستقبل في الثقافة والوجدان ببلاد الإسلام، لكن للأسف لا ندري ما سبب عدم الاهتمام بتدريس هذا العلم وتطويره. هل لشبهة تتعلق بتداخله مع أمور الغيب والكهنة والتنجيم؟ أم للخوف منه لأنه يتحدث عن المستقبل، الذي يمكن أن تكون توقعاته غير مرضية ومفرحة، ولذلك تمت محاربته، مثلما حرب علم التنجيم، رغم أن الفرق بينهما واضح كما سبق بيانه؟ هل لأن الأمة كانت في مرحلة القوة ولم ترى لها في ذلك دواعي وحاجة؟ الأسئلة والاحتمالات في هذا الباب كثيرة، وهي في حاجة إلى دراسة متخصصة ومفصلة.

ومهما كان الأمر، فأهل التاريخ ساهموا في ميلاد ووضع أسس ونواة هذا العلم بالعالم الإسلامي، لجملة أسباب، أولها لكونهم أبناء هذا العالم ومتشربون بثقافة الإسلام، وثانيها أنهم من النخبة العالمة، بل ومارس بعضهم الحكم والسياسة، وثالثها لأنهم فطنوا إلى أهمية هذا العلم، وفوائده وأهدافه، بفطنتهم لأهمية التاريخ، وفوائد رسوخ ملكة التجارب ووقائع العمران، وفي مقدمتها، محاولة الفطنة لمستجدات وقائع الزمان والعمران البشري قبل وقوعها، لمعرفة ما يحب القيام به من أدوار في المستقبل للتحكم فيها والسيطرة عليها، سيما إن كانت من الأمور السيئة، مثل غلاء الأسعار والمحن، وما يرافقهما من حروب وفتن، سبب الخراب والدمار، وربما زوال الحضارات والدول.

هكذا أصل بعض المؤرخين القدامى لعلم المستقبل في العالم الإسلامي. وقد أفصحوا عن أهدافهم العلمية المستقبلية، وصرحوا بها في مؤلفاتهم التاريخية. وتشكل هذه الأهداف والأصول المستقبلية، قطب الرحى الذي تدور عليه هذه مقاصد ورهانات هذه الورقة. ذلك، لأننا نسعى إلى إعادة بعث وإحياء هذا العلم الذي تعرض للإهمال، على أمل نفخ الروح فيه، بتحسيس أهل التاريخ بأهميته، وضرورة العناية به. ذلك من خلال المساهمة في تدقيق موضوعاته، وتطوير مناهجه، في ضوء الاهتمام بالظواهر، بقصد ضبط قوانين تكرار واقعات العمران، وانتظار حدوث أمثالها في الحاضر والمستقبل. والحقيقة أن أهل القرن الرابع الهجري . في حدود ما نعلم الآن . أصلوا لهذا بشكل دقيق، وبلوره ابن خلدون بشكل نسبي خلال القرن الثامن، لما حاول تحويل الأفكار إلى قوانين، واستمر العمل مع الجيل الذي جاء بعده، كما حصل مع تلميذه المقريزي ومن جايله من أهل القرن التاسع الهجري. وربما بعده بقليل، حصلت الكبوة والنكسة التي ما تزال مستمرة في أغلب البلدان الإسلامية إلى يومنا هذا. ونعود إلى ما جاء عند أهل التاريخ.

[91]. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ربيع الأبرار، ص. 302. 303

سبق القول أن مسكويه رحمه الله، أصل لعلم المستقبليات في العالم الإسلامي، منذ القرن الرابع الهجري بطريقة واضحة وصريحة. ويدرك كل متصفح لمقدمة كتابه بما لا يترك مجالا للشك حقيقة ذلك. والحال أن الغاية عنده من تصفح كتب التواريخ والعناية بتجارب الأمم وتدوينها، ولعلها هي وقائع العمران عند ابن خلدون، لأنه في الغالب استفاد منه، كما استفاد من الطبري والمسعودي، حسب مؤرخ معاصر[92]، هي امتلاك القدرة على الفطنة لمستجدات أمور الزمن قبل وقوعها، بل "واستقبالها استقبال الخبر"[93]. والحقيقة أننا نخالف محمود إسماعيل فيما زعم، ونرجح أن مصطلح "وقائع العمران" ليس هو ذاته مصطلح "تجارب الأمم"، لأن هذا الأخير أعم وأشمل من الأول، بمعنى أن وقائع العمران، أي الظواهر التاريخية، تدخل ضمن تجارب الأمم. إذ يمكن القول أن تجربة كل أمة من الأمم، تضم جميع الوقائع المشكلة للتجربة بمختلف أنواعها وأشكالها، في حين لا تشمل واقعة من الوقائع أو مجموعة من الوقائع كل التجربة، والله أعلم. فهذه المصطلحات تحتاج إلى دراسة لم تتسع لها هذه الورقة، ولم يسمح به زمنها.

ومهما كان الأمر، بين تمام البيان أن أصول مفهوم مصطلح "علم المستقبل" حاضرة عند هذا المؤرخ الفذ النبه الملقب بمسكويه. كما أنه نبه على ضرورة الاهتمام به من قبل المؤرخ وغيره. وأول من تجب عنايتهم بهذا الفرع العلمي المتأصل في علم التاريخ " أولو الأمر وأصحاب الزمن ومن بأيديهم مقاليد الملك والسلطان، ومن إليهم أزمة الأمور، وعليهم سياسة الجمهور، ليعلموا ما بقي للمحسن من الصيت الحميد، وللمسيء من الذكر القبيح"[94]. ولبلوغ هذا القصد . معرفة السلبي والايجابي في سيرورة الأمم .، لا بد حسب مسكويه، " من تصفح كتب التواريخ"[95]، والاهتمام بتجارب الأمم، سيما المفيدة منها فيما له علاقة بالحاضر والمستقبل.

وحسبك، من الحجج الدامغة على فطنته وايمانه بذلك، إرجاعه أسباب عدم "تعرضه لذكر معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، لعدم استفادة أهل زمنه منها تجربة فيما يستقبلونه"[96]. وغني عن البيان أن من بين المقاصد والأهداف المستقبلية، المستفادة من مطالعة تجارب الأمم ورصد وقائع العمران، معرفة ما يجب اتخاذه من مواقف والقيام به من أدوار في المستقبل، خصوصا بعد توقع مستجدات وقائع العمران والزمن قبل وقوعها. ويؤكد حقيقة ذلك، نص غاية في الأهمية، ورد على لسان مؤرخ المغول رشيد الدين، قال فيه: "من مقاصد تأريخ معظمات الوقائع، خيرها وشرها في كل زمان، أخذ الأخلاف والأعقاب للعبر، ومعرفة أحوال القرون الماضية، والاستفادة منها في أدوار المستقبل."[97].

---

[92]. محمود إسماعيل، فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية، ط، 1، ص. 23

[93]. أبو علي أحمد مسكويه، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، ص. 59

[94]. أبو شجاع محمد بن الحسن الملقب ظهير الدين الروذراورى، ذيل كتاب تجارب الأمم، ويليه الجزء الثامن من تاريخ الطالبي أبي الحسن هلال بن السن بن إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط، 1، 1424هـ. 2003م. ص 6 وما بعدهما

[95]. أبو علي أحمد مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ص. 59

[96]. أبو علي أحمد مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ص. 60

[97]. رشيد الدين فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ. ص 210.

ومعلوم أن المؤرخ المذكور عاش بين النصف الثاني من القرن السابع الهجري، وبين أواخر العقد الثاني من القرن الثامن الهجري ، وهي فترة عاشت خلالها الأمة الإسلامية أهوال ومحن وحروب وفتن، اسفرت عن سقوط الخلافة العباسية ببغداد، ثم بداية نقل العلم والسلطة والحضارة من ديار الإسلام والعرب إلى ديار المسيحية والروم. وبعدها تبدلت الأحوال كما فطن لذلك ابن خلدون، وحصلت النكسة الحضارية الكبرى ببلاد الإسلام، كما حصلت في علم المستقبل، بعدما قطع أشواطا مهمة من طفولته .رغم ما يكون اعتراها من سبات وألم وسقم ،. فيما بين منتصف القرن الخامس وأوائل القرن العاشر الهجريين.

ومن القرائن الدالة بقوة على أصالة علم المستقبل عند أهل التاريخ ببلاد الإسلام، بل وميلاده بجسم صحيح وسليم منذ زمن مسكويه، كون الاهتمام بالتاريخ، بقصد الفطنة لمستجدات وقائع العمران في المستقبل، لا ينال مراده" بتأريخ معظمات الوقائع، خيرها وشرها في كل زمان فحسب"[98]، كما زعم مؤرخ المغول السالف الذكر، بل لا بد من إدخال "نوادر الأحداث"[99] في الحسبان أيضا. ذلك؛ لما لها من صلة ضرورية بتوقع أمور المستقبل، أي ببعض أهداف علم المستقبل. وحقيقة هذا الكلام، لها ما يثبتها في حدود ما نعلم الآن، عند من زعمنا ميلاد علم المستقبل على يديه سليم الجسم والبنيان. وفي ذلك يقول صاحب تجارب الأمم: "وقد ذكرنا أشياء مما يجري على الاتفاق والبخت، وإن لم يكن فيها تجربة، ولا تقصد بإرادة. وإنما فعلنا ذلك لتكون هي وأمثالها في حساب الإنسان وفي خلده ووهمه، لئلا تسقط من ديوان الحوادث عنده وما ينتظر وقوع مثله"[100]. وأصاب هذا المؤرخ في رأيه، فالعاقل لا يهمل صغيرة ولا كبيرة من أحداث ووقائع التاريخ، إذا أراد فعلا أن يتبين أمور المستقبل ويستبصرها قبل وقوعها.

والحقيقة أننا كلنا أمل ليواصل المؤرخون وغيرهم السير، كي يصل علم المستقبل في قادم السنين والقرون والأعوام إلى مبتغاه، فيسطع نوره، حتى يرى عند أهله في كل زمن ومكان، لأن الأصل في هذا النور، هو الظهور والوضوح والبيان. وما حصل، حسب ما يبدو، من قصور في رؤيته، إنما مرده إلى القصور في إدراك أسبابه وحصول ملكاته وقدراته، لا إلى بطلان هذا العلم والله أعلم بالصواب. أما إذا حجب أو غم هذا النور، وهو كلام مقبول ومعقول، واحتمال حصوله وارد وبدهي بشكل كبير، نظرا لإهمال هذا العلم، الذي نزعم أنه يحتاج قياسا على أحد أنواع علم الفراسة إلى "التعليم والتعلم"[101]، وربما لأن أغلب المتخصصين في هذا العلم في زمننا هذا، وكذلك الحال الراغبين في ارتياد مجاله أيضا، ونحن من هؤلاء، لا يمتلكون تلك الأسباب والقدرات، سواء المكتسبة أم الموهوبة ربانيا، أو غيرها مما يرتبط بخصوصية كل كائن بشري على مستوى فلسفة القلب والعقل والسلوك الاجتماعي اليومي الفردي والجمعي، سيما التعبدي منه في علاقة الإنسان بخالقه، فلا بد حينها من

---

[98] .رشيد الدين، جامع التواريخ،. ص 210.

[99] .ورد هذا المصطلح عند رشيد الدين، ولعله يرادف من وجهة نظرنا ما يصطلح عليه عند أهل علم الاجتماع في الزمن الراهن ب: "الأحداث الفردية المعزولة". (جامع التواريخ، ص .215)

[100] .مسكويه، تجارب الأمم، ج 1، ص. 60

[101] .ذكر فخر الدين الرازي أنه " قد يحكم بمقتضى الأحوال الظاهرة المحسوسة في الجسد على الأحوال الباطنة، وهذا النوع من علم الفراسة هو الذي يجري فيه التعليم والتعلم" (الفراسة ... م س، ص. 32)

اعتماد مناهج وآليات، تساعد على كشف الرؤية، ومنها على سبيل المثال محاولة الاستبصار باعتماد المقارنة والقياس. وصدق الشاعر إذ قال:

إن اختفى ما في الزمان الآتي فقس على ما مضى من الأوقات[102]

وبقدر ما تميل النفوس إلى "الاطلاع على أخبار ما مضى من الزمن ومن سلف من الأمم، فميلها إلى الاطلاع على ما يظهر في مستقبل الزمان أكثر وتشوقها إليه أوفر"، كما يقول مؤرخ إسلامي آخر[103]. ذلك لأخذ الحيطة "والحذر مما ابتلي به قوم"[104]، من قبيل الغلاء والمحن والفتن و"دخول الخلل في الدول"[105]، وما يمكن أن يرافق ذلك من "خراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الأموال وفساد الأحوال"[106]، أو" التمسك بما سعد به قوم"[107]، مثل "جمع كلم الرعية وعمارة البلدان وإصلاح نيات الجند"[108]، وما يرافقه من رخاء للأسعار واستقرار للأوضاع وصلاح للنقود والأحوال، بصلاح السياسة وحسن تدبير الحكام. وكل هذه المواقف والأدوار، ترتبط بالقدرة على توقع أمور المستقبل قبل وقوعها.

وقد ذكر ابن القيم الجوزية، تحت مسمى الفراسة، أن ابن تيمية رحمه الله "أخبره ببعض الحوادث الكبار الي ستجري في المستقبل. وقال أنه رأى بعضها وكان في انتظار بقيتها "[109]. وفي الحقيقة كانت هذه الأخبار تتعلق بأحوال المجتمع والدولة في علاقتهما بالتتار، كما ساف ذكره، لا بأحوال الأفراد من النساء والرجال فحسب. لذلك نزعم أن "علم الفراسة" الذي ألفت فيه الكتب، وتحمل الناس مشاق الرحلة والسفر في طلبه، يحوي في بطنه مصطلح "علم المستقبل"، لأنه أعم منه وأشمل، إذ يتجاوز فراسة أحوال الأفراد في ضوء ظواهر سمات الجسد، إلى استبصار أحوال المجتمعات والدول. وفي جميع الأحوال فإن كل القرائن التاريخية النظرية والعملية السالفة الذكر، تثبت بما لا يدع مجالا للشك، أصالة علم المستقبل عند أهل التاريخ بالعالم الإسلامي. هؤلاء الذين أكدوا على ضرورة العناية به، لأنهم عرفوا بدقة ووضوح، فوائد وأهداف مطالعة الأخبار، وتدوين تجارب الأمم ووقائع العمران. وأول هذه الأهداف وعمودها الأساس، حسب ما يبدو لنا، هو الفطنة لمستجدات أمور المستقبل قبل وقوعها، لمعرفة ما يجب القيام به من أدوار بعد ذلك. ويخيل إلينا أنه بقدر ما صرحوا بذلك، لحسن الحظ ، في

---

[102]. أبو العتاهية، الأورجوزة ذات الأمثال، إخراج وتعليق، أبي يعلى البيضاوي، ص 3 على الرابط الالكتروني الآتي:
https://www.quranicthought.com/ar/books/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B1%D8%AC%D9%88%D8%B2%D8%A9-%D8%B0%D8%A7%D8%AA-

[103]. شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب،، ج، 13، تحقيق علي مفيد قميحة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى،1424هـ/ 2004م، ص 8

[104]. مسكويه، تجارب الأمم، ج، 1، ص. 59

[105]. مسكويه، تجارب الأمم ، ج، 1، ص. 59

[106]. السخاوي، الإعلان بالتوبيخ ، ص. 47

[107]. أبو علي أحمد مسكويه، تجارب الأمم ، ج، 1، ، ص. 59

[108]. أبو علي أحمد مسكويه، تجارب الأمم ، ج، 1، ص. 59

[109]. انظر ابن القيم الجوزية، مدارج، ص. 2698

بعض مقدمات كتبهم في الغالب، أو حين تناول موضوع التاريخ على قلته، بقدر ما كانوا يضمرون ذلك حقيقة في شعورهم ولا شعورهم الذاتي والجمعي، وهم يدونون ما تيسر لهم من تجارب الأمم ووقائع والعمران.

وعليه، فالمأمول من أهل التاريخ في زمننا هذا، ومن سيأتي بعدهم في مقبل الأيام والأعوام، والسنين والقرون، النهوض بواجبهم التاريخي. ذلك؛ باستثمار المصرح به عند القدامى، ومحاولة الافصاح عن المضمر فيما دونوه من التجارب والوقائع، لتطوير علم المستقبل. هذا العلم الأصيل في عمل أهل التاريخ كما تبين. ويستوجب ذلك العمل على بذل مزيد من المجهود للتدقيق في تحديد الأهداف، ودقة موضوع أو مواضيع العمل، ثم تطوير مناهج وآليات الاشتغال، كذا سبل امتلاك القدرات والملكات، المساعدة على توقع أمور المستقبل، بضبط قوانينها ومعرفة علاماتها عبر سائر الأزمان. ولعل هذا ما حاول ابن خلدون فعله في مقدمته، بدليل أنك تجده بعد ذكر بعض المبادئ أو القوانين المتحكمة في أحوال العمران البشري ووقائعه، يكثر من قول "واعتبر ذلك ب أو في"[110]. فماذا نحن فاعلون بعده؟

إنها غاية كبرى تشد إليها الرحال. ويحتاج المقبل عليها إلى الإرادة والصبر والعلم والحزم، كما يحتاج إلى حسن السياسة والتدبير والتضحية وانفاق الأموال. ويجب أن يتحمل أهل التاريخ وغيرهم، مشاق ذلك في كل زمان ومكان. وكذلك الحال أهل السياسة والحكم ممن يدبرون شؤون الناس في جميع الحكومات والدول عند سائر الأمم، قياما بالواجب لخدمة الصالح العام، خصوصا في زمن المحن والفتن وغلاء الأسعار، وما يرافق ذلك من خراب ودمار، في زمن الحروب والقتل الاقتتال، وربما زوال الحضارات والدول، كما حصل وربما سيحصل في زمننا هذا.

ورحم الله مسكويه إذ قال " شتّان بين من كان بهذه الصورة". يقصد الفطن لأمور المستقبل قبل وقوعها، " و بين من كان غرا غمرا لا يتبين الأمر إلا بعد وقوعه و لا يلاحظه إلا بعين الغريب منه، يحيره كل خطب يستقبله و يدهشه كل أمر يتجدد له"[111]. والكلام هنا أيضا واضحا عند مسكويه، بخصوص ضرورة توقع الأمور قبل وقوعها، ليعرف الإنسان كيف يقبل عليها بخبرة تاريخية وعلمية وباطمئنان في الشخصية. ونشاطره الرأي إذ جعل ذلك من علامات الفطنة والذكاء. وصدق النبي ﷺ إذ قال: ما أودع الله عبدا عقلا إلا استنقذه به يوما"[112]. وأصاب الرأي مهدي المنجرة، إذ اعتبر" التهوين من الأهمية الاستراتيجية للدراسات المستقبلية سمة حادة من سمات التخلف". ذلك؛ " لأن التطور لا يسري في شعب إلا إذا مكن نفسه من وسائل التفكير في المستقبل[113]. وأول هذه الوسائل العلم وحسن استعمال العقل. وصدق القائل: " ذو العقل لا تبطره المنزلة السنية، كالجبل لا يتزعزع وإن اشتدت عليه الريح. والسخيف تبطره أدنى منزلة، كالحشيش تحركه أدنى ريح"[114].

---

[110]. انظر على سبيل المثال في المقدمة، ج، 1، الصفحات الآتية: ص 157. 200. 255

[111]. مسكويه، تجارب الأمم، ج، 1، صص. 59. 60

[112]. الزمخشري، ربيع الأبرار، ص. 441

[113]. المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، ص 296.

[114]. الزمخشري، ربيع الأبرار، ص. 445

زبدة القول، نأمل أن ينقذ استعمال العقل، وعلم المستقبل، الأصيل في الشرع والتراث والوجدان وعمل المؤرخ بالعالم الإسلامي، كما تبين في حدود الإمكان، من الكبوة اللتين وقعا فيها منذ قرون طوال. ولا مشاحة أن في ذلك انقاذ لأمتنا من التبعية والتأخر الحضاري. وفي ضوء هذا الكلام، تتجلى على الحقيقة أهمية علم المستقبل، كما أصل لها القدامى. تماما مثلما تتجلى حسب أحد المعاصرين في طرح سؤال: "كيف يمكننا اللحاق بالركب الحضاري الإسلامي ونستدرك ما فاتنا من الوقت الضائع؟ "[115]. أما نحن فنطرح سؤال ما موضوع عمل المؤرخ وآليات اشتغاله للمساهمة في تطوير اهتماماته بعلم المستقبل؟

2. موضوع علم المستقبل بين الأنا وبين الآخر مساهمة في إغناء الحوار والنقاش.

معلوم أن كل علم له اسمه وأصوله وفروع ومسائله وفوائده وأغراضه، كما له موضوعه أو مواضيعه. ومن العلوم ما هو" يقيني الأصول، ظني الفروع"، مثل علم الفراسة[116]. هذا العلم الذي يحمل في دلالته المفهومية وتطبيقاته العملية، ما يدخل في حكم وأهداف علم المستقبل. وجدير بالإشارة أنه يجب التفريق أثناء التعامل مع سائر العلوم، سيما عند محاولة وضع أسسها الأولى، بين ما يدخل في زمرة الأهداف، وبين ما يدرج ضمن موضوع العمل لبلوغ هذه الأهداف. ذلك لتفادي الخلط بينهما. وغير ذي شك أن تحديد المواضع بدقة، يعتبر من الأركان الضرورية للحسم بين ما ينتمي من المجالات المعرفية إلى دائرة العلوم، وبين ما هو خارج منها. تماما مثلما يمكن من التمييز بين علم وبين آخر، إذ تختلف العلوم والتخصصات العلمية باختلاف مواضيعها. ومن الأمثلة الدالة على ذلك، تمييز ابن خلدون بين علم التاريخ، وبين علمي الخطابة والسياسة[117]، من خلال التمييز بين موضوع كل واحد منها.

لذلك تنشد هذه الورقة الاسهام في إغناء الحوار والنقاش بخصوص موضوع أحد أهداف علم المستقبل، في انسجام تام مع مقاصد ورهانات هذه الورقة، التي تدور حول علاقة المؤرخ بأمور وعلم المستقبل. وصدق ابن خلدون إذ قال: "إذا كانت كل حقيقة متعلقة طبيعية يصلح أن يبحث عما يعرض لها من العوارض لذاتها، وجب أن يكون باعتبار كل مفهوم وحقيقة علم من العلوم يخصه[118]. تأسيسا على ذلك، لا جرم أن توقع مستقبل العمران البشري في بعده الإنساني الاجتماعي، بمختلف أموره وأحداثه ووقائعه، يحتاج إلى علم خاص به، كما يحتاج هذا العلم إلى موضوع دقيق يعنى بدراسته.

وعليه، واضح في ضوء ما تقدم أن اسم العلم المعني بالأمر ههنا هو : "علم المستقبل". والراجح أنه يجوز إطلاقه بصيغة المفرد، بناء على ما حددناه له من هدف أساس، كما استخلصناه من عند أهل التاريخ، ورغم تعدد تخريصات الإنسان بخصوص الأمر الواحد. وقد تبين بالأدلة الساطعة البرهان، أن هذا الهدف العام يدور حول: "محاولة الفطنة لأمور المستقبل ومستجدات وقائع الزمان والعمران قبل حدوثها، لمعرفة ما يجب اتخاذه من مواقف والقيام به أدوار في المستقبل". وغير ذي شك أن هذا الهدف النبيل الذي يشكل أحد أسباب نهضة

---

[115]. المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، ص 294.

[116]. فخر الدين الرازي، الفراسة... م س، ص. 30. 31

[117]. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ، ج، 1، ص. 128

[118]. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ، ج، 1، ص. 129

الشعوب والأمم، وقوة الحضارات والدول، يحتاج إلى تحديد موضوعه أو مواضيعه بالدقة والتمام. وهذا ما نسعى إليه في بداية رحلتنا مع علم المستقبل.

هذا العلم الذي أرجو من الله تعالى أن تطول رحلتي معه، إن كان فيه خير للذات والمجتمع والأمة...، وفق مقاصد الشرع واجتهادات العقل البشري في انسجام مع ذلك، ولما لا أن أقضي فيه باقية عمري كما قال أينشتاين سابقا، نقلا عن مهدي المنجرة"[119]، وذلك في ضوء تفاعله مع علم التاريخ. كما أرجو أن يسفر هذا التفاعل بينهما عن ميلاد علم فرع علمي جديد، مثلما يولد بالأساس أيضا من تفاعل المادة الاخبارية للحاضر، مع المادة الاخبارية للماضي، في مختبر الذهن البشري. وهذا ما اصطلح عليه في الزمن الراهن ب: "الكيميا.تاريخ"، باعتباره أحد آليات عمل المؤرخ في علاقته بمحاولة توقع أمور المستقبل قبل وقوعها، كما سيتبن لاحقا أثناء الحديث عن قضايا منهج العمل.

ذلك؛ لأنني أحسبه .علم المستقبل .كما تبين لي في الوقت الحالي من العلوم الجليلة، التي يجب أن تكون مستقلة ومهيكلة. تماما مثلما تبين أنه أصيل في علم التاريخ، وربما من رحمه خرج إلى الوجود ببدن سليم وصحيح، إذ هو من أهدافه النبيلة المنسجمة في بلاد الإسلام مع مقاصد الشريعة. والواقع أن أصوله ثابتة في القرآن والسنة النبوية الشريفة. ولذلك يبدو أنه مثل علم الفراسة "يقيني الأصول، ظني الفروع"[120]. والحال أن الإسلام "طرح فكرة التطلع للمستقبل"[121]. وهذا أمر واضح للخاص والعام، لأن مستقبل الانسان مرتبط بعقيدته و سعيه وما يمارسه في الوجود من أعمال. والحقيقة أن كتب الفراسة تشكل مدخلا مهما لهذا العلم، لأنها تتجاوز بالأدلة العملية فراسة أحوال الرجال في أبعادها الذاتية الفردية، إلى توقع أمور المستقبل فيما يهم أحوال المجتمعات والدول، أي البنيات الاجتماعية الكبرى.

استئناسا بالمضامين العامة لما سلف ذكره، جدير بالقول أنني أحدد موضوع هذا العلم في محاولته الأولى، في دراسة مجريات أمور ووقائع الزمن المعيش، والقرارات المتخذة فيه وطنيا ودوليا، كذا مختلف أنماط الفعل البشري الفردي والجماعي، بأبعادها الدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية والقيمية والعرقية....، مع النظر فيها في ضوء مقارنتها بأمثالها وأشباهها من تجارب الماضي، بقصد فقه قوانين تكرارها وحدوث أمثالها في المستقبل. وبصيغة أخرى، يختزل هذا الموضوع في علاقته بمفهومنا الذاتي السالف الذكر لمصطلح المستقبل، في دراسة كل ما يتعلق بمجريات الاجتماع البشري في زمن الحاضر، بمختلف إجراءاته وقراراته، ووقعات عمرانه، و طبيعة قيمه و ثقافته، وفعله الاجتماعي، بمختلف أنماطه، فعلا وتفكيرا وإحساسا...، كذا معتقداته الدينية وغير ذلك، مما يجب مقارنته بأمثاله من أمور ووقائع الماضي، لمعرفة ما ينتظر حدوثه من أشباهها في المستقبل.

ويعطي نوعا من المصداقية والبعد العلمي لهذا الاجتهاد الفكري الحالي بخصوص موضوع علم المستقبل، كونه لا يكاد يختلف في شيء عن موضوع علم التاريخ عند ابن خلدون، سوى في عنصر الزمن وربما طريقة العمل،

---

[119] .المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، ص 41

[120] .الرازي، الفراسة ، ص. 30. 31

[121] .محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ج، 1، طور التكوين، ط، 4، ص. 208

والصيغة اللغوية بطبيعة الحال. وهذا الاختلاف الأساسي بينهما، هو الذي اعطى هذا الفرق الطبعي والمنطقي في طبيعة الموضوع، إذ كلاهما يشتغل على موضوع أساس هو الاجتماع الانساني والعمران البشري بتعبير ابن خلدون.

ولمزيد من البسط والتوضيح، لا مشاحة في القول إن علم التاريخ يشتغل على الموضوع المذكور في الزمن الماضي والحاضر، كما يراهن على استشراف المستقبل، ومحاولة توقع مستجدات أموره قبل وقوعها. لذلك، اختزل ابن خلدون حقيقته وحدد موضوعه في كونه " خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال"[122].

أما علم المستقبل، فلا جرم أنه يعنى أيضا بموضوع الاجتماع الانساني والعمران البشري في زمن الحاضر، لعل الناظر فيه والمشتغل عليه يتمكن من توقع مستجدات أموره قبل حدوثها في المستقبل. ومن ثم يتبين أن مجريات الحاضر، الذي يمكن أن يشمل سنوات متعددة من عمر الناظر في أمور المستقبل، مؤرخا كان أم غير مؤرخ، هي موضوع عمله لبلوغ أهدافه المستقبلية. وغير ذي شك أن يحتاج في ذلك إلى طرق ومناهج عمل، سنشير إلى بعضها بعد نهاية الحديث موضوع العمل

ومعلوم أن مجريات حاضر العمران البشري، التي هي في الأصل والحقيقة، جميع أنماط الفعل الاجتماعي، بمختلف أبعاده ومظاهره في سائر البنيات الاجتماعية من أبسطها إلى أعقدها، هي بطبيعة الحال سبب ما يحدث في هذا العمران من تطورات وتغيرات، وما يعرض له من أحوال. و غير ذي شك أن الإنسان لا يمكنه أن يحصي أو يعرف، ولو في برهة قليلة من الزمن، غالبية هذه الأفعال. وهذه واحدة من الصعوبات المحيطة بمحاولة توقع أمور المستقبل. وبالرغم من ذلك، فالأكيد أنه يمكن تقسيم هذه الأفعال إلى جملة أصناف، إذ منها ما ينتمي إلى صنف القرارات و الإجراءات المتخذة، سواء على المستوى الداخلي أم الخارجي، ومنها ما يدخل في صنف الأفعال الدالة على سلوك الأفراد في مختلف البنيات والمجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية والدينية .... وغيرها.

والحقيقة أنها كلها رموز وعلامات تشكل في زمن الحاضر موضوع دراسة بالنسبة للناظر في أمور المستقبل. ولا مندوحة أن التعامل معها يختلف باختلاف شكلها وطبيعتها، إذ هي بالنسبة إلينا مسائل علم المستقبل، التي يمكن أن يختص في كل واحدة منها، علم خاص بها. تماما مثلما خصصنا مهمة المؤرخ في علاقته بعلم المستقبل، في محاولة الفطنة لمستجدات العمران البشري قبل وقوعها. لذلك حاولنا التمييز في الدراسات التاريخية، كما سبق بيانه، بين التخطيط للمستقبل، عبر وضع خطط وبرامج واستراتجيات، لتحقيق غايات ومقاصد معينة، اقتصادية كانت أو سياسية أو قيمية واجتماعية أو غيرها، وبين قراءة التاريخ ومطالعة أخبار الماضي، بقصد فهم

[122].عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ، ج، 1، ص. 125

سائر أمور وأعمال ووقائع مجريات الحاضر، للانطلاق منها، بقصد محاولة استبصار وتوقع ما ينتظر حدوثه من أمور ومستجدات وقائع العمران، خصوصا غير المخطط لها، قبل وقوعها في المستقبل.

تأسيسا على ذلك، جدير بالإشارة أنه يجب التمييز أيضا، أثناء محاولة تحقيق هذا الهدف الأساس من أهداف علم المستقبل، خصوصا من قبل أهل التاريخ، بين نوعين اثنين من الأهداف، أحدهما يبدو صعبا، والآخر أقل صعوبة منه نسبيا، على مستوى تحقيق المقاصد والغايات. أما اليسير فهو كل ما يتعلق بمحاولة توقع أمر مستقبلي مرتبط في مادته الاخبارية بمسألة اتخاذ قرار داخلي. إذ بمعرفة طبيعة ومضامين ذلك القرار، وما يمكن أن يترتب عنه نتائج وانعكاساته في علاقته بما هو وطني ودولي وغيره، يمكن الفطنة لما ينتظر حدوثه من أمور في المستقبل، وربما تم استبصار ذلك وتفرسه بدقة عالية، في حال ما إذا توفرت الأسباب والعلامات والقدرات والملكات اللازمة لذلك. سيما إذا كان الأمر يتعلق بنوع من القرارات، المحكومة في طبيعتها بقواعد وقوانين ونظريات علمية منهجية، فتكون آثارها ونتائجها المتعددة، واضحة في ضوئها عند من يعرفها، مثل قضايا الأسعار وسعر الصرف والعملة ومعلوم الدخل... وغيرها. وهذه واحدة من مسائل علم المستقبل، كما نتحدث عنه، التي يمكن التخصص فيها وهيكلة فرع علمي خاص بها.

، أما الهدف الصعب، فهو كل أمر يراهن على وضع توقعات للمستقبل من خلال قراءة رموز وعلامات مختلف أنماط الفعل الاجتماعي للناس في سائر البنيات والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية والدينية... على الصعيد الوطني والدولي، خصوصا ما يتعلق منها بطرق الكسب والمعاش والمعاملات والقيم والتعبد ومستوى رسوخ الحضارة...، وطريقة التعبير عن الأحوال في الرضى الغضب، والصحبة والمعاشرة، والزواج والطلاق، وفي غيرها من سائر العلاقات التي تجمع بعضهم ببعض، من جهة، ثم في علاقتهم بأهل السياسة والحكم وأعونهم من جهة أخرى، ثم في علاقة كل هذا بما هو خارجي مع استحضار السمات العامة الداخلية والخارجية والخصوصيات الحضارية، والواقع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الدولي والوطني، من جهة ثالثة.

والحقيقة أننا سنكون سعداء إذا استطعنا أن نساهم برأي علمي مقبول، يخص تدقيق أحد مواضيع علم المستقبل، في ضوء ما هو أصيل عنه عند أهل التاريخ. كذا المساهمة في تحديد بعض طرق عمل المؤرخ لتطوير هذا الفرع العلمي، كي يصبح مستقلا ومهيكلا في المستقبل باستقلال موضوعه وتميزه عن غيره. وهو أمر تحيط به صعوبات كثيرة، منها صعوبة التعامل مع الظواهر التاريخية والاجتماعية، لأن الإنسان يشكل الحلقة الأساس فيها، وهو أعقد ما في الوجود من حيث الدراسة والفهم. ومن ثم، يصعب ضبط قوانين تكرارها وانتظار حدوث أمثالها، وهكذا يكاد يبدو هذا العلم الذي طاله الإهمال والنسيان كأنه " غير ذي جدوى"، كما قال جورج فريدمان في محاولة استشرافه للمائة أعوام القادمة للقرن 21[123]. بيد أنه على العكس من ذلك تماما لمن فقه علاماته وامتلك أسبابه وقدراته وملكاته ومناهجه.

[123]. جورج فريدمان، الأعوام المائة القادمة استشراف للقرن الحادي والعشرين، نقله إلى العربية، منذر محمود محمد، ط، 1، دار الفرقد، دمشق. سورية، 20019م، ص. 13

3. منهج الاشتغال في ضوء تجارب القدامى والدراسات الحديثة

بداية، جدير بالإشارة أن رواد الدراسات المستقبلية المعاصرة يجمعون على أن هذه "الدراسات تعد حدثا معاصرا انطلق مع نهاية الحرب العالمية الثانية، وكانت الدراسات الأولى من هذا النوع قد تمت على يد شركة راند الأمريكية لحساب البنتاغون. لذلك يجد الباحث في هذا المجال والمتتبع له علاقة وطيدة بين الدراسات الاستراتيجية، وبين الدراسات المستقبلية"[124]. وقد ارتبط ظهورها والحاجة إلى استشراف المستقبل ومعرفة آفاقه، بالضرورات العسكرية والاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية عقب نهاية الحرب السالفة الذكر، لتقتحم الدراسات المستقبلية بعد ذلك ميادين مدنية ذات توجهات تجارية وتكنولوجية وتعليمية وفكرية[125].

ولم تزدهر دراسات المستقبل ازدهارا ملموسا، حسب مهدي المنجرة، إلا في الستينيات، "حيث شهدت توسعا وانطلاقا حقيقيين"[126]. بيد أنه سبق البيان أن جذور هذه الدراسات أصيلة في الشرع والتراث والوجدان بالعالم الإسلامي، سيما عند بعض المؤرخين، الذين كانوا يشتغلون وفق آليات وطرق عمل لبلوغ الأهداف والمقاصد المستقبلية، وعلى رأسها محاولة الفطنة لمستجدات أمور ووقائع العمران قبل وقوعها، لمعرفة ما يجب القيام به من أدوار في المستقبل. وهي غاية صعبة ومحاطة بصعوبات كبرى، خصوصا المنهجية منها، التي يصعب الفصل فيها، بين ما له صلة بالعلم المكتسب، وبين بما له علاقة بالخصوصية الذاتية للأحوال الشخصية الايمانية والعلمية وغيرها، إضافة إلى يمكن أن يطلق عليه بالموهبة الربانية في علاقتها بهذه الأحوال والخصوصية الذاتية. ولا أخال أحدا من المعاصرين يجادل في هذه المشكلة المنهجية.

عمليا، بقدر ما باتت هذه الدراسات، حسب روادها المعاصرين، ضرورة حتمية لأي تقدم أو تطور، بقدر ما نتجت عنها إشكاليات متعددة، منها ما يرتبط بمسألة التحقيب وأزمة ضبط التعريف وضبط المفهوم، كذا توظيف المقاربة المنهجية المناسبة، ومن ثم بلورتها في قالب منهجي نظري متماسك كفيل بمعالجة الظاهرة الإنسانية بكافة جوانبها، وفي سياقها الزمني المتواصل، مع التركيز هنا على البعد المستقبلي للظاهرة[127]. وبالرغم من تعدد الأساليب والمناهج التي تستند إليها الدراسات المستقبلية حسب ما ورد في دراسة متخصصة، مثل المنهج الحدسي والاستكشافي والاستهدافي والشمولي والتصوري وغيرها[128]، فما تزال المنهجية والأدوات البحثية لهذه الدراسات غامضة المعالم، كما تزال محل جدال واسع بين شتى مفكري التيارات والمدارس الفكرية"[129]..

لذلك، سأحاول أن أشير في هذا المبحث إلى بعض طرق وآليات العمل، من خلال ما توصلت إليه في الوقت الحالي من معلومات وأفكار في هذا الباب، سواء الذاتية منها أو ما تم استخلاصه من بعض قدامى المؤرخين، ورواد الكتابات المستقبلية المعاصرة أيضا. وإذ لا غنى لأحد بطبيعة الحال عما وصلت إليه هذه الدراسات من حصيلة

---

[124]. المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، ص 295.

[125]. رابح عبد الناصر جندلي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي ... م س، ص. 27. 28

[126]. المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، ص 295.

[127]. رابح عبد الناصر جندلي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي، ص. 44

[128]. رابح عبد الناصر جندلي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي، ، ص. 38

[129]. رابح عبد الناصر جندلي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي، ص. 37

وإنتاج فكري في هذا المجال، سواء كان معرفيا أم منهجيا، فالمعلوم أنه يبقى لكل باحث حق النقد والرفض والاضافة والتجديد...، لبلورة رؤيته العلمية بخصوص قضايا المستقبل، وفق طريقة عمله ومنهجيته الخاصة. لذلك نعلن في بداية الحديث عن هذه القضايا المنهجية، أن أول قضية منهجية يجب أن يراعيها وينطلق منها المؤرخ الراغب في توقع أمور المستقبل قبل حدوثها، هي التعامل مع أمور التاريخ باعتبارها ظواهر تاريخية، أي واقعات عمران بشري ، تتكرر أبد الدهر، وينتظر حدوث أمثالها وأشباهها في المستقبل. ذلك؛ لأن هذا التكرار محكوم بقوانين، أي بضوابط وسنن، تماما مثلما أن من سمة الظاهرة التكرار.

هذه القضية المنهجية لم تأتي في الحقيقة من فراغ، بل لها ما يسندها ويؤكدها بقوة في عمل أهل التاريخ بالعالم الإسلامي منذ القرون الوسطى. سيما فيما له علاقة بمحاولة الفطنة لمستجدات أمور الاجتماع الإنساني في المستقبل. ما يعني قبل بيان ذلك، أن مصطلح الظاهرة أصيل في علم التاريخ قبل علم الاجتماع المعاصر. وسيتبين كما فعلنا في دراسة سابقة، أن الغاية من رصد الظواهر والعناية بها، هو ضبط القوانين المتحكمة في تكرار، لفهم مجريات الحاضر، ومن ثم، امتلاك أحد قدرات استشراف المستقبل.

والمؤسف أننا تخلفنا كثيرا، مقارنة بالغرب، في التعامل مع التاريخ البشري، بمنطق الظواهر رصدا وتتبعا ومقارنة واستقراء واستنباطا، من أجل استبصار وتوقع أمور المستقبل قبل وقوعها. والمؤلم أن الأمر أصيل في عمل قدامى أمتنا من المؤرخين. فما أسباب ارتكاسنا ونكوصنا على أعقابنا في مسألتي الظاهرتية التي قطع الغرب فيها أشواطا كبرى، وكذلك الحال في الاهتمام بعلم المستقبل، الذي يهتم به الغرب في الزمن الراهن، لأغراض عسكرية وسياسية واقتصادية... وحضارية، تستهدف في العمق دوام السيطرة والتحكم في باقي الشعوب، خصوصا في زمن ما يسمى بالليبرالية الجديدة[130] في زمن الناس هذا.

ولا ريب أن هذا الأمر مستحيل، إذ دوام الحال من المحال، والأيام بين الناس دول. ولعله آن آوان تبدل الأحوال والأفعال، بالشكل الذي تتبدل معه الحضارات والدول، كما حدث في سابق الأيام في أواخر حضارات الفرس والروم والعرب، والأرجح أنه نفس واقع حال حضارة الغرب الرأسمالي اليوم، بمنطق الظاهرتية وما يحكمها من قوانين التكرار في الحاضر والمستقبل. والأغلب على الظن أنه لا حظ جميل لعلم المستقبل، من دون التعامل مع التاريخ البشري بمنطق الظواهر، أي بمنطق "وقائع العمران"، التي ترادف، حسب محمود إسماعيل، مصطلح "تجارب الأمم" عند مسكويه.

وبالرغم من اختلافنا معه في هذا الزعم، كما سبق بيانه، فالأرجح أنه لا اختلاف في كون هدف المؤرخ من العناية والاهتمام بتجارب الأمم، هو نفسه المتوخى من رصد وتتبع واقعات العمران بتعبير ابن خلدون، وهي ذاتها الظواهر

---

[130] .حول بعض مميزات الليبرالية الجديدة انظر ما يلي:

. ديفد هارفي، الليبرالية الجديدة، موجز تاريخي، نقله إلى العربية، مجاب الإمام، الطبعة العربية الأولى، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، 1429هـ.2008م، ص. 13

.روبرت دبليو ماك تشيزني، الربح مقدما على الشعب، النيوليبرالية والنظام العالمي، لنعوم تشومسكي ،ترجمة، لمى نجيب، آفاق ثقافية، العدد، 99، الهيئة السورية للكتاب، دمشق، تموز، 2011م، ص. 7

بلغة العصر. ويتجلى هذا الهدف في محاولة توقع أمور المستقل. ذلك؛ لأن "التجارب تمثل عواقب الأمور"[131]. وهكذا يتبين أن منطق الظاهرتية بمقاصده المستقبلية، أصيل في عمل قدامى الأمة من المؤرخين، بل وشرحوا بعض مناهج التعامل مع الظواهر من أجل تحقيق هذه القاصد المستقبلية السالفة الذكر، والتي حددوها بدقة في محاولة الفطنة لمستجدات العمران قبل وقوعها، ثم معرفة ما يجب القيام به من أدوار بعدها.

وحسبك من القرائن الدالة على صدق ذلك في قول مسكويه: " "بقراءة أخبار البلدان، وكتب التواريخ، وتصفح أخبار الأمم، وسير الملوك، يجد المهتم، ما تستفاد منه تجربة، في أمور ما يزال يتكرر مثلها، وينتظر حدوث شبهها وشكلها، مثل نشوء الدول والممالك، ودخول الخلل فيها بعد ذلك، وتلافي من تلافاه وتداركه إلى أن عاد إلى أحسن حال"[132]. ونفس الشيء أكده السخاوي بخصوص" ما يتصل بذلك من الأحوال التي يتكرر مثلها وأشباهها أبدا في العالم"[133]. وغير ذي شك أن كلام هؤلاء القدامى، يثبت أن التاريخ البشري في حقيقة أمره، تاريخ ظواهر وواقعات عمران متكررة، وأنهم فهموه وتعاملوا معه بهذا المنطق، وفي ضوء ذلك أصلوا أحد أسسهم المنهجية لعلم المستقبل. والراجح أننا لا نبالغ إذا قلنا أن هو أيضا أصل مبدأ التماثل في الدراسات المستقبلية المعاصرة، الذي يهتم بتكرار بعض أنماط الحوادث على نمط متشابه من فترة زمنية إلى أخرى[134].

والحقيقة أن منطق الظاهرتية عند قدامى المؤرخين، له قضايا وأبعاد منهجية أخرى، تخدم الأغراض والاهتمامات المستقبلية. أما القضية المنهجية الأولى منها، فهي محاولة ضبط ومعرفة القوانين المتحكمة في تكرار الظواهر، لأنها في نظر ابن خلدون، ثابتة، و تعقبها في بطون التاريخ بالملاحظة والدراسة والمقارنة، يمكن الباحث من الكشف عما يحكمها من قوانين، استنادا إلى قراءة معاصرة[135]. وقد سبق البيان أن التاريخ لا يخضع في سيرورته للعبث، بل محكوم بسنن، أي بضوابط وقوانين. وقد كان القدامى على بينة أن الوقوف على واقعات والعمران التجارب، وتأمل سيرة الماضين من الأقوام، يمكن من علم علل الأحوال"[136]. مثلما كانوا على علم أن هذه العلل هي التي تجعل أموره تتكرر. إذ "لا يحدث أمر إلا وقد تقدم هو أو نظيره"[137]، لأن "أمور الدنيا متشابهة، و أحوالها متناسبة"[138]. ولذلك قيل: ما أشبه الليلة بالبارحة، والغادية بالرائحة[139]، كما قيل "الماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء"[140]، وفي السياق نفسه يقول الشاعر[141]:

---

[131]. الزمخشري، ربيع الابرار ص 446

[132]. مسكويه، تجارب الأمم، ج، 1، ص. 59

[133]. السخاوي، الإعلان بالتوبيخ ، ص. 32. 33

[134]. رابح عبد الناصر جندلي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي، ص. 36

[135]. عبد الله محمد الدرويش، تقديم كتاب، المقدمة لعبد الرحمان بن خلدون، ج، 1، ص. 61

[136]. أبو شجاع محمد بن الحسن، ذيل كتاب تجارب الأمم، ص 7

[137]. السخاوي، الإعلان بالتوبيخ ، ص. 47

[138]. مسكويه، تجارب الأمم ، صص. 59. 60

[139]. أبو راس الناصر المعسكري، زهر الشماريخ في علم التاريخ، ص 26

[140]. ا بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**

، ج، 1،.ص. 93

تبين أدبار الأمور إذا مضت وتقبل أشباها عليك صدورها

والواقع أن المنطق السليم يقود إلى القول إنه مثلما تخضع الظواهر الطبيعية والفزيائية لهذا الكون الذي خلقه الله عز وجل، بقوانين ما زال الإنسان يكتشفها بالتدرج يوما بعد يوم، فلابد أن تتحكم في سيرورة ظواهره الاجتماعية الانسانية، قوانين توجه مساره إلى غايته المحتومة، كما تتحكم في تكرار أموره ووقائه، كلما تكرر أسبابها، رغم اختلاف الزمن والمكان. ولذلك قيل " إن حركة التاريخ ليست عشوائية وإنما محكومة بسنن حتمية"[142]. والحال أن بعض الأمم التي عرفت فضل التاريخ، وحاولت أن تتعرف على مساره وما وراء حوادثه، حاولت أيضا اكتشاف القوانين والقواعد التي تحكم مساره ومجراه، كما حاول ابن خلدون ذلك في مقدمته".[143]

أما القضية المنهجية الثانية، فهي ضرورة القيام بالمقارنة بين الظواهر وقياس الحاضر منها على الغائب، إذ لا سبيل لضبط القوانين التي تمكن من معرفة مستجدات المستقبل، إلا بهذه المقارنة والقياس لفهم علل الأحوال والأسباب المتحكمة في تكرار أمور ووقائع التاريخ. لكن هذا يستوجب بالضرورة مراعاة التغيرات الحاصلة، وهل لها تأثير في المسألة المعنية بالأمر أم لا. إذ "ما دامت الأمم والأجيال ، حسب ابن خلدون، تتعاقب في الملك والسلطان لا تزال المخالفة في العوائد والأحوال واقعة، والقياس والمحاكاة للإنسان طبيعة معروفة ومن الغلط غير مأمونة، تخرجه مع الذهول والغفلة عن قصده وتعوج به عن مرامه فلربما يسمع السامع كثيرا من أخبار الماضين ولا يتفطن لما وقع من تغير الأحوال وانقلابها، فيجريها لأول وهلة على ما عرف، ويقيسها بما شهد، وقد يكون الفرق بينهما كثيرا فيقع في مهوى الغلط"[144]."ما يعني أن الباحث المستقبلي إذا ما أريد له دراسة وتحليل مثلا أية ظاهرة اجتماعية أو سياسية معينة، يجب أن يضعها في سياقها الزمن المتواصل للوقوف عند كينونتها، أي كيف كانت الظاهرة في الماضي، وكيف أصبحت في الحاضر، وكيف ستكون في المستقبل[145]. وهنا لا بد من الإشارة إلى مسألة أساس وهي أن أمور ووقائع الحاضر، هي التي تقارن وتقاس بأمور ووقائع الماضي، وليس العكس. ذلك لأن الأصل في هذه الدراسات والمقاصد المستقبلية عند أهل التاريخ قبل غيرهم هو الحاضر. ومن دلائل ذلك قول الشاعر:

إن اختفى ما في الزمان الآتي فقس على ما مضى من الأوقات[146]

---

[141].علي بن محمد بن حبيب الماوردي، **الأمثال والحكم**،. ص. 138

[142].محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ج، 1، طور التكوين، ط، 4، ص 208

[143].حسين مؤنس، التاريخ والمؤرخون، دراسة في علم التاريخ، ماهيته وموضوعه ومذاهبه ومدارسه عند أهل الغرب وأعلام كل مدرسة وبحث في فلسفة التاريخ ومدخل إلى فقه التاريخ، ط، 2، دار الرشاد، 1421هـ/ 2001م، ص. 6

[144].عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ج، 1، ص. 117

[145].رابح عبد الناصر جندلي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي، ص. 24

[146].أبو العتاهية، الأورجوزة ذات الأمثال، إخراج وتعليق، أبي يعلى البيضاوي، ص 3 على الرابط الالكتروني الآتي:
https://www.quranicthought.com/ar/books/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B1%D8%AC%D9%88%D8%B2%D8%A9-%D8%B0%D8%A7%D8%AA-

ويستفاد من هذا البيت الشعري أن الأصل في أمور المستقبل، هو الظهور والبيان والوضوح، لكن إذا اختفت، وجب عندئذ، قياس حاضر الأمور على ماضيها، لأن الماضي فات، والمستقبل لا وجود له بعد. ويؤكد هذا الأمر سلامة اختيارنا لمجريات الحاضر بمختلف أحواله ومسائله، موضوعا لعلم المستقبل.

وفي السياق نفسه يقول ابن خلدون : "يحتاج صاحب هذا الفنّ . يقصد علم التاريخ . إلى العلم بقواعد السّياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والأعصار في السّير والأخلاق والعوائد والنّحل والمذاهب وسائر الأحوال **والإحاطة بالحاضر من ذلك** ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو بون ما بينهما من الخلاف، وتعليل المتّفق منها والمختلف، والقيام على أصول الدّول والملل، ومبادئ ظهورها، وأسباب حدوثها، ودواعي كونها، وأحوال القائمين بها وأخبارهم حتّى يكون مستوعبا لأسباب كلّ حادث، واقفا على أصول كل خبر"[147]. تماما مثلما قال: " إن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد **والحاضر بالذاهب**، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق"[148].

وصدق المنجرة إذ قال" إذا كان تحليل الحاضر جديا، فإننا نعرف نقطة الانطلاق[149]. كما أصاب إدغار موران الرأي لما اعتبر "معرفة الحاضر ضرورية لمعرفة المستقبل"[150]. ومن فرضيات الدراسات المستقبلية، أنه يجب النظر إلى المستقبل على أنه امتداد طبيعي لما كان قائم في الماضي أو ما هو قائم فعلا في الحاضر، أي أن الرؤية المستقبلية ليست رهينة الأساليب الإسقاطية"[151] أما نحن فنقول إن الحلقة الأساس في وضع توقعات المستقبل، هي الحاضر الذي يعيشه المؤرخ، باعتباره الواقع الذي يعنى برسم آفاقه، أما الماضي فهو المرآة التي يرى فيها هذا الواقع، وينعكس في ضوئها أفق المستقبل، لا بالإسقاط، بل بالدمج والخلط والتفاعل. وهذا مدخل القضية المنهجية الثالثة، التي اطلقت عليها مصطلح "الكيميا.تاريخ".

ذلك؛ أنه بعد المقارنة والقياس، يجب على الناظر في أمور المستقبل، سيما المؤرخ بالأساس، لا الربط بين الحاضر والماضي، بل خلط ودمج المادة الاخبارية لهما في مختبر الذهن، بقصد أن ينتج عن هذا الخلط وما يترتب عنه من تفاعل بين هذه المواد الإخبارية لزمن الحاضر، وبين المواد الاخبارية لزمن الماضي، حسب تجهيزات المختبر الذهني، أي ما يتوفر عليه الناظر في أمور المستقبل من قدرات وملكات، ميلاد مواد إخبارية جديدة، هي في الأساس أفكار توقعات ومحاولة استبصار أمور المستقبل. وهذا ما اصطلحت عليه في الزمن الراهن ب: "الكيميا.تاريخ"، باعتباره أحد آليات عمل المؤرخ في علاقته بمحاولة توقع أمور المستقبل قبل حدوثها.

---

[147] .ابن خلدون مقدمة، ج، 1، ص. 115. 116

[148] .ابن خلدون مقدمة، ج، 1، ص. 92

[149] .المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، ص 43

[150] .إدغار موران، إلى أين يسير العالم؟، ص. 13

[151] .رابح عبد الناصر جندلي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي، ص. 37

وهو يختلف عن المقارنة والقياس، اللذان يمكن أن يقعان الإنسان في الغلط، في حال عدم مراعاة التغيرات في العوائد والأحوال"[152]، وهل فعلا لها تأثيرا في المسألة المعنية بالنظر، كما أنه بعيد كل البعد عن الاسقاط، إلى درجة يصعب معها وصفه، في حين يمكن أن يتذوقه بشكل معنوي فاعله. لذلك نعتبره من المداخل الحقيقية لإعادة بعث وإحياء هذا الفرع العلمي الأصيل في علم التاريخ. والأغلب على الظن أن الرجوع إلى الماضي من دون مقارنته بمجريات الحاضر، ثم دمج موادهما الاخبارية، بنوادر الأحداث ومعظمات الوقائع منها، في مختبر الذهن البشري، من أجل ميلاد و استبصار أفكار وأمور المستقبل، لا يعدو أن يكون مجرد تسلية للنفس، وسقي عبثي لشجرة ميتة لا تثمر شيئا جديد. والأدهى والأمر أن يكون هذا السقي سببا في نخر عمودها، وهشاشة جذعها، ثم تسقط أرضا، وربما خلفت بعد ذلك ضحايا، فيرمى حطبها في القمامة، وفي أحسن الأحوال يجمع للاستعمال، ويصبح رمادا تذروه الرياح أينما استقر به الحال. وقد قيل: "إن الكثير من بلدان العالم الثالث اتجهت إلى جعل التاريخ غاية في حد ذاته، بدل أن تواكبه وتتوقع مآله. كما أنها رجعت إليه لتبرير الجهود الضائعة، وخيبات الحاضر الحاصلة"[153]. والحال أن رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام، كان يمضي على نور الوحي نحو المستقبل، غير ملتفت للوراء، ولا مكترث بما يحدث من ضوضاء الراغبين في منعه من بنائه"[154].

وإذا كان جورج فريدمان اعتمد في استشرافه للمستقبل على قاعدة " كن عمليا، توقع المستحيل "، وهي قاعدة تدخل ضمن صلب ما يطلق عليه اسم الجغرافيا السياسية، باعتبارها وصف رنان لعبارة العلاقات الدولية. كما أنها منهج تفكير يتعلق بالعالم ويتكهن بما سوف يحدث في هذا المضمار على حد قوله"[155]، فإنني اعتمد في بداية هذا المشوار مع رحلة علم المستقبل، على حصيلة ما استفدته من أفكار ومناهج، سواء من قدامى المؤرخين وغيرهم أم من أهل الدراسات المستقبلية والعلوم الإنسانية الحديثة، لكن وفق رؤية قوامها التأمل والنظر، ثم النقد والأخذ والرد، بقصد بلورة رؤية ذاتية في ضوء قواعد عمل علمية. وسأكون سعيدا إذا تمكنت من حسن استعمالها، كما أمل بتوفيق الله أن أساهم في إغنائها باجتهادات علمية خاصة.

وفي هذا الاطار ينتقل بنا الكلام إلى الحديث عن قضية منهجية أخرى، نزعم أن الغوص في البحث، والهوس بالأهداف المستقبلية لعلم التاريخ، قادنا إليها. ولعله لم يسبقنا أحد من القدامى والمحدثين فيما نعلم إلى حدود الآن، إليها. ويتعلق الأمر بما اصطلحت عليه ب: "فترة الأساس"، وبها نختم الحديث عن هذه القضايا المنهجية، لأن حجم هذه الورقة العلمية التي نعتبرها تأسيسية، لا يتسع لتفصيل كل قضاياها النظرية، أما العملية فسنجيز الكلام عنها كثيرا للسبب السالف الذكر.

وسنحاول بتوفيق الله تناول ذلك في المستقبل من خلال مؤلف علمي، يروم الدعوة إلى تجديد الصلة بين المؤرخ وبين محاولة الفطنة لأمور المستقبل. وفق صيغة قائمة على رسوخ ملكة التجارب، ورصد الوقائع، بقصد تحويل

---

[152] .عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ج، 1، ص. 117

[153] .المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، ص 297.

[154] .المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، ص 295.

[155] ..جورج فريدمان، الأعوام المائة القادمة استشراف للقرن الحادي والعشرين، ص. 28

ما فيها من أفكار وعبر، إلى قوانين تنير سبيل من يمشي في الناس، ليفهم، فهم الكيس الفطن، مجريات الحاضر، ويحاول في ضوئها استبصار مستجدات أمور المستقبل، التي لا يدركها، بخلاف ما زعم جورج فريدمان[156]، إلا العقلاء من أهل الفطنة والبصيرة والذكاء... والملكات والقدرات اللازمة لذلك، وكذلك الحال أهل العطاء والفتح الربانيين. وهذا العطاء والفتح الربانيين من الأشياء التي تحس، أكثر مما تصف أو تشرح. ولعلهما يرجعان في أصلهما إلى السلوك الذاتي للإنسان، في علاقته بالخالق وسائر المخلوقات، وبطلب العلم. والجميل أن يجمع الإنسان في جسد واحد، وذهن واحد، فيما بين خصال العقلاء وأهل العطاء الرباني، الذي ندرك حقيقة استغرابه من طرف العديد من الخلق، ثم يحاول أن يتفرس ويستبصر بهما أمور المستقبل قبل وقوعها، كما قيل عن ابن تيمية وغيره من أهل التاريخ، سيما الملمون بقضايا الاقتصاد والسياسة وطبائع الأشياء والعمران البشري.

وهكذا نرى أنه مثلما يتوفر أهل الاقتصاد على "سنة أساس"، يقيسون في ضوئها تغيرات القيمة الشرائية للعملة، وتقلبات الأسعار، بما يرافقها من تابعات في الحاضر والمستقبل، فإن أهل التاريخ بحاجة ماسة أيضا إلى بناء "فترة أساس افتراضية"، تفهم في ضوئها مجريات حاضر الاجتماع البشري، وتضبط من خلالها توقعات أمور المستقبل، بضبط قوانين حدوثها وتكرارها وانتظار وقوع أمثالها وأشباهها في المستقبل. ويخيل إلينا أن هذا الاقتراح، إن لم نقل، السبق العملي الصعب، الذي يحتاج إلى تضافر الجهود، كما يحتاج إلى الأعوام والقرون، لتعقد الظواهر الاجتماعية، وتعدد احتمالاتها العددية، سيعطي دفعة حقيقة لعلم المستقبل.

وجدير بالإشارة أن فترة الأساس الافتراضية المذكورة سلفا بصيغة المفرد، تعبر في الحقيقة عن فترات أساس عديدة، يكفي منها على الأقل في بداية الأمر، ثلاث فترات أساس افتراضية، تبنى بالتدريج والتراكم، بصيغة نموذجية مجردة، من خلال ما دون ووجد حول تجارب الأمم ووقائع العمران، منذ ظهور الإنسان، والزمن مفتوح إلى نهاية بني آدم. أما الفترة الافتراضية الأولى منها، فتهم مسار دولة من الاقبال إلى الإدبار، والثانية تخص سيرورة حاكم نموذجي، بنوعيه العادل الايجابي، والظالم السلبي، في حين ترتبط الثالثة بتجربة حضارية عبر سيرورتها التاريخية من الظهور إلى الأفول.

وقاعدة هذا المثلث الاجتماعي التاريخي غير متساوي الأضلاع من منظورنا الشخصي، هي الفترة الأساس، الخاصة بسيرورة دولة، من الاقبال إلى الإدبار. إذ فيها كفاية في بداية هذا المسار، المثير للاستغراب، لأنها تحوي في سيرورتها تجربة الحاكم، كما أنها أصل التجارب الحضارية للأمم من الشروق إلى الغروب، أي من الظهور إلى الأفول. وغير ذي شك أن بلوغ هذا المراد، الطويل الأمد، يحتاج من أجل جودة البنيان، أن تكمل الأخبار بعضها البعض، رغم اختلاف اللبدان والأمم والأزمان. ذلك؛ كون وقائع العمران وتجارب الأمم، محكومة في سيرورتها التاريخية بقوانين وسنن، تجعل أمورها تتكرر أبد الدهر عبر سائر الأزمان. سيما من حيث الماهية والمظاهر العامة الكبرى. وعليه، فما غاب هنا يمكن أن يحضر هناك، وما نقص في أي زمان أو مكان، يمكن أن يستخلص من تجارب الأمم، وما يضبط تكرار ظواهرها التاريخية في الحاضر والمستقبل.

---

[156] . جاء على لسان جورج فريدمان، عند بداية حديثة عن المنهج الذي ينوي اتباعه لاستشراف الأعوام المائة القدمة، قوله: تتلخص إحدى النقاط التي سبق لي ذكرها في أن العقلاء غير قادرين على توقع ما يمكن أن يحدث مستقبلا. (جورج فريدمان، الأعوام المائة القادمة، ص. 28)

وفي الختام غني عن البيان أن محاولة الفطنة لأمور المستقبل قبل وقوعها، تواجه صعوبات معرفية ومنهجية كثيرة، منها ما يتعلق بضعف القدرات الملكات الذهنية، ومنها ما يرتبط بالنقص البديهي في الالمام بمجريات الحاضر، كذا ملكة التجارب، "لأن العمر مهما طال قصير والعلم كثير. ومن ثم، من أين للإنسان ما يحصل فيه على تجربة الدقيق والجليل"[157]. تأسيسا على ذلك، بدهي أنه بقدر النقص فيما هو ضروري ومطلوب، بقدر النقص في التوقع لما يمكن أن يحدث في المستقبل. سيما مع عدم توفر فترة الأساس لفهم مجريات الحاضر، واستبصار تقلبات أمور الزمن في المستقبل، وكل هذا وغيره مما لم يذكر لا يبطل حقيقة هذا العلم الذي يبقى كلامه احتمالات ظنية مرجحة لا يقينية مطلقة، والواقع هو الذي يثبت الدقة من عدمها فيها.

وعليه، فغير ذي شك أن ضبط موضوع علم المستقبل، وكذلك قواعد ومناهج اشتغاله القديمة والحديثة، سيما ما يتعلق منها برصد الظواهر التاريخية، بقصد ضبط ضوابط تكرارها في الحاضر، وقوانين انتظارها في المستقبل، يمكن، مع رسوخ ملكة التجارب، ومعرفة العلامات المصاحبة لتقلبات وقائع العمران، وامتلاك قدرات وملكات علم المستقبل، من إمكان توقعها قبل حدوثها. فما أهم النماذج الحية والتجارب العملية للتوقعات المستقبلية في القديم والراهن؟ ماذا يمكن القول بإيجاز عن مستقبل الواقع الدولي المعاصر؟ ذلك ما سنعالجه إن شاء الله في ورقة عمل ثانية، إذ لا يتسع حجم هذه الورقة لذلك. وبالله التوفيق

خاتمة

خلاصة القول، تبين في ضوء ما سبق أن علم المستقبل أصيل في الشرع والوجدان والتراث، تماما هو أصيل في عمل المؤرخ الإسلامي بالأساس، سيما منذ القرن الرابع الهجري. ذلك لكونه من الأهداف الكبرى لتدوين التاريخ، إن لم نقل هدفها الأساس. بيد أن هذا العلم كبا به الفرس في مسيرته التاريخية عدة مرات، خصوصا بعد سقوط الحضارة العربية، وانتقال السلطة والقوة والعلم والزعامة الدولية الحضارية إلى بلدان أوربا الغربية، بعد الكشوفات الجغرافية. فتغيرت بطبيعة الحال الأوضاع والأحوال وانقلبت بالجملة، بعد ما كان للأمة الإسلامية من المجد والعلم والتحكم... والقوة. شأن ما يحدث في نهاية كل حضارة وتراجع أمة من الأمم عن الصدارة الدولية. إذ الأمر من واقعات العمران . ظواهر التاريخية . المتكررة عبر سائر الأزمان، بتكرار ما يحكمها من ضوابط، أي من قوانين وسنن. تماما مثلما تتكرر بصحبتها بعد مدة زمنية طويلة، ظواهر أخرى، منها ظاهرة "تبدل الأفعال بتبدل الحال، . الذي ذكره الجاحظ قبل ابن خلدون بقرون طوال ،. إذ لكل زمان تدبير ولكل شيء مقدار، والله في كل يوم في شأن"[158]. ويمكن أن يستبصر مثل هذه التغيرات وغيرها من مستجدات العمران البشري قبل وقوعها، في ضوء تجارب الأمم ووقائع العمران، أهل الفطنة والذكاء والفراسة والراسخون في ملكة التجارب، وسائر ملكات وقدرات علم المستقبل، وما يحكم تكرار الظواهر أبد الدهر من قوانين وسنن.

---

[157] . أبو شجاع محمد بن الحسن، ذيل كتاب تجارب الأمم، ص 7

[158] . أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البخلاء، حقق نصه وعلق عليه، طه الجابري، ذخائر العرب، 23، ط، 5، دار المعارف، القاهرة، من دون، ص. 206

لذلك حاولت في هذه الورقة أن أبرز مدى أصالة فكرة علم المستقبل عند أهل التاريخ ببلاد الإسلام. كما أنشد في الآن نفسه، الإسهام في النقاش المطروح على طاولة الحوار بين أهل التاريخ حول هذا الموضوع في هذا الزمن. ذلك؛ لإعادة بعث وإحياء هذا العلم الذي كبا به الفرس وطاله الإهمال والنسيان، من خلال الدعوة إلى تجديد الصلة بين المؤرخين، وبين الفطنة لأمور المستقبل، وفق رؤية علمية معاصرة قائمة على أسس ومناهج علمية. ولا جرم أن هذا العلم يعتبر من العلوم المهمة، بل الضرورية للحياة الفردية، والاجتماع الإنساني، وكذلك الحال، تطور ونهضة الأمم. وفي مقدمتها، أمة نبي الإسلام، محمد عليه الصلاة والسلام، بعدما تأخر بها الركب الحضاري عن مقدمة الزمان.

وقصد القصد من كل ذلك، أي الرهان، هو تطوير هذا العلم، وفق مقاصد الشرع الإسلامي واجتهادات العقل البشري في المستقبل، كي يصبح فرعا علميا مهيكلا مستقلا، سيما في علاقته بأهل التاريخ، وتحديد في مسألة محاولة الفطنة لمستجدات وقائع العمران قبل حدوثها، لمعرفة ما يجب القيام به من أدوار في المستقبل. ويتطلب هذا الأمر التدقيق في موضوع العمل، وتطوير مناهج البحث، في ضوء اجتهادات العقل البشري عند القدامى والمحدثين، كي يتمكن أهل كل زمان من استبصار مستقبل حاضر واقعهم المعيش على المستوى الوطني والاقليمي والدولي. تماما مثلما سنخصص لذلك ورقة علمية ثانية، لما في ذلك من فوائد وعبر.

ولما كان هاجس هذه الورقة يدور على قطب رحى علاقة المؤرخ بمحاولة الفطنة لأمور المستقبل، فقد أسفر هذا العمل المتواضع عن جملة من الخلاصات والتوصيات نذكر منها بإيجاز ما يلي:

. تشكل علاقة المؤرخ بتوقع ما ينتظر حدوثه من أمور في المستقبل، إحدى القضايا الفكرية التي تستحق من قبل أهل التاريخ بالأساس، سيما في زمننا هذا، مزيدا من العناية والاهتمام. بقصد إعادة البعث والاحياء ورد الاعتبار، على أمل، بل ورهان النضج والهيكلة والاستقلال العلمي في المستقبل.

. أصالة جذور علم المستقبل في عمل المؤرخ بالعالم الإسلامي، لأنه الهدف الأساس لتدوين التاريخ، كي يبقى محفوظا على "مرور الأيام والأعوام، وبهدف إتيان مثله في كل مكان وزمان"[159]. ومعرفة سبل التعامل مع المستقبل.

. ولد هذا العلم بجسم سليم على يد مسكويه خلال القرن الرابع الهجري، لكنه تعرض في مسيرته التاريخية لانتكاسات مؤسفة، إذ بقدر ما تعرض للإهمال منذ منتصف القرن الخامس الهجري، بقدر ما دخل مقابر شبه النسيان بالعالم الإسلامي، بعد الصحوة النسبية التي عرفها مع ابن خلدون والمقريزي والسخاوي وغيرهم من مؤرخي القرن الثامن والتاسع الهجريين.

. إن المستقبل عبارة عن أمور ينتظر وقوعها، بعد ولادتها من صلب مجريات الحاضر، بمختلف إجراءاته وقراراته، ووقعات عمرانه، و طبيعة قيمه و ثقافته، وفعله الاجتماعي، بمختلف أنماطه، فعلا وتفكيرا وإحساسا...، كذا معتقداته الدينية.

---

[159] . محيي الدين الكافيجي، المختصر في علم التاريخ، تحقيق، محمد كمال الدين عز الدين، ط، 1، عالم الكتب، 1410هـ. 1990م، ص. 70

. تشكل كتب الفراسة إلى جانب كتب التاريخ، أحد مداخل إعادة بعث وتطوير علم المستقبل، لأنها تتجاوز بالأدلة العملية فراسة أحوال الرجال في أبعادها الذاتية الفردية، إلى توقع أمور المستقبل فيما يهم أحوال المجتمعات والدول، أي البنيات الاجتماعية الكبرى، تماما كما حدث مع ابن تيمية وغيره.

. الراجح أن علم الفراسة يحوي في بطنه مصطلح "علم المستقبل"، لأنه أعم منه وأشمل، إذ يتجاوز فراسة أحوال الأفراد في ضوء ظواهر سمات الجسد، إلى استبصار أحوال المجتمعات والدول.

. إن التاريخ البشري في حقيقة أمره، تاريخ ظواهر وواقعات عمران بشري متكررة، لا تاريخ نوادر أحداث فردية معزولة.

. يشكل التعامل مع التاريخ بمنطق الظاهرتية، أساس الدراسات المستقبلية، لذلك يجب الاهتمام برصد ودراسة الظواهر التاريخية، بقصد ضبط قوانين تكراره، وانتظار حدوث أمثالها في الحاضر والمستقبل.

. يشكل الحاضر الحلقة الأساس في وضع توقعات المستقبل، أما الماضي فهو المرآة التي يرى فيها هذا الحاضر، وينعكس في ضوئها أفق المستقبل، لا بالإسقاط، بل بالدمج والخلط فيما بين المواد الإخبارية لزمن الحاضر والمواد الاخبارية لزمن الماضي في مختبر الذهن البشري، بقصد أن ينتج عن هذا الخلط وما يترتب عنه من تفاعل بين المواد الإخبارية السالفة الذكر، ميلاد مواد إخبارية جديدة، هي في الأساس أفكار محاولة توقع واستبصار أمور المستقبل. وهذا ما اصطلحت عليه في الزمن الراهن ب: "الكيميا. تاريخ"، باعتباره أحد آليات عمل المؤرخ في علاقته بمحاولة توقع أمور المستقبل قبل حدوثها.

. يدور قطب رحى هذه الورقة لا على كيفية التخطيط للمستقبل ووضع الاستراتيجيات لصناعته، كما يقال، وإنما على سبل امتلاك أهل التاريخ وغيرهم من المهتمين بالمستقبل، قدرات الفطنة لما يمكن أن يستجد من أمور ه ومعرفة ذلك قبل وقوعه.

. من المؤكد أن محاولة توقع أمور المستقبل تواجه صعوبات معرفية ومنهجية كثيرة، منها ما يتعلق بضعف القدرات والملكات الذهنية، ومنها ما يرتبط بالنقص البديهي في الالمام بمجريات الحاضر، كذا النقص الحاصل في ملكة التجارب، إضافة إلى عدم معرفة الضوابط، المتحكمة في تكرار واقعات العمران، ناهيك عن صعوبة التعامل مع الظواهر التاريخية والاجتماعية، لأن الإنسان يشكل الحلقة الأساس فيها، وهو أعقد ما في الوجود من حيث الدراسة والفهم.

. يبدو أنه مثلما يتوفر أهل الاقتصاد على "سنة أساس"، يقيسون في ضوئها تغيرات القيمة الشرائية للعملة، وتقلبات الأسعار، بما يرافقها من تابعات في الحاضر والمستقبل، فإن أهل التاريخ بحاجة ماسة أيضا إلى بناء "فترة أساس افتراضية"، تفهم في ضوئها مجريات حاضر الاجتماع البشري، وتضبط من خلالها توقعات أمور المستقبل، بضبط قوانين حدوثها وتكرارها وانتظار وقوع أمثالها وأشباهها في المستقبل.

. الأرجح أننا نعيش في زمن حرب حضارية جديدة، يمكن أن تنتهي بأفول الحضارة الرأسمالية الغربية، وظهور حضارة آسيوية جديدة، تقودها الصين الحالية بهويتها الحقيقية، وثقافتها الراسخة في لا شعورها الجمعي التاريخي، لا بما تداري به الغرب الرأسمالي في الزمن الحالي، زمن النيوليبرالية.

. لذلك نرجو أن يسفر هذا المؤتمر عن جملة توصيات نذكر منها ما يلي

. الدعوة إلى تطوير هذا المؤتمر الذي يعنى بعلاقة أهل التاريخ بأمور المستقبل، إلى مشروع فكري حضاري إنساني يخدم الأمة الاسلامية بالأساس، لأنها متأخرة حضاريا، كما أنها مستهدفة في دينها واقتصادها وقيمها ورجالاتها وفي غير ذلك، سيما في زمن الليبرالية الجديدة والحرب الحضارية الراهنة.

. الاهتمام بعلم المستقبل في علاقته بالتاريخ والمؤرخ بجدية لازمة من قبل سائر بلدان الأمة العربية الإسلامية. ذلك بهدف تكوين وإعداد أجيال قادرة على توقع واستبصار ما يمكن أن يستجد من وقائع العمران، لمعرفة ما يجب القيام به من أدوار في المستقبل، خصوصا في زمن الابتلاءات والمحن والفتن.

والله الموفق للصواب

بيبلوغرافية البحث

. القرآن الكريم.

. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البخلاء، حقق نصه وعلق عليه، طه الجابري، ذخائر العرب، 23، ط، 5، دار المعارف، القاهرة، من دون.

أبي علي أحمد مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق، سيد كسروي حسن، ج، 1، ط، 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2003.

. أبو شجاع محمد بن الحسن الملقب ظهير الدين الروذراورى، ذيل كتاب تجارب الأمم، ويليه الجزء الثامن من تاريخ الطالبي أبي الحسن هلال بن السن بن إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط، 1، 1424هـ.2003م.

. ابن القيم الجوزية،مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق، ناصر بن سليمان السعودي، وعلي بن عبد الرحمان القرعاوي، وصالح بن عبد العزيز التويجري، وخالد بن عبد العزيز الغنيم، الجزء الرابع، ط، 1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1432هـ.2011م.

. أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، النكت والعيون تفسير الماوردي، مراجعة وتعليق، السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ج، 5، دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان.

. النكت والعيون تفسير الماوردي، مراجعة وتعليق، السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ج، 3، دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان.

. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه، خليل مأمون شيحا، ط، 3، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1430هـ.2009م.

. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق عبد الأمير مهنا، ج، 3، ط، 1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت .لبنان، 1412هـ.1992م.

. أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج، 14، دار الكتب السلطانية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1338هـ/ 1919م.

المقريزي، إغاثة الأمة أو تاريخ المجاعات في مصر، قدم له وشرحه، صلاح الدين الهواري، ط، 1، شركة أبناء الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 2008.

. أبو راس الناصر المعسكري، زهر الشماريخ في علم التاريخ، تنسيق، بن عمر حمدادو، مركز البحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ، وهران الجزائر، 2016م.

. رشيد الدين فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ، تاريخ المغول، المجلد الثاني، الجزء الأول، الإيلخانيون، تاريخ هولاكو مع مقدمة رشيد الدين، نقاه إلى العربية محمد صادق نشأت وفؤاد عبد المعطي الصياد ومحمد موسى هنداوى، راجعه، يحيى الخشاب، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، الإدارة العامة للثقافة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

. شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب،، ج، 13، تحقيق علي مفيد قميحة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى،1424هـ / 2004م.

. فخر الدين الرازي، الفراسة دليلك إلى معرفة أخلاق الناس وطبائعهم وكأنهم كتاب مفتوح، تحقيق، مصطفى عاشور، مكتبة القرآن، القاهرة، 1407هـ.1987م.

. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ، ج، 1، حقق نصوصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه، عبد الله محمد الدرويش، ط، 1، 2004م.

. محيي الدين الكافيجي، المختصر في علم التاريخ، تحقيق، محمد كمال الدين عز الدين، ط، 1، عالم الكتب، 1410هـ.1990م.

. محيي الدين الكافيجي، المختصر في علم التاريخ، تحقيق، محمد كمال الدين عز الدين، ط، 1، عالم الكتب، 1410هـ.1990م.

. **محمد بن عبد الرحمان السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ،تحقيق فرانزروزنتال** ، ترجمة، صالح أحمد العلي، دار الكتب العلمية، من دون.

. المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، مستقبل الماضي وماضي المستقبل، ط، 8، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 2005.

. إدغار موران، إلى أين يسير العالم؟، ترجمة، أحمد العلمي، ط، 1، الدار العربية للعلوم ناشرون، 1430هـ. 2009م.

. إدغار موران، تربية المستقبل، المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، ترجمة عزيز لزرق ومنير الحجوجي، ط، 1، دار توبقال للنشر، منشورات اليونسكو، 2002م.

. أدغار موران، النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، ترجمة هناء صبحي، ط، 1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، 1430هـ / 2009م.

. جورج فريدمان، الأعوام المائة القادمة استشراف للقرن الحادي والعشرين، نقله إلى العربية، منذر محمود محمد، ط، 1، دار الفرقد، دمشق. سورية، 20019م.

. حسين مؤنس، التاريخ والمؤرخون، دراسة في علم التاريخ، ماهيته وموضوعه ومذاهبه ومدارسه عند أهل الغرب وأعلام كل مدرسة وبحث في فلسفة التاريخ ومدخل إلى فقه التاريخ، ط، 2، دار الرشاد، 1421هـ/ 2001م.
. ديفد هارفي، الليبرالية الجديدة، موجز تاريخي، نقله إلى العربية، مجاب الإمام، الطبعة العربية الأولى، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، 1429هـ.2008م.
. روبرت دبليو ماك تشيزني، الربح مقدما على الشعب، النيوليبرالية والنظام العالمي، لنعوم تشومسكي ،ترجمة، لمى نجيب، آفاق ثقافية، العدد، 99، الهيئة السورية للكتاب، دمشق، تموز، 2011م.
. عبد الحسن صالح، التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، عدد، 48، ديسمبر 1981م.
. كولن ولسون، فكرة الزمن عبر التاريخ، ترجمة، فؤاد كامل، مراجعة، شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، عدد، 159، مارس، 1992.
. محمود إسماعيل، فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية، ط، 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988م.
. محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي الجزء الأول طور التكوين، ط، 4، سينا للنشر، 2000م.
. رابح عبد الناصر جندلي، الدراسات المستقبلية: تأصيل تاريخي، مفاهيمي ومنهجي، مجلة العلوم السياسية والقانون، العدد الأول، جانفي، 2017م.
. ريتشارد أ سلوتر، الدراسات المستقبلية: إطار مفاهيمي، ترجمة، خلود سعيد، مكتبة الاسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، سلسلة أوراق، عدد، 21، 2016م.
. عبد المجيد النوري، التاريخ وعلم الاقتصاد، مساهمة في قراءة الظواهر التاريخية لضبط بعض قوانين زوال الحضارات والدول". ورقة عمل منشورة ضمن كتاب جماعي بعنوان: "التاريخ حقيبة العلوم: وقائع المؤتمر الدولي التاريخ حقيبة العلوم". وهو مؤتمر دولي عقده الاتحاد الدولي للمؤرخين بالتعاون مع جامعة سليمان الدولية بتركيا، وبمشاركة المنظمة العربية للتربية وللثقافة والعلوم، وجامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس. بالمغرب، وكلية التربية جامعة سامراء بالعراق تركيا (انطاليا) 3. 9 نيسان أبريل 2020، المجلد الثاني، إعداد وتنسيق الدكتورة، وفاء سمير نعيم، الطبعة الأولى، مطبعة وراقة الليدو، فاس، يوليوز، 2020.

الأصول الفقهية والاجتهادية لشروط وقواعد التعارض و الترجيح بين الحجج والبينات في التشريع المغربي.

الدكتور محمد اليوبي/ كلية الشريعة/ جامعة سيدي محمد بن عبدالله / فاس

توطئة

إذا كانت الدعوى القضائية هي وسيلة استصدار حكم قضائي منشأ للحق المدعى فيه فإن دعوى الاستحقاق العقارية لا تخرج عن هذا الإطار.

وإذا كان الإثبات ــ كما هو معلوم ــ هو إقامة الدليل أمام القضاء بالطرق التي حددها القانون على وجود واقعة قانونية ترتب آثارها، فإن القاضي لابد له من الركون إلى وسائل الإثبات، ولا يمكنه الحكم بعِلْمِه الشخصي بخصوص واقعة معينة، لأن الإثبات لا ينصرف إلى الحق مباشرة، وإنما إلى الواقعة التي تعتبر مصدرا له، فمحل الإثبات هو الواقعة لا الحق، ومن ذلك تظهر أهمية وسائل الإثبات في تحديد مسار كل دعوى معروضة أمام القضاء.

وعليه فإن القاضي لا يصدر أحكامه إلا بناءاً على القناعات التي تأتي بعد عرض ومناقشة الحجج والبينات والأدلة التي يدلي بها أطراف الدعوى.

فالقاضي عند تصديه لقضية من قضايا الاستحقاق فإنه يواجه أحياناً في النازلة الواحدة مجموعة من البينات والحجج المتعارضة في موضوع القضية الواحدة ، ولا يوجد بأي واحدة منهما ما يوجب بطلانها، مما يجعله يسلك مسلك التعارض والترجيح بين الحجج والأدلة بعد توفر شروطه ، معتمدا في ذلك مجموعة القواعد والتقنيات مردها إما إلى نوع البينة أو إلى مضمونها.ومجموع هذه الشروط والقواعد نص عليها المشرع المغربي في المادة الثالثة من مدونة الحقوق العينية .

ولاشك أن رصد الأصول والمصادر الاجتهادية والفقهية لشروط وقواعد الترجيح بين الحجج والبينات له أهمية كبرى في مجال الدعوى وضمان الحقوق ، كما أن من شأن تأصيلها أن يمنح للمنشغين بها من باحثين وقضاة سبل تفسيرها وفهمها بما يحقق الغاية من تقنينها هو ما سأرصده من خلال هذا المقال في مبحثين أساسين:

- ✓ **المبحث الأول : الأصول القضائية والفقهية لشروط الترجيح بين البينات والحجج.**
- ✓ **المبحث الثاني : الأصول الاجتهادية والفقهية لقواعد الترجيح بين البينات والحجج.**

المبحث الأول : الأصول القضائية والفقهية لشروط الترجيح بين البينات والحجج.

الظاهر بعد التأمل في مقتضيات المادة الثالثة من مدونة الحقوق العينية وما تقرر قبلها في الفقه المالكي والاجتهاد القضائي المغربي أنه لا يمكن اللجوء إلى الترجيح بين البينات والحجج، إلا إذا توفرت على مجموعة من الشروط التي ينبغي مراعاتها وفق مجموعة من الشروط أهمها:

أولا : تعذر الجمع بين البينتين المتعارضتين.

إذا كان من الثابت فقهاً وقضاءاً ـ كما سبق القول ـ أن المدعي مطالب بالبينة على ما يدعيه، وعند إحضار بينته والإدلاء بها فإنه يعذر فيها للمدعى عليه، أي أنه يسأل عما إذا كان له ما يرد به عن هذه الحجة التي أدلى بها خصمه حتى يتمكن من ضحدها، ويمنح الوقت الكافي لذلك، فإن هو أتى ببينة أخرى تشهد بعكس ما شهدت به بينة المدعي، فإنه آنذاك يعذر للمدعي فيها فإن لم يستطع أن يثبت ما يسقطها في هذه الحالة لا يسع القاضي إلا أن يجمع بين مقتضى البينتين إن أمكن الجمع بينهما، والحكم بمقتضاهما معا، وإذا لم يمكن الجمع بين البينتين المتعارضتين لجأ لمسك الترجيح بينهما

وهو ما جرى به العمل في الاجتهاد القضائي المغربي في قرارات عدة حيث جاء في أحد قرار المجلس الأعلى (محكمة النقض حاليا) المؤرخ في 30 نونبر 2005 ما يلي: "ذلك أن الملك لمن أقام البينة الشرعية الصحيحة، وإذا تعارضت البينتان، فإن أمكن الجمع بينهما جمع لقول الشيخ خليل: إن أمكن الجمع جمع بينهما، **وإن لم يمكن الجمع فإنه يرجع إلى ترجيح إحداهما على الأخرى**".[160]

ولا شك أن مستند القضاء المغربي في شرط تقديم مسلك الجمع على مسلك التعارض ما تقرر قبله في الفقه المالكي وفي ذلك يقول ابن فرحون في تبصرته: "إذا تعارضت البينات وأمكن الجمع بينهما جمع، وإن لم يمكن رجع إلى الترجيح إن أمكن".[161] ويقول التاودي بنسودة في ذلك: "وإذا تعذر الجمع بين البينتين صير إلى الترجيح بينهما، فأيتهما كانت أرجح من الأخرى أُعْمِلَتْ وأُلْغِيَتْ الأخرى"[162].

ولذلك فالقاضي يبحث بخصوص البينتين المتعارضتين عما يؤدي إلى ترجيح إحداهما بعد تعذر الجمع بينهما ليصدر الحكم بمقتضى البينة الراجحة، ويلغي البينة المرجوحة، تبعاً لقول خليل: "وإن أمكن الجمع بين البينتين وإلا رجح"، ولذلك قالوا فالجمع بين البينتان اللتان يمكن الجمع بينهما ليستا من باب التعارض.[163]

والتعارض: هو ما عبر عنه كل من ابن عرفة وابن الحاجب بقولهما وتعارض البينتين: أي اشتمال كل منهما على ما ينافي الأخرى.[164]

وهذا الذي أخذ به الاجتهاد القضائي المغربي من ما تقرر في الفقه المالكي هو الذي تكرس في مدونة الحقوق العينية حيث جاء في مادتها الثالثة ما يلي: "إذا تعارضت البينات المدلى بها لإثبات ملكية عقار أو حق عيني، وكان الجمع بينهما غير ممكن فإنه يعمل بقواعد الترجيح بين الأدلة".

---

[160][160] - قرار المجلس الأعلى للقضاء عدد: 3155 مؤرخ في 30 نونبر 2005 ملف مدني عدد: 2003/07/1/678.

[161] - تبصرة الحكام لابن فرحون: 264/1.

[162] - مواهب الخلاق في شرح لامية الزقاق:448/1-449.

[163] - شرح لامية الزقاق في صناعة القضاء، عبد الرحمان بلعكيد، دراسة في ضوء المذهب المالكي والتشريع المغربي، ص: 143، موسوعة قواعد الفقه والتوثيق مستخرجة حادي الزقاق، محمد القدوري ، ص: 25.

[164] - فتح العليم الخلاق في شرح لامية الزقاق، ميارة الفاسي، ص: 304.

ثانياً: صحة البينات والحجج المدلى بها.

ومعنى ذلك أن البينات والحجج المدلى بها من طرف خصوم دعوى الاستحقاق العقارية، لابد وأن تتوفر على مجموعة من الشكليات الأساسية والشروط الضرورية التي يحكم على أساسها بصحة الوثيقة، لذلك فلا تقبل حجة أي طرف من أطراف دعوى الاستحقاق إلا إذا استوفت شروط صحتها حتى يتمكن من مواجهة حجة الخصم بها، لذلك فالحجج الباطلة التي لا تتوفر على الشروط الشكلية والبيانات الأساسية إذا كانت وثيقة، أو لم تستكمل عناصرها الأساسية إذا كانت واقعة مادية كالحيازة، فإنها تعد باطلة ولا ترقى إلى مواجهة حجة الخصوم إذا كانت هذه الأخيرة قوية ومستكملة لبياناتها الأساسية، لأنه من الثابت فقهاً وقضاءاً في المذهب أن الوثيقة إذا لم تستجمع بياناتها وعناصر بنائها الأساسية وكذا شروط صحتها فإنها باطلة، وهذا ما أخذ به الاجتهاد القضائي المغربي. فقد جاء في أحد قرارات استئنافية الرباط المؤرخ في 18 يوليوز 1995 ما يلي: "و حيث إنه وفق رسم الملكية عدد 200 المدلى به من طرف المستأنف عليهم فإن الأرض موضوع الدعوى ملك لمورث المستأنف عليهم قيد حياته لمدة تزيد عن اثنى عشر سنة، إلى أن توفي وتركها لورثته وفق شروط الملك التي وردت في رسم الملكية المدلى بها، حيث إن الرسم عدد 71 ص 71 المدلى به من طرف المستأنفين دون ذكر باقي شروط الملك، وبذلك فإن هذه الحجة التي احتج بها المستأنفين لا ترقى إلى درجة الإعتبار لافتقارها إلى الشروط المذكورة، بينما ملكية المستأنف عليهم تتوفر على كافة الشروط بدون استثناء، وبذلك تعين تأييد الحكم المستأنف وتبني حيثياته"[1].

وهذا الذي أخذت به استئنافية الرباط هو الذي تبناه المجلس الأعلى للقضاء (محكمة النقض حاليا)، حيث جاء في أحد قراراته المؤرخ في 21 ماي 2007 ما يلي: حيث صح ما عابه الطاعن على القرار، وذلك أن الملكية لا يصح تطبيقها على محل النزاع إلا إذا توفرت هي ذاتها على الشروط الخمس وهي: وضع اليد على الملك، والتصرف فيه، ونسبة من المالك لنفسه، والناس ينسبونه إليه كذلك وطول مدة التصرف وهي عشر سنين بين الأجانب عملا بقول صاحب العمل الفاسي:

تصـــرف المالـــك والنســـبة مـــع يـــد ولا منـــــــازع طـــــــول وقـــــــع

والمحكمة مصدرة القرار المطعون فيه لما اعتبرت ملكية المطلوبين مستوفية لشروط الملك المعتبرة شرعا، دون أن تبرر في قرارها من أين وكيف استخلصت ذلك ورجحتها على حجة الطالبين بعلة أنها تنطبق على محل النزاع، مع أن الترجيح بين الحجج بتطبيق الرسوم لا يلجأ إليه إلا عند توفرها على الشروط

[1]- قرار صادر عن استئنافية الرباط تحت عدد: 2059 بتاريخ: 09 أبريل 1996، منشور بمجلة الإشعاع عدد: 2002/26.

الشرعية، فإنها لم تركز قرارها على أساس، وعللت قرارها تعليلا فاسدا ينزل منزلة انعدامه وعرضته للنقض.[1]

وفي نفس السياق ذهبت استئنافية مراكش في قرار لها مؤيدة القرار الابتدائي القاضي بعدم قبول دعوى الاستحقاق في مواجهة الحائز نظرا لعدم صحة الحجج المدلى بها، ومما جاء في القرار: "لا مجال للترجيح بين شرائي الطرفين بتقدم التاريخ مادام القرار قد اعتمد حكماً صادراً بشأنها بين الطرفين قضى بعدم صحة أحدهما ورفض دعوى الاستحقاق، وبصحة الآخر"[2].

فخلاصة القول فإنه لا يلجأ إلى الترجيح إلا إذا صحت الحجج المدلى بها، من طرف الخصوم، حتى يتمكن القاضي من النظر في تساويهما، وهو الشرط الثالث من شروط العمل بالترجيح.

ثالثا: تساوي تعارض الحجج و اتحاد محلها.

فإذا صحت الحجج المدلى بها في دعوى الاستحقاق العقارية بين المدعي والمدعى عليه، فإنه يتعين على القاضي أن ينظر ثانيا في القوة الإثباتية للحجتين ثم مدى تعلقهما بموضوع النازلة. وهو ما تنبه له الاجتهاد القضائي المغربي في قرارات عدة فقد أكد المجلس الأعلى للقضاء (محكمة النقض حاليا) على ضرورة تساوي الحجج وتعارضها في أحد قراراته المؤرخ في 02 أبريل 2003 حيث جاء فيه: "بأنه لا يلجأ إلى الترجيح بين البينات، إلا في حالة تساوي الحجج في قوتها الإثباتية"[3].

أما فيما يخص بتعلق الحجتين بموضوع نزاع واحد، فقد أكد عليه المجلس في قرار له مؤرخ بتاريخ 13 دجنبر 2006 حيث جاء فيه: "حيث إن الترجيح بين الحجج لا يعمل به إلا إذا تعلقت بموضوع نزاع واحد، و المحكمة مصدرة القرار المطعون فيه، لما وقفت على عين المكان استمعت فيه إلى الشهود، فثبت لها أن رسم ملكية مسجد مولاي مستعين هو الذي ينطبق عليه اسما وحدودا،وأن رسم ملكية الطاعن لا ينطبق عليه إلا في الاسم فحسب، وهو ما أكده الشهود المستمع إليهم أثناء المعاينة المذكورة، تكون ركزت قضاءها على أساس، ولم تكن في حاجة إلى الأخذ بقاعدة الترجيح بين الحجتين ما دام مكان انطباقها مختلف"[4].

---

[1]- قرار المجلس عدد: 4006 مؤرخ في: 5 يناير 2007 ملف مدني عدد: 2004/01/01/3010، أورده الدكتور عمر أزوكار في كتابه قضاء محكمة النقض في الترجيح بين البينات والحجج، ص: 196-197.

[2]- قرار استئنافية مراكش رقم: 2100/20 مؤرخ في: 15 مارس 2000 الملف العقاري عدد: 2000/1658 ، منشور بمجلة المحامي عدد: 2005/46، ص: 15.

[3]- قرار المجلس الأعلى عدد: 984 المؤرخ في: 2003/04/02، ملف مدني عدد: 2002/1/1/505، قضاء محكمة النقض في الترجيح بين البينات والحجج، ص: 168-169.

[4]- قرار عدد: 3797، مؤرخ في: 13 دجنبر2006 ملف مدني عدد: 2004/3/1/3014، قضاء محكمة النقض في الترجيح بين البينات ، ص: 111.

ونفس الأمر أكده المجلس الأعلى سابقا (محكمة النقض حاليا) في قرار آخر له مؤرخ في 13 مارس 1999 حيث جاء فيه ما يلي: "خلو اللفيف من الإشارة إلى ملكية الشهود له يفقد اللفيف قيمته الثبوتية"[1].

وعند الرجوع لأقوال الفقهاء المالكية بخصوص هذا الشرط، نجدهم يعبرون عن ذلك بقولهم: فيمن شهدت له بينة بكذا،وشهدت أخرى بكذا، أو فيمن شهد عليه شهود بالبيع، وشهد آخرون أنه لم يبع، وعبروا كذلك بقولهم: فإن شهدت إحدى البينتين بالملك للشيء والأخرى بالحوز له[2]، مما يفيد شرط تعلق البينتين أو الحجتين بمحل نزاع واحد.

ولذلك قد اشترط الفقه والقضاء في المذهب ضرورة تساوي الحجتين المتعارضين قبل اللجوء لإعمال قواعد التعارض والترجيح، إذ لا تعارض بين قوي وضعيف. إذ يرجح القوي على الضعيف، وبالإضافة إلى تساوي الحجج من جهة القوة الثبوتية ينبغي أن يتعلق مضمونهما بمحل نزاع واحد.

فخلاصة القول: إن ما أقره الفقه والقضاء في المذهب المالكي بخصوص شروط إعمال الترجيح والتعارض تبعهم في ذلك القضاء المغربي، وبعده مدونة الحقوق العينية إذ أكدت على أنه لا يتم اللجوء إلى الترجيح إلا إذا تعذر الجمع بين البينتين الصحيحتين المتساويتين والمتعارضتين، وإعمال التعارض يتم من خلال مجموعة من القواعد الخاصة بذلك، وهي موضوع المبحث الثاني.

- ✓ **المبحث الثاني : الأصول القضائية والفقهية للقواعد الخاصة بالترجيح بين البينات والحجج.**

سبق القول: إنه إذا تعذر على القاضي الجمع بين الحجتين المتعارضتين، وجب الانتقال إلى الترجيح بينهما بإحدى المرجحات المنصوص عليها في الفقه المالكي هذه القواعد هي التي وجدت طريقها إلى التقنين المغربي عن طريق الاجتهاد القضائي كما سنبينه.

وبالنظر إلى هذه المرجحات المعتمدة لتحديد العامل المرجح فيها أمكن القول: إن منها ما يقوم على أساس وصف حال ونوع البينات؛ (المطلب الأول) ومنها ما يقوم على أساس مضمون البينات؛ (المطلب الثاني).

المطلب الأول: الترجيح على أساس وصف البينات وحالها.

فالترجيح القائم على أساس حال ونوع البينة يشمل اعتماد مجموعة من القواعد المقررة فقهاً وقضاءاً وهي:

أولا: ترجيح بينة الملك على بينة الحوز.

---

[1]- قرار عدد: 1407 مؤرخ في: 13 مارس1999، منشور بمجلة المجلس الأعلى عدد : 7 سنة 2000 ، ص:7.

[2]- تنظر البهجة في شرح التحفة: 258/1 و ما بعدها –تبصرة الحكام لابن فرحون: 263/1 وما بعدها.

وصورتها كأن يدلي المدعي ببينة تشهد له بالتملك، وبين يد خصمه مجرد بينة تشهد له بالحوز، آنذاك لا ينظر القاضي إلى بينة الحوز ولا يعتد بها في مقابل رسم التملك، لأن الحوز وإن توفرت شروطه فهو لا يؤدي إلى التملك إلا إذ انعدم رسم الملكية، فبينة الملك مقدمة على بينة الحوز مهما طالت المدة.

وقد أشارت مدونة الحقوق العينية الى هذا الشرط في مادتها الثالثة بالقول: " تقديم بينة الملك على بينة الحوز".

وهو ما أخذ به الاجتهاد القضائي المغربي بدرجاته المختلفة قبل صدورها حيث اعتبر أن الحوز الذي يسبق عليه الملك، هو ذاك المعبر عنه بوضع اليد، وليس الحيازة المكسبة، فقد جاء في أحد قرارات محكمة الإستئناف بفاس ما يلي: "وبتاريخه أصدرت المحكمة حكمها ترجيحا لحجج المدعي على حجج المدعي عليه التي لا تتوفر على الحيازة المعتبرة شرعا، والتي يكسب بها الملك"[1].

وفي نفس السياق جاء في أحد قرارات المجلس الأعلى (محكمة النقض حاليا) المؤرخ في 24 نونبر 1998 ما يلي: "أن المنصوص عليه فقهاً؛ أنه لا يقضى بسقوط البينتين، إلا إذا تعادلت وتعذر الترجيح بينهما بأي وجه من أوجه الترجيح، وأن مجرد وضع اليد وحده، غير كاف لسماع دعوى المدعي المعززة بالملكية، ومادامت ملكية المتعرضتين مستوفية لكل شروط الملك، فإنه كان يتعين على المحكمة إعمال قاعدة الترجيح بين الحجتين"[2].

وجاء في قرار آخر للمجلس الأعلى مؤرخ في 20 يونيو 2007 ما يلي: "حيث صح ما عابه الطاعن على القرار، ذلك أن الحكم يجب أن يكون معللا تعليلا صحيحا، وإلا كان باطلا، وأن نقصان التعليل يوازي انعدامه، وأن دعوى نازلة الحال تهدف إلى الاستحقاق التي تعني رفع ملك شيء بثبوت ملك قبله، وأن الملك لمن أقام عليه البينة وأن بينة ثبوت الملك مقدمة على ثبوت الحوز إن تعارضتا لقول خليل: "وبالملك على الحوز"[3].

وبالرجوع للفقه المالكي تأصيلا للقاعدة يقول الزقاق في لامية[4].

وملـــك علـــى حـــوزوزيـــد عدالـــة وبالنقـــل والإثبـــات مـــا قـــد أصـــلا

---

[1]- قرار غير منشور صادر عن استئنافية فاس عدد: 482، 2007/11/07، ملف رقم: 01/06/313، أورده الباحث حميد البشرى في رسالته، دعوى استحقاق العقار غير المحفظ بين الفقه المالكي والاجتهاد القضائي المغربي، ص101.

[2]- قرار المجلس عدد: 7097 مؤرخ في: 24 نونبر 1998، مجلة قضاء المجلس الأعلى عدد: 55 ص:22.

[3]- قرار عدد: 2153 مؤرخ في: 20 يونيو 2007 ملف مدني عدد: 3/1/1594، 2006، قضاء محكمة النقض في الترجيح بين البينات والحجج، عمر أزوكار، ص:101.

[4]-شرح لامية الزقاق في صناعة القضاء عبد الرحمان بلعكيد ص: 144. وسائل الإثبات في الفقه الإسلامي، ص:164.

فقوله: "ملك على حوز" أي: أن بينة الملك مقدمة على بينة الحوز، وفي شرحها يقول الرهوني: فإذا شهدت إحدى البينتين بالملك، والأخرى بالحوز قدمت الشهادة بالملك ولو كان الحوز سابقاً، لأن الحوز أعم من الملك، لأنه يكون بالملك، وبالإكراء، وبالوديعة، وبالعارية وبغير ذلك، والأعم لا يعارض الأخص، لأنه لا إشعار له بأخص معين، والملك أخص من الحوز وأقوى منه[1].

وفي نفس الصدد يقول ابن فرحون في تبصرته: ولو شهدت إحداهما بالملك وشهدت الأخرى بالحوز. قدمت بينة الملك، لأن الملك أقوى، والحوز قد يكون لغير الملك، فيقضى ببينة الملك وإن كان تاريخ الحوز متقدما[2].

وهذه القاعدة: " **تقديم الملك على الحوز**"، عند التعارض التي أقرها الفقه المالكي وأخذ بها الإجتهاد القضائي المغربي هي التي انتقلت بصفة مباشرة من هذا الأخير إلى المادة الثالثة من مدونة الحقوق العينية .

ثانيا: تقديم البينة الناقلة على البينة المستصحبة.

وصورتها كما لو تنازع شخصان حول عقار معين، فأدلى أحدهما ببينة تثبت أن العقار كان في ملك والده إلى أن مات وورثه عنه، وأدلى الثاني بأنه اشتراه من والده وانتقلت ملكية العقار إليه، ففي هذه الحالة ترجح بينة نقل الملكية على بينة استصحاب الحال، فمن مات عن دار مثلا، وأثبت ولده أنها لم تخرج عن ملك والده إلى أن مات، وأثبتت زوجته أنه أعطاها إياها في صداقها مثلا، قدمت بينتها لأنها ناقلة.

وكما لو شهدت بينة أنه كان يغتل جميع أملاكه إلى أن مات، وشهدت أخرى بأنه كان صيرها لزوجته وحازتها فالتصيير صحيح[3].

وقد نصت مدونة الحقوق العينية الى هذا الشرط في مادتها الثالثة بالقول: "تقديم بينة النقل على بينة الاستصحاب"؛

وقال ابن فرحون ممثلا وموضحا لهذه القاعدة: وتقدم البينة الناقلة على المستصحبة، ومثالها: أن تشهد بينة أن هذه الدار لزيد بناها منذ مدة، ولا يعلمونها خرجت عن ملكه إلى الآن، وتشهد البينة الأخرى: أن هذا اشتراها منه بعد ذلك، فالبينة الناقلة علمت، والمستصحبة لم تعلم فلا تعارض بين الشهادتين[4].

---

[1]-مواهب الخلاق على شرح التاودي للامية الزقاق، 453/1، موسوعة قواعد الفقه والتوثيق مستخرجة حاذي الرفاق إلى فهم لامية الزقاق، محمد القدوري. ص 260.

[2]- تبصرة الحكام لابن فرحون، 265/1.

[3]- موسوعة قواعد الفقه والتوثيق مستخرجة حادي الرقاق، الأستاذ القدوري، ص:261.

[4]- تبصرة ابن فرحون: 265/1.

وللفقيه التسولي فيما سبق معنا من القواعد الخاصة إشارة مهمة حيث قال: وليس من المرجحات الملك على الحوز، ولا النقل على الاستصحاب، لأن الحوز أعم من الملك، إذ يكون عن ملك وعن غيره، والأعم لا يعارض الأخص، ولذلك لو شهدوا لرجل بملك شيء، وشهدوا لمن هو بيده بالحوز، لأن شهادتهما عالمة، لأنهما شهدا بعلمهما في الأمرين، وحيازة الحائز يحتمل أن

ومع اعتبارهما من المرجحات تبعاً لقول الزقاق وغيره صار الاجتهاد القضائي المغربي؛ حيث جاء في أحد قرارات المجلس الأعلى(محكمة النقض حاليا) المؤرخ في 11 ماي 1989 ما يلي: "إن الحجة الكتابية التي يعتمدها الخصم هي حجة مستصحبة، ولفيف الشراء حجة ناقلة ومن المقرر عند تعارض الحجتين المذكورتين، تقديم البينة الناقلة على المستصحبة"[1].

وجاء في قرار آخر له مؤرخ في 2003/02/26 ما يلي: "حقا حيث تبين صحة ما ورد بسبب ذلك أن قاعدة الاستصحاب تستوجب بقاء ما كان على ما كان حتى يظهر ما يخالفه بناقل"[2].

فالمفهوم من خلال تعليل المجلس لقراراته السالفة الذكر أن البينة الناقلة مقدمة على المستصحبة، وهذه القاعدة انتقلت بصفة مباشرة من الاجتهاد القضائي المغربي إلى مدونة الحقوق العينية إلى جانب أخواتها من القواعد المشار إليها في المادة الثالثة من المدونة .

ثالثاً: تقديم بينة الأصالة على خلافها أو ضدها.

يعتبر هذا المرجح في نظر الباحثين أشبه بمن استصحب حكم الماضي، فبينة الصحة أعمل من بينة المرض لأنها الأصل، وبينة الرشد مقدمة على بينة السفه، وكذلك اليسر على العسر، والكفاءة على عدمها، فلو ادعى شخص مثلا أن العقار بيبع ممن هو مريض مرض الموت، وادعى آخر أنه بيع ممن هو سليم، قدمت بينة الثاني المثبتة للصحة على الأولى، ما دام أن الأصل الصحة، والفرع المرض[3]. وقد أشارت مدونة الحقوق العينية للقاعدة في المادة الثالثة بالقول: "تقديم بينة الأصالة على خلافها أو ضدها؛"

تكون بإرفاق أو توكيل، ولا يلزمهم الكشف عن ذلك فلا تناقض في شهادتهما، قاله ابن عتاب(4)، وكذا بينة الاستصحاب لا تعارض الناقلة، لأن المستصحبة شهدت بنفي العلم بالخروج عن ملكه، وذلك لا يقتضي عدم الخروج، فنفي الخروج أعم، والأعم لا إشعار له بأخص معين، وكذلك الحوز، لأنه أعم قد يكون عن ملك وغيره، فلا إشعار له بالأخص.

نعم؛ إذا قالت هذه: وقع النقل بالبيع أو الطلاق في كذا، وقالت الأخرى: لم يقع بينهما بيع ولا طلاق مثلا في ذلك الوقت أصلا، فيتعارضان حينئذ، وتقدم بينة النقل(4).

وهذه إشارة لطيفة فيها مزيد فائدة وتوضيح، جاءت عن عالم جليل ممارس، ينبغي التنبيه إليها، وهو تابع لصاحب التحفة بخصوصه، فمعرفتها أنفع من جهلها، لذلك لم نر بأسا من نقلها في مقالنا رغم طولها حتى يعرفها كل من أتيحت له فرصة الاطلاع على ما كتبناه بخصوصها.

[1]- قرار عدد: 416 مؤرخ في: 11 ماي 1982، ملف عقاري رقم:43446، منشور بمجلة المجلس الأعلى للقضاء السنة الخامسة مارس 1983 ، ص: 69.

[2]- قرار عدد: 76 مؤرخ في: 26 فبراير 2003 ملف شرعي عدد: 2002/1/2/205. قضاء محكمة النقض في الترجيح بين الحجيات والحجج ، ص: 57.

[3]- دعوى استحقاق العقار غير المحفظ بين الفقه المالكي والاجتهاد القضائي المغربي، حميد البشرى، ص:105-106.

ومن تطبيقات هذه القاعدة في الاجتهاد القضائي المغربي قبل صدور مدونة الحقوق العينية نذكر ما جاء في أحد قرارات محكمة النقض المؤرخ في 26 فبراير 2003. حيث جاء فيه : "فإذا وقع الاستدلال بحجج متعارضة، وكانت إحدى هذه الحجج تتمسك بالعسر، والأخرى تثبت اليسر، فإن الحجة المثبتة لليسر مقدمة على حجة العدم؛ لأنها تتمسك بالأصل في الإنسان وهو الملاءة[1].

وقد تقرر في الفقه المالكي قبل الاجتهاد القضائي المغربي قاعدة تقديم الأصالة على الفرعية، فإذا شهدت بينة أحدهما أنه أوصى وهو صحيح، وشهدت أخرى أنه أوصى وهو مريض، قال ابن القاسم: تقدم بينة الصحة لأنه الأصل والغالب.

وقال الونشريسي رحمه الله: ومن نظائرها بينة الطوع والإكراه، والصحة والفساد، والرشد والسفه، والعسر واليسر، والعدالة والحرية والرق، والكفاءة وعدمها، والبلوغ وعدمه[2].

وهذا ما عبر عنه صاحب اللامية بقوله: "**أو ما قد أصلا**"[3].

ولذلك قالوا: فالأصل البراءة إلى أن تثبت الإدانة، والرضا إلى أن يثبت الإكراه، والرشد إلى أن يثبت الخلل والسفه.ومثال ذلك كأن تشهد بينة بأنه وهب أو تصدق وهو صحيح، وتشهد أخرى بأنه كان في حالة مرض الموت، فبينة الصحة تقدم على غيرها، لأنها الأصل، ما لم يثبت التحايل، وبالتالي يمكن القول بأن هذا المرجح فرع عن الذي قبله.

وقد التفت المقنن المغربي لهذا الاستثناء في قانون الالتزامات والعقود وبعده في مدونة الحقوق العينية، فأجاز في الفصل 419 من ق ل ع، إثبات الإكراه، والاحتيال والتدليس والصورية والخطأ المادي في الوثائق الرسمية بمختلف وسائل الإثبات من شهود، وقرائن قوية منضبطة متلائمة من الأطرف أو ممن له مصلحة مشروعة، فهذه الوثائق لو شهدت على الأصل بخلاف الواقع، فإن إثبات ما يخالفه ويسقطه يبقى قائما[4].

رابعا: ترجيح اليد على مجرد الدعوى وعند تساوي البينات.

فالترجيح باليد لا يلجأ إليه إلا إذا عجز المدعي عن الإثبات، وهذا هو معلوم في باب الحيازة وعلى من يقع عبء الإثبات، أو إذا تساوت البينتان، فالقاعدة هنا أن بينة الداخل مقدمة على بينة الخارج، أي: أن الترجيح يقع باليد عندما تتعارض البينتان وتسقطان، وتفهم القاعدة من خلال ما نصت مدونة الحقوق العينية ضمن الفقرة الأولى من المادة الثالثة حيث وقد جاء فيها : "يترتب على الحيازة المستوفية للشروط القانونية اكتساب الحائز ملكية العقار غير المحفظ أو أي حق عيني آخر يرد عليه إلى أن يثبت العكس.

---

[1]- قرار محكمة النقض، عدد: 76. المؤرخ في 26 فبراير 2003. ملف شرعي عدد: 2002/1/2/205، منشور بقضاء محكمة النقض في الترجيح بين البينات والحجج ، جمع وتقديم : عمر أزوكار، ص56-57.

[2]- فتح العليم الخلاق في شرح لامية الزقاق، ص:309.

[3]- مواهب الخلاق: 409/1.

[4]- شرح لامية الزقاق في صناعة القضاء، دراسة في ضوء المذهب المالكي، والتشريع المغربي، ص: 148-149.

لا تفيد عقود التفويت ملكية العقارات غير المحفظة إلا إذا استندت على أصل التملك وحاز المفوت له العقار حيازة متوفرة على الشروط القانونية." ومقتضى القاعدة يفيد أن الحكم للحائز حيازة فعلية عند تساوي البينات والحجج المدلى بها في الدعوى ولتطبيقات هذه القاعدة في الاجتهاد القضائي المغربي نماذج متعددة، سأكتفي بنماذجَ منها تمثيلا لا حصرا:

فقد جاء في قرار لمحكمة النقض المؤرخ في 2002/07/24 ملف مدني عدد: 2001/1/1/2494. ما يلي: إن الشراء المقرون بالحيازة أرجح من غيره، وأن الشراء الغير المبني على أصل التملك لا ينتزع به الملك من يد حائزه"[1].

وفي نفس السياق جاء في قرار آخر لمحكمة النقض ما يلي: وإذا انعدم الترجيح فالحكم للحائز ويحلف... وبما أن ملكية كل طرف من طرفي النزاع تضمنت كافة شروط الملك من يد ونسبة وتصرف وعدم منازع، وعدم العلم بالتفويت فضلا عن الحيازة وتعذر ترجيح إحداهما على الأخرى مما يكون معه القول قول الحائز بيمينه، وما دامت الحيازة الحالية بيد البوعلاوي الطيب ومن معه، فإنه يتعين الحكم بصحة تعرضهم مع يمينهم"[2].

وجاء في قرار آخر لمحكمة النقض (المجلس الأعلى سابقا) كذلك مؤرخ في 17 أكتوبر 2007 ما يلي:" وأن الحيازة تعد قرينة قانونية على الملك، وتعتبر من المرجحات الفقهية، وأن رسوم الأشرية القديمة المجردة عن أصل التملك وعن الحيازة المعتبرة شرعاً والقاطعة لدعوى المدعي لا تفيد الملك، ولا ينتزع بها من حائزه، وبما أن واقعة الحيازة ثابتة لطلاب التحفيظ بإقرار من المتعرضين حسب الثابت من محضر المعاينة، فثبوت حيازتهم للمدعى فيه بإقرار المتعرضين، كل ذلك يجعل حجتهم أقوى وأرجح من حجة المستأنف عليهم غير المقرونة بالحيازة"[3].

وفي نفس السياق جاء في قرار آخر لمحكمة النقض مؤرخ في 03 أكتوبر 2007 ما يلي: و" حيث إن رسم شراء المستأنف المشار لمراجعه أعلاه معزز بوضع اليد والحيازة الثابتة من خلال معاينة الخبرة، وأن الحيازة فقها تندرج ضمن أسباب

الترجيح بين البينات لقول الزقاق:

---

[1]- قرار محكمة النقض مؤرخ في: 2002/07/24، ملف مدني عدد: 2001/1/1/2494. قضاء محكمة النقض في الترجيح بين البينات، عمر أزوكار، ص: 118 .

[2]- قرار عدد:711 مؤرخ في: 12 مارس2003، ملف مدني عدد: 2002/1/1/2476، قضاء محكمة النقض في الترجيح بين البينات، عمر أزوكار، ص:128.

[3]- قرار عدد:3317 ملف مدني عدد: 2005/1/1/2883. قضاء محكمة النقض في الترجيح بين البينات، ص:9.

"**وإن يعدم فاحكم لحائز**".....[1].

فالظاهر أن أن القضاء المغربي طبق القاعدة المذكورة عملاً بقول خليل: "**بيد إن لم ترجح بينة مقابلة**". وكذلك إذا كانت الدعوى مجردة من البينة، فإن العقار يبقى بيد حائزه وهو ما أكده ابن عاصم في تحفته بقوله :

والمـــدعي اســـتحقاق شـــيء يلـــزم ببينـــة مثبتـــة لمـــا يزعـــم

مـــن غيـــر تكليـــف لمـــن تملكـــه مـــن قبـــل ذا بـــأي وجـــه ملكـــه

وقال الشيخ ميارة في شرحه: وإن تكافأت البينتان سقطتا، ويبقى الشيء بيد حائز وإنما يحلف[2]. ولأن حوزه له كالشاهد العرفي يحلف معه[3].

وفي ذلك يقول ابن فرحون في تبصرته: وإذا لم يمكن الترجيح بين البينتين سقطتا وبقي المدعى فيه بيد حائزه مع يمينه[4].

وقال الزقاق في لاميته:

وإن يعـــــدم التـــــرجيح لحـــــائز ويحلـــف أوللـــذي يقـــر اجعـــلا

قال الشيخ الرهوني في شرحه: "يعني إذا وقع فَقْدُ ترجيح إحدى البينتين على الأخرى، بأن لا يكون هناك مرجح أصلا، أو كانا وتساويتا فيه، أو فُقد أصل البينة لكل منهما، فإن كان الشيء المدعى به بيد أحدهما، فاحكم به مع يمينه[5]. وإن كان بيد غيرهما، فاجعله لمن يقر الحائز له به.

وعليه فالحيازة بشروطها تقطع النزاع في غياب الحجة القوية أو عند تساوي الحجج[6]

خامسا: التقديم بزيادة العدالة والعبرة ليست بالعدد.

نصت مدونة الحقوق العينية على هذه القاعدة في مادتها الثالثة بالقول:

"زيادة العدالة والعبرة ليست بالعدد".

وصورتها كأن يكون إحدى شهود البينتين أكثر عدالة من شهود البينة الأخرى بأن يكونوا أكثر شهرة بالخير والصلاح أو بالضبط، ولا يهم في ذلك زيادة عدد إحدى البينتين على الأخرى كأن يكون شهود إحدى

---

[1]- قرار عدد: 3163 مؤرخ في 03 أكتوبر2007، ملف مدني عدد: 2006/1/1/4175، عمر ازوكار، نفس المرجع السابق، ص: 94.

[2]- الإتقان والإحكام في مسائل التداعي والأحكام شرح تحفة الحكام لميارة الفاسي : 166/1.

[3]- الدليل العملي للعقار غير المحفظ برادة غزيول، ص: 73.

[4]- التبصرة: 265/1.

[5]- موسوعة القواعد المستخرجة من حاذي الرفاق، محمد القدوري، ص: 283.

[6]- فتح العليم الخلاق، ص:312.

البينتين أكثر من الأخرى فإنه لا يعد مرجحا، والسبب في ترجيح مزيد العدالة على مزيد العدد أن مزيد العدالة أقوى، إذ في استطاعة كل من الخصمين أن يزيد في عدد شهوده بخلاف زيادة العدالة، وإذا تساوت العدالة قضي بالأكثر[1].

لكن هذا مقيد بأن لا يصل العدد إلى حد التواتر، فحينئذ تقدم زيادة العدد لأن التواتر يفيد العلم القطعي وشهادة العدلين تفيد الظن[2]، فإذا شهدت بينتان كل واحدة منهما بخلاف الأخرى، رجحت الزائدة في العدالة، وإن شهدت الأخرى للحائز لقول خليل: وباليد وإن لم ترجح بينة مقابلة.

ومن ذلك فإن شهادة العدول تكون مرجحة على شهادة اللفيف عند التعارض كما أن شهادة الستة من اللفيف وعدل واحد، مقدمة على شهادة اللفيف المحضة لزيادة العدالة في ذات العدل مع اللفيف الستة، وشهادة العدلين تقدم على شهادة العدل الواحد مع اللفيف[3].

وتجدر الإشارة إلى أن اعتماد زيادة العدالة كشاهد في الفقه والقضاء في المذهب

لا يرجح بها إلا في الأموال دون غيرها، وأن إعمالها في الأموال مفتقر إلى يمين، لذلك قالوا: فزيادة العدالة يحلف معها على المشهور ومذهب المدونة[4]، ومن ذلك يمكن اعتمادها في دعوى الاستحقاق العقارية باعتبارها مالا من الأموال المتنازع فيها.

وإذا كان الاعتماد في بلادنا على أن العدول هم الأشخاص المنتصبين لتلقي الشهادات في إطار القانون المنظم لخطة العدالة، فإن شهادتهم تعد أصلية وبذلك تقدم على شهادة اللفيف الإسترعائية لما زادت به من تحقق العدالة الذي يرفع قوتها الثبوتية عن اللفيف.

وتطبيقا لهذه القاعدة قضت محكمة الاستئناف بتطوان معللة قرارها بما يلي:

وحيث يتضح ما ذكر أن رسم ملكية المدعي- المستأنف عليه - يتوفر على كافة عناصر الملك المعتبر شرعاً، في حين أن رسم ملكية المستأنف لا يعدو أن يكون شطر لفيف من ستة شهود، والتي تنزل منزلة عدل واحد، وهذا بخلاف رسم المستأنف عليه، هو شهادة استرعائية لعدلين، ومن المعلوم أن شهادة عدلين مرجحة على شهادة عدل واحد[5].

سادسا: تقديم تعدد الشهادة على الشهادة الواحدة

---

[1]- التبصرة للخمي: 5514/10.

[2]- وسائل الإثبات في الفقه الإسلامي، محمد ابن معجوز، ص:163.

[3]- دعوى استحقاق العقار غير المحفظ بين الفقه المالكي والاجتهاد القضائي المغربي، حميد البشرى، ص: 106.

[4]- التبصرة للخمي: 5515/10، فتح العليم الخلاق، ص: 311.

[5]- قرار استئنافية تطوان، صادر بتاريخ 11 أبريل 1979 ملف مدني رقم:599101، أورده ادريس حمادي في رسالته، دعوى استحقاق العقار العادي بين الفقه المالكي والاجتهاد القضائي المغربي، ص: 138.

وصورتها كما أن يشهد شاهدان بملكية أرض لعمرو، ويشهد آخر بأنها ملك لزيد وحلف زيد على ذلك مع شاهده، فإن بينة عمر ترجح وإن كان زيد أعدل أهل زمانه، فقدمت البينة المكونة من شاهدين على البينة المكونة من شاهد ويمين[1].

وأكدت مدونة الحقوق العينية على هذه القاعدة في المادة الثالثة بالقول:

"تقديم تعدد الشهادة على شهادة الواحد".

إذ القاعدة أن يقدم الشاهدان على الشاهد واليمين، وكذا شهادة العدلين على شهادة العدل وامرأتين وإن عرفتا بالعدالة، نظرا للترتيب الوارد في آية الدين من سورة البقرة

وتطبيقا لهذه القاعدة في الاجتهاد المغربي جاء في أحد قرارات المجلس الأعلى (محكمة النقض حاليا) المؤرخ في30 أكتوبر 2002 ما يلي: كما أن الشاهدين تقدم على الشاهد واليمين، ففي الزرقاني على الشيخ خليل، و"رجح بشاهدين" من جانب على شاهد ويمين من جانب آخر.

ولو كان أعدل أهل زمانه وهو ما اعتبرته المحكمة عن صواب عندما اعتمدت حجة المطلوبين ورجحتها على حجة الطاعنين، وعللت قرارها بأن رسم الشراء المدلى به من طرف المستأنفين لا يستند على سند ملكية البائع وغير مقترن بالحيازة[2].

فإذا كان للقواعد المذكورة أصول في القضاء المغربي والفقه المالكي وهو ما أخذ به المقنن المغربي في مدونة الحقوق العينية بخصوص هذه المرجحات التي تقوم على أساس حال ونوع البينة، فماذا عن المرجحات القائمة على أساس مضمون البينة وحيثياتها وهذا هو موضوع المطلب الموالي.

المطلب الثاني: الترجيح القائم على أساس مضمون البينات.

استخلص كل من الفقه والقضاء في المذهب من مضمون البينات وحيثياتها مجموعة المرجحات كانت سبباً في تقديم بعض الحجج والبينات على أخرى ومن ذلك:

أولا: الترجيح القائم على أساس بيان وجه المدخل.

وصورتها كأن يقدم أطراف الدعوى وثيقتين تشهدان بالملك، وزادت إحداهما بيان سبب الملك أو وجه المدخل، فإنها ترجح على التي شهدت بالملك المطلق، لأن كل واحدة منهم شهدت بالملك، لكن إحداهما زادت مبينة سببه، فالتي ذكرت سبب الملك أرجح من التي لم تذكره.

---

[1]- وسائل الإثبات في الفقه الإسلامي، محمد ابن معجوز، ص:163.

[2]- قرار المجلس عدد: 3355 مؤرخ في 30 أكتوبر 2002، ملف مدني عدد: 2002/1/1/2820، قضاء محكمة النقض، الترجيح بين البينات والحجج، عمر أزوكار، ص: 115.

ومثال ذلك: إذا شهدت بينة بأن هذه الدار ملك لزيد المدعي، وشهدت بينة أخرى بأنها لعمر – المدعى عليه - بناها بنفسه أو ورثها عن أبيه، مبينة سبب الملك فإن هذه الأخيرة تقدم على الأولى وترجح بما زادت به من بيان سبب الملك(1).

وهو ما أكدته مدونة الحقوق العينية في مادتها الثالثة بالقول:" **ذكر سبب الملك مقدم على عدم بيانه**؛" ولهذه القاعدة أصول فقهية وقضائية ، فالقاعدة تجد أساسها في الفقه المالكي وأكد عليها مجموعة من الفقهاء ومن ذلك قول الشيخ خليل: "وإلا رجح بسبب". وفي لامية الزقاق:

" **بأسباب ملك رجحن إن تعرض**"[2].

وتطبيقاً لهذه القاعدة في الترجيح جاء في أحد قرارات محكمة النقض المؤرخ في: 23 يناير 2001م ما يلي: "أن المحكمة كانت على صواب لما استبعدت رسوم الأشرية المجردة بعلة أنها غير مؤسسة على أصل الملك"[3].

وجاء في قرار آخر للمجلس ما يلي: حيث إن الدعوى ترمي إلى الاستحقاق وأن المدعي عززها بما يثبت شرائه للقطعة الأرضية من البائعة له، وأن الأرض أنجزت لها عن طريق الإرث من والدها، وأن أولادها يتصرفون فيها بإذنها لعجزه عن القيام باستغلالها، حسب ما هو ثابت، وأن المحكمة عوض أن تأخذ بعقد الشراء المثبت لأصل الملك وما ورد به بموجب إثبات وجه المدخل الذي لا يعيبه تراجع ثلاث من شهوده، لأن يصح تلقيه، أخذت بموجب تصرف المطلوب في النقض الخالي من شروط الملك، الشيء الذي يجعل قرارها لا يرتكز على أساس فقهي وقانوني سليمين ويعرض قرارها للنقض[4].

ثانيا: ترجيح بينة الإثبات على بينة النفي

وصورتها كما لو قدم الخصمان في دعوى الاستحقاق بينتان تشهد إحداهما بالإثبات والثانية بالنفي، فإن بينة الإثبات تقدم على بينة النفي. وقد جاء التنصيص على القاعدة بمدونة الحقوق العينية في مادتها الثالثة بالقول:" **تقديم بينة الإثبات على بينة النفي**".

وبتتبع مصادر الفقه المالكي وما جرى عليه الاجتهاد القضائي المغربي نجد لهذه القاعدة أصول فقهية وأخرى قضائية فقد استشهد بعض المتأخرين من فقهاء المذهب على هذه القاعدة بما ورد في نوازل ابن سهل

---

[1]- ينظر؛ وسائل الإثبات محمد ابن معجوز، ص: 162.

[2]- فتح العليم الخلاق في شرح لامية الزقاق، ص305-306. موسوعة قواعد الفقه والتوثيق، ص: 257، البهجة في شرح التحفة، 261/1. حلي المعاصم لفكر ابن عاصم 642/1، بهامش البهجة، شرح لامية الزقاق في صناعة القضاء عبد الرحمان بلعكيد، ص: 144. مواهب الخلاق: 449/1.

[3]- قرار محكمة النقض، عدد: 304، بتاريخ : 23-2001 غير منشور.

[4]-قرار محكمة النقض عدد: 316 مؤرخ في 2 فبراير 2005، ملف مدني عدد:2019 منشور بمجلة القصر عدد:13 يناير 2006. ص: 202.

من ترجيح الشهادة بحوز الرهن وتحويزه،على الشهادة بنفي الحيازة فقال: بينة حوز الرهن أرجح من البينة بعدمه، لأن الشهادة بالحوز أثبتت الهبة بصحتها فكانت أولى من التي شهدت ببطلانها[1].

وتطبيقاً لهذه القاعدة فقد جاء في أحد قرارات المجلس الأعلى للقضاء (محكمة النقض حاليا) المؤرخ في 08 يونيو 2005 ما يلي:

"وقد ثبت من الخبرة المنجزة استئنافياً أن الرسمين معا قد انطبقا على الأرض المسماة: "الدوم" أو: "هوتة العزف". مما يتعين معه اللجوء إلى قواعد الترجيح بين الحجج المتفق عليها فقهاً وقضاءاً، ورجحت بذلك حجة المطلوبين معا عما سواها لكونها مثبتة تثبت الأصل لموروث الطرفين معا فهي مقدمة على حجة المستأنف[2].

وفي نفس السياق قضت محكمة النقض في قرار لها مؤرخ في 23 أبريل 2008م حيث جاء فيه: "وأن ما أدلت به الطاعنة يثبت بشكل لا لبس فيه؛ كون موروث الطرفين ظل باسطا يده على المدعى فيه، وأن المستأنف عليها لم تطعن في الحكم المذكور، رغم ما تضمنه من وثائق عقدة الإشتراك مع المكتب الوطني للماء والكهرباء، ولم تدل بأية حجة تثبت حيازتها الفعلية، في حين أن رسم الصدقة الذي يشهد فيه العدلان بحيازة المتصدق للمتصدق به، وأن معاينة وتطوافاً، لا يمكن أن يناهض باللفيف لنفي هذه الحيازة لعدم تكافئهما، ولكون المثبت مقدم على النافي، لأنه علم ما لم يعلمه الآخر، سيما وأن الدار ما هي إلا جزء من المتصدق به المقصود بالمعاينة هو حوز المتصدق عليه به للمتصدق به، وأن العدلان شهدا بالحوز، الأمر الذي يكون معه القرار خارقا للقواعد المستدل بها مما عرضه للنقض والإبطال[3]. وبما ذكر سابقا يتجلى بوضوح أن للقاعدة أصول فقهية واجتهادية تستند إليها.

ثالثا: تقديم البينة المفصلة على البينة المجملة:

وصورتها كأن تعرض على المحكمة بينتين؛ إحداهما مفصلة والأخرى مجملة بالنظر إلى بيان ما تشهد به كل منهما، فتقدم البينة المفصلة لما فيها من مزيد توضيح ورفع أشكال، على المجملة. وقد نصت مدونة الحقوق العينية على هذه القاعدة بالقول:

"تقديم بينة التفصيل على بينة الإجمال."

---

[1]- مواهب الخلاق: 457/1-موسوعة قواعد الفقه والتوثيق مستخرجة حادي لرفاق، ص262.

[2]- قرار محكمة النقض عدد: 312، مؤرخ في 08 يونيو 2005. ملف شرعي عدد: 2003/1/2/448. قضاء محكمة النقض في الترجيح بين البينات والحجج، ص:23.

[3]- قرار محكمة النقض عدد: 1575 المؤرخ في 2008/04/23، ملف مدني عدد: 3075 /2006/1/1، قضاء محكمة النقض في الترجيح بين البينات، ص: 66.

وبخصوص هذه القاعدة يقول الشيخ التاودي في شرحه للامية: "ومن يُفَصل فمختار على من أجملا، ومن يفصل أي ؛ من الشهود في شهادته فمختار، أي: مقدم على من قد أجملا[1].

وللقاعدة تطبيقات على مستوى الاجتهاد القضائي المغربي ونسجل من ذلك ما جاء في أحد قراراته المؤرخ في 2005/01/26 حيث جاء فيه: "لكن حيث تقدير الأدلة موكول لسلطة المحكمة إن هي أقامت قضاءها على أسباب سائغة، وهي إذ ناقشت الموجب عدد: 117 الذي استدلت به المطلوبة في النقض، والذي أفاد شهوده بأن الواهب موروث الطرفين، ظل يسكن بالطابق السفلي قبل ثلاث سنوات عن وفاته لمرضه وعجزه، بعد أن وهب لابنته بالطابق العلوي من المنزل محل النزاع. واستخلصت منه إخلاءه للمحل الموهوب، ورجحته على ما أدى به الطالبون للبيان والتفصيل الذي ورد به، تكون قد طبقت القاعدة الفقهية التي تقضي بأن: البينة المفصلة مرجحة على البينة المجملة، وأجابت ضمنيا عما أثير في هذا الشأن من دفوع، وقدرت وثائق الملف تقديرا صحيحا مما يجعل الوسيلتين بدون أساس"[2].

وتطبيقا لنفس القاعدة كذلك؛ جاء في أحد قرارات المجلس المؤرخ في 20 أبريل 2005 م ما يلي: "لكن حيث إن قواعد الترجيح المقررة فقهاً تقضي بأن ترجح البينة المفصلة على المجملة، والمثبتة على النافية، والمحكمة إذ ناقشت موجب إثبات الإراثة عدد: 263 الذي استدل به المطلوب في النقض، ورجحته لأنه علم ما لم تعلمه البينة التي أدلى بها الطالب، واعتبرته تاما لأنه استوفى كل ورثة الهالكة "كميح الكبيرة" تكون قد طبقت قواعد الترجيح المذكورة تطبيقا سليما"[3].

رابعا: تقديم البينة المؤرخة على غير المؤرخة، والسابقة تاريخا على اللاحقة:

لقد اعتمد كل من الفقه والقضاء في المذهب المالكي ومعهم التشريع المغربي التاريخ وسيلة للترجيح، وذلك من جهة وجوده أو انعدامه فترجح البينة المؤرخة على غير المؤرخة(أولاً) أو بالنظر إلى تقديم أحداهما على الأخرى فترجح السابقة على اللاحقة(ثانياً).فقد نصت مدونة الحقوق العينية ضمن فقرتين متتاليتين من المادة الثالثة :

"تقدم البينة المؤرخة على البينة غير المؤرخة".

"تقديم البينة السابقة على البينة اللاحقة تاريخاً".

أ: تقديم البينة المؤرخة على البينة غير المؤرخة:

وصورتها كأن تشهد بينة المدعي بأن هذه الدار على ملكه منذ خمس سنوات، وتشهد

---

[1]- شرح تحفة الحكام بمسائل التداعي والأحكام:634/1.

[2]- قرار محكمة النقض عدد: 52 مؤرخ في 26 يناير 2005 ملف شرعي عدد: 2004/1/2/228.

[3]- قرار محكمة النقض عدد: 224 المؤرخ في 2005/04/20 ملف شرعي، عدد: 2004/1/2/167.

بينة المدعى عليه بأن تلك الدار على ملكه ولم تذكر تاريخا، فإن الأولى ترجح على الثانية بسبب اشتمالها على التاريخ[1].

وقال ابن الحاجب في مختصره:" وفي مجرد التاريخ قولان"[2]:

وكتب عليه خليل في توضيحه شارحا ما نصه: والقول بتقديم المؤرخة لأشهب، والقول بعدم تقديمها ذكره اللخمي[3] والمازري ولم يعزواه[4].

وقال ابن شاس[5]: "إن كانت إحدى البينة مطلقة والأخرى مؤرخة قدمت المؤرخة على المطلقة"[6]، وهذا هو المعتمد، ولذلك اقتصر عليه خليل في مختصره، والزقاق في لاميته[7].

وتطبيقا لهذه القاعدة فقد جاء في أحد قرارات محكمة النقض المؤرخ في 14 أبريل 1972 ما يلي: "خلافا لما جاء في الوسيلة فإن محكمة الاستئناف لم تصرح بأن كلا من الرسم المدلى به من طرف المطلوب في النقض له تاريخ ثابت وسابق مما يجعل محكمة الموضوع ترجحه على الآخر"[8].

هذا إذا فقدت إحدى البينتين تاريخها، أما إذا توفرت البينتين المتعارضين على التواريخ فهنا ينظر في الأقدم تاريخا، كما سيتضح عقبه.

---

[1]- وسائل الإثبات في الفقه الإسلامي، محمد ابن معجوز، ص: 162.

[2]. جامع الأمهات لابن الحاجب ، ص : 487 طبعة دار اليمامة سنة 1421 هـ.2000م.

[3]- هو أبو الحسن علي بن محمد الربعي المعروف باللخمي أصله من القيروان ونزل سفاقس تفقه بابن محرز والتونسي والسيوري ، مالكي المذهب ، اشتهر بتخريج الخلاف واستقراء الأقوال ، له اختيارات خالف فيها من تقدمه فخرجت اختياراته عن قواعد المذهب ، وهو أحد الأئمة الأربعة الذين اعتمد خليل ترجيحاتهم ، وله كتب مفيدة، من أهمها تعليقه الكبير على المدونة الذي سماه التبصرة ، توفي بسفاقس 478 هـ انظر الديباج : 104/2، والفكر السامي : 50/4-51 والأعلام: 328/4 ومعجم المؤلفين: 197/7).

[4]. التوضيح شرح مختصر ابن الحاجب للشيخ خليل : 12/8.

[5]. هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن نجم بن شاس الجذامي السعدي المصري المالكي ، جلال الدين الملقب بالخلال، شيخ المالكية في عصره بمصر، من كتبه عقد الجواهر الثمينة ، ألفه على طريقة الغزالي في الوجيز ، امتنع عن الفتوى في آخر عمره (ت 616 هـ) انظر وفيات الأعيان (61/3) والديباج (343/1) والأعلام (124/4) ومعجم المؤلفين (158/6).

[6]. عقد الجواهر الثمينة لابن شاس : 3 /1088.

[7]- فتح العليم الخلاق، ص: 209، مواهب الخلاق 462/1، التبصرة: 5515/10-5516، عقد الجواهر الثمينة:319/3. موسوعة قواعد الفقه والتوثيق، ص:267.

[8]- قرار غير منشورعدد: 79 مؤرخ في:14 أبريل 1972 ملف مدني عدد: 199/68 أورده الباحث حماوي ادريس: في بحثه دعوى استحقاق العقار العادي بين الفقه المالكي والعمل القضائي، دبلوم الماستر، ص: 142.

ب: تقديم البينة السابقة على البينة اللاحقة:

فإذا شهدت كلتا البينتين بالملك، وذكرت كل منهما تاريخا، للملك المشهود به كما إذا شهدت إحداهما بأن الدار للمدعي منذ خمس سنوات، وشهدت بينة المدعى عليه بأنها ملكه منذ ثلاث سنوات، فتقدم الأولى بسبب أن التاريخ الذي عينته مقدم على تاريخ الأخرى، لأن الملك تثبت للأقدم، والأصل استصحاب وبقاء ما كان على ما كان حتى يثبت العكس، ولا يقال إن الحادثة ناقلة، وهي كما مر معنا، لأن شرط الترجيح بالنقل أن تكون شهادته مشتملة على ذكر سبب النقل، وهنا إنما شهدتا بالملك، واختلفت في قدر التاريخ، وفي ذلك قال الزقاق في لاميته: "**وباثنين والتاريخ أو سبقيته**". أي فرجح بذلك القدم لأن الملك يثبت للأقدم[1].

ومما يجدر التنبيه إليه، أن التاريخ الذي ترجح الوثيقة بتقدمه هو تاريخ مدة الحيازة وليس تاريخ تلقي الشهادة، أو تحرير الوثيقة أو الخطاب عليها، إذ تقدم الوثيقة الشاهدة بقدم تاريخ الحيازة على المتأخرة به، ولو كانت أعدل من المتقدمة، أو كان المتنازع فيه بيد صاحب المتأخرة، لأن الوثيقتان تسقطان فيما تعارضتا فيه من مدة، ويبقى استصحاب الحال لذات التاريخ الأقدم للمدة الزائدة خاليا من المعارض[2].

وعن هذا التنبيه يقول التسولي في معرض شرحه لقول ابن عاصم:

وقـــــــدم التـــــــاريخ قبـــــــل ولـــو مـع يـد والعكـس عـن بعـض نقـل

وإن الترجيح بالتاريخ معلق بشهادة الأصل[3]

وتطبيقاً لما نبه عليه فقهاء المالكية بخصوص هذا المرجح هو ما أكدته محكمة النقض (المجلس الأعلى سابقا) في أحد قراراتها المؤرخ في:8 أكتوبر 2006 حيث جاء فيه ما يلي: "ورَداً على البينتين معا لتداخلهما، فإن العبرة بالترجيح بقدم التاريخ بين البينتين فقها؛ ليس بتاريخ كل منهما، وإنما بقدم المدة المشهود بها في كل منهما، ولذلك، فإن المحكمة لما لها من سلطة في تقييم الأدلة، واستخلاص قضائها فإنها حين عللت قرارهما بأن الملكية المتمسك بها من لدن المتعرض ضدهم، والمؤرخة في 1987/09/10 م المنجزة من قبل موروثهم تشهد به وبأنه بيده وعلى حوزه وملكه في شركة المتعرض نصف الدار يتصرف فيها مدة خمسة وعشرين سنة سلفت عن تاريخه؛ وأن ملكية المتعرض مؤرخة في 1987/08/29 تشهد بملكية جميع الدويرة يتصرف فيها لمدة خمسة عشر سنة سلفت عن تاريخه، وبذلك تبقى ملكية المتعرض ضدهم مرجحة من

---

[1]- مواهب الخلاق على شرح لامية الزقاق : 463/1.

[2]- الدليل العملي للعقار غير المحفظ برادة اغزيول وآخرون، ص: 74.

[3]- البهجة في شرح التحفة: 259/1 وينظر كذلك حلي المعاصم بهامشه: 260/1 وفتح العليم الخلاق، ص: 310.

حيث قدم التاريخ على ملكية المتعرض، فإنه نتيجة لما ذكر كله يكون القرار معللا تعليلا كافيا، ومرتكز على أساس قانوني"[1].

وهو نفس الاتجاه الذي أكدته محكمة النقض قبل ذلك في قرار لها مؤرخ في: 20 دجنبر 2000 حيث ذهبت إلى أن العبرة في قدم التاريخ بالمدة المشهود بها للحائز، وليس تاريخ تحرير الشهادة[2].

ومن تطبيقات الترجيح بقدم التاريخ بصفة عامة في الاجتهاد القضائي المغربي نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

قرار مؤرخ في 23 فبراير 2005 م حيث جاء فيه: لكن ردا على الوسيلة فإن الترجيح بقدم التاريخ بين البينتين باحتساب مدة الحيازة المشهود بها محله، وأن تكون إحداهما تشهد لمدة أطول بالملك لطرف، والأخرى تشهد بأنه أقل لطرف آخر، وأن الأمر في نازلة الحال إنما يتعلق بالترجيح في النزاع بين شراءين من جهة واحدة، انصبا معا على بقعة واحدة، حسب مقرر الخبرة، وأن المحكمة حين عللت قرارها بان شراء طالب التحفيظ أقدم من شراء المتعرض ورجحت الأقدم وأنه نتيجة لما ذكر يكون القرار معللا بما يكفي[3].

وفي نفس السياق قررت محكمة النقض في قرار لها مؤرخ في14 مارس 2007 م ما يلي: "أن القاعدة الواجبة التطبيق عند صدور البيع من نفس الشخص، هي ترجيح الشراء الأقدم تاريخا، ولو كان الشراء مقرونا بالحيازة ما لم تكن مدتها كافية لاكتساب الحق بالتقادم، علما بأن البائع لطالب التحفيظ قد ورد ضمن البائعين للمتعرض، على اعتبار أن البيع الأخير قد صدر ممن لم يكن مالكا للمبيع، وأن شراء المتعرض يرجع تاريخه إلى سنة 1976، وأن شراء طالب التحفيظ، إنما صدر سنة 1992، وبذلك شراء المتعرض المستأنف هو الراجح، فإنه نتيجة لما ذكر كله يكون القرار معللا تعليلا كافيا ومركزا على أساس قانوني[4].

"وفي نفس السياق قررت محكمة النقض في قرار آخر لها مؤرخ في 2007/06/06 م ما يلي:

فإنه إذا كان المبيع عقاراً، وكان البيع متعددا وصادر من نفس البائع لمشترين متعددين، فإن البيع الأقدم تاريخا هو المرجح فقهاً، ولا عبرة بالحيازة في الترجيح ما لم يكن قد طال أمدها وأصبحت مكسبة للملك، وقاطعة لدعوى الاستحقاق، ولذلك فإن القرار حين علل بأن: "أصل الملك منسوب للبائع للطرفين

---

[1]- قرار محكمة النقض عدد: 750 مؤرخ في: 8 أكتوبر 2006 ملف مدني عدد: 2005/1/1/3605.

[2]- قرار عدد: 4934 مؤرخ في: 2000/12/20 ملف مدني عدد: 98/1/1/540، قضاء المجلس الأعلى في التحفيظ العقاري عبد العزيز توفيق، سنة 1990-2000.

[3]- قرار عدد: 538 مؤرخ في : 23 فبراير 2005، ملف مدني عدد:2003/1/1/3033، قضاء محكمة النقض في الترجيح بين البينات والحجج، ص: 177-178.

[4]- قرار محكمة النقض عدد: 924، مؤرخ في: 2007/03/14، ملف مدني عدد: 2005/1/1/2478، قضاء محكمة النقض في الترجيح بين البينات،عمر أزوكار، ص: 228/227.

وكون الأمر يتعلق بملك واحد، وأن البيع الأول الذي صدر منه للمستأنفين عليها منذ سنة 1971، والمقرون بالحيازة في حينه هو الصحيح.

وأما شراء الطاعنة المنصب على نفس المحل سنة 1990 لا عبرة به، لأنه صدر عن غير مالك، وأن حيازتها للمدعي فيه تبقى غير مرتكزة على أساس قانوني، وأن الحكم الجنحي القاضي ببراءتها من تهمة انتزاع الحيازة إنما يثبت أن حيازتها للملك لا تتوفر فيها شروط الحيازة المكسبة للحق.

فإنه يكون نتيجة لما ذكر كله معللا وغير خارق لقواعد الفقه المحتج بها، والوسيلة بالتالي غير جديرة بالاعتبار[1].

والملاحظ بعد النظر في مجموع الاجتهادات القضائية الواردة بخصوص قاعدة الترجيح بالتاريخ يتبين أنه لا يتم التقديم بأقدمه، إلا إذ تعلق الأمر بالبيع الصادر من جهة واحدة.

وللإشارة فقط فإن هذه القاعدة الفقهية في الترجيح حظيت بتقنين مسبق في المادة 458 من ق.ل.ع. قبل أن تنص عليها مدونة الحقوق العينية في المادة الثالثة.

خاتمة.

إن المعرفة بأسباب الترجيح بين الحجج والبينات تشكل البوصلة الحقيقية التي يسترشد بها القاضي عند فصله في الحقوق والتميز بين ما يدلي به كل طرف من حجج وبينات تنسب الحق إليه، وفي غياب العلم بها يخبط القاضي خبط عشواء ويتأرجح بين حجة هذا وبينة ذاك ، لا يعلم ما يقدم وما يؤخر ويستعصي عليه أي من الحجتين أولى بالاعتماد والتطبيق وأي منهما توجب الإبعاد.

ولا شك أن معرفة أصول قواعد وشروط الترجيح بين الحجج والبينات يزيد من معرفتها، وييسر بيان الغاية من تشريعها وإمكانية النظر فيها قصد المقارنة وإعمال ما يصلح منها وترجيحها عن معارضتها للفصل وتمكين الحق لصاحبه إقامة للعدل الذي هو أساس الحضارة والعمران، وهو ما قصدت الإسهام فيه من خلال هذه المقالة والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل .

كتبه: ذ. محمد اليوبي.

مصادرومراجع المقال .

- ❖ - القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- ❖ - تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ، تأليف : أبي عبد الله محمد بن فرحون ، الطبعة الثانية 2007 م . 1428 هـ ، دار الكتب العلمية.
- ❖ - التبصرة . تأليف : أبي الحسن علي بن محمد اللخمي ، تحقيق الدكتور أحمد بن عبد الكريم نجيب منشورات مركز نجيبويه ، الطبعة الثانية ، 1433 هـ / 2012 م.

[1]- قضاء محكمة النقض في الترجيح بين البينات، عمر أزوكار، ص: 36.

❖
❖ - مواهب الخلاق على شرح التاودي للامية الزقاق ، المسماة : تحفة الحكام بمسائل التداعي والأحكام ، تأليف ، أبي الشتاء ابن الحسن الغازي الشهير بالصنهاجي، طبعة دار السلام الحديثة : 2008 م.
❖ - شرح لامية الزقاق في صناعة القضاء دراسة في ضوء المذهب المالكي والتشريع المغربي، عبد الرحمن بلعكيد ، الطبعة الأولى 1436 هـ/ 2015 م.
❖ - موسوعة قواعد الفقه والتوثيق مستخرجة حاذي الرفاق إلى فهم لامية الزقاق للرهوني، عناية وتقديم الأستاذ محمد القدوري، الطبعة الأولى لمطبعة النجاح الجديدة 1424هـ/2004م.
❖ - فتح العليم الخلاف في شرح لامية الزقاق: للإمام أب عبد الله محمد بن أحمد ميارة الفاسي ، تحقيق رشيد البكاري ، الطبعة الأولى لدار الرشاد الحديثة 1429 هـ.2008 م.
❖ - البهجة في شرح التحفة لأبي عبد السلام التسولي، على الأرجوزة المسماة بتحفة الحكام لابن عاصم الأندلسي، وبهامشه حلي المعاصم لفكر ابن عاصم وهو شرح للإمام أبي عبد الله محمد التاودي، نشر در لرشاد الحديثة الدار البيضاء، المغرب 1433هـ-2012م.
❖ - جامع الأمهات، للفقيه جمال الدين بن عمران بن الحاجب المالكي تحقيق : أبو عبد الرحمن الأخضر الأخضري ، الطبعة الثانية لدار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع 1431 هـ.2000 م.
❖ - التوضيح في شرح المختصر الفرعي : لابن الحاجب تأليف خليل بن إسحاق الجندي المالكي ، ضبط وتصحيح الدكتور أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه 1429 هـ.2008 م.
❖ - عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة : تأليف جلال الدين عبد الله بن نجم بن شاس ، تحقيق : الدكتور محمد أبو الأجفان والأستاذ عبد الحفيظ منصور ، الطبعة الأولى لدار الغرب الإسلامي 1415 هـ. 1995 م.
❖ - الإتقان والإحكام شرح تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الفاسي ، تحقيق محمد عبد السلام محمد سالم ، دار الحديث القاهرة، طبعة 1432 هـ.2011م.
❖ - مختصر العلامة خليل ، تأليف الشيخ خليل بن إسحاق المالكي ، تحقيق : أحمد جاد، دار الحديث القاهرة 1426 هـ / 2005 م.
❖ - وسائل الإثبات في الفقه الإسلامي: تأليف: محمد ابن معجوز، طبعة 1416هـ/ 1995 م.
❖ - الدليل العملي للعقار غير المحفظ، تأليف الأستاذ امحمد برادة غزيول بمعية مجموعة من القضاة بالدائرة القضائية لاستئنافية فاس، مطبعة فضالة الناشر: جمعية نشر المعلومة القانونية والقضائية فبراير 2007م.

❖ دعوى استحقاق العقار غير المحفظ بين الفقه المالكي والاجتهاد القضائي المغربي، حميد البشري ، رسالة لنيل دبلوم الماستر في قانون العقود والعقار بجامعة محمد الأول ، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية ، 2009 / 2010 م.

❖ - دعوى استحقاق العقار العادي بين الفقه المالكي والعمل القضائي حماوي إدريس: بحث لنيل دبلوم الماستر في الشريعة ، تخصص : القضاء والتوثيق. جامعة القرويين ، كلية الشريعة فاس. 1432 – 1433 هـ/ 2011 – 2012.

❖

❖ قضاء محكمة النقض في الترجيح بين البينات والحجج لعمر أزوكار الطبعة الأولى 1435 – 2014 ، منشورات دار القضاء بالمغرب.

❖ - مجلة قضاء المجلس الأعلى، الصادر عن مرصد الاجتهاد القضائي بالمجلس الأعلى (محكمة النقض حاليا) في عددها : 55.

❖ - مجلة القصر الخاصة بالدراسات والوثائق القانونية مطبعة النجاح الجديدة عدد :13 سنة 2006.

❖ - الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت1396 هـ) ، دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر 2002 م.

❖ - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لإبراهيم بن محمد بن علي بن فرحون، برهان الديم اليعمري (ت 799 هـ)، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار الثرات للطبع والنشر ، القاهرة.

❖ - معجم المؤلفين ، لعمر بن رضا بن محمد بن راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (ت 1403 هـ) دار إحياء التراث العربي.

❖ - الفكر السامي، الحجوي الثعالبي ، مطبعة المعارف ، الرباط. 1340 هـ

مستقبل الأسرى الفلسطينيين في ظل التطورات الإقليمية والدولية
بين عامي 2011-2020

الباحث/ م. عدنان فضل الهندي الباحثة/ جمالات عبد الحميد الشاعر

الملخص

بعد انتهاء الانتداب البريطاني وإعلان دولة إسرائيل منذ عام 1948 م، سلمت بريطانيا الحركة الصهيونية اليهودية السجون البريطانية في فلسطين للإسرائيليين، والذي بدورهم قاموا بحملة اعتقالات منذ احتلال الأراضي الفلسطينية عام 1967 م، وكرس الإحتلال الإسرائيلي منظومته العسكرية الاستعمارية بشكل متكامل من القمع والقتل ومحاولة التطهير العرقي وحملة العقوبات الجماعية ، فكان الأسر من ضمن تلك المنظومة كوسيلة من وسائل الهيمنة وفرض السيطرة، وكسر إرادة الشعب الفلسطيني وإخضاعه واستسلامه، ومحاولة تدمير البنية التحتية بالكامل ألا وهي البنية الاجتماعية والاقتصادية والتنموية والنفسية، ولم يحدث ذلك صدفةً ، إنما بطريقة ممنهجة محكمة التخطيط لها.

الأسرى الفلسطينيين هم المسجونين لدى الاحتلال الإسرائيلي في سياق الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، حيث تعتبر قضية الأسرى الفلسطينيين المحتجزين لدى الاحتلال الإسرائيلي أمراً أساسياً لتقدم عملية السلام الإسرائيلية الفلسطينية، وهؤلاء الأسرى تم احتجازهم بسبب اتهامهم بأنهم "أعضاء في منظمات غير قانونية"، يقومون بالتخطيط والتنفيذ في أعمال ضد المحتلين، بدأ الأسر بحق الشعب الفلسطيني منذ الانتداب البريطاني على فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى، وخروج فلسطين من دائرة الحكم العثماني، فكان الانتداب البريطاني منذ بدايته على فلسطين يمهد لتنفيذ وعد بلفور، وتأسيس دولة إسرائيل على الأراضي الفلسطينية، وهنا ظهر التمرد الفلسطينيين على تلك السياسية المجحفة، التي أظهرت نوايا الانتداب البريطاني، فتم إنشاء السجون للاعتقالات السياسية والإدارية بحق المناضلين الفلسطينيين وممارسة سياسات مجحفة بحقهم. حيث سيتم في هذا البحث دراسة مستقبل الأسرى الفلسطينيين في ظل التطورات الإقليمية والدولية بين عامي 2011-2020 من خلال المحاور التالية:

المحور الأول: خلفية تاريخية عن الأسرى الفلسطينيين.

المحور الثاني: الموقف الفلسطيني والإسرائيلي من قضية الأسرى الفلسطينيين.

المحور الثالث: مستقبل الأسرى الفلسطينيين في ظل التطورات الإقليمية والدولية.

الكلمات المفتاحية: " الأسرى الفلسطينيين - الموقف الفلسطيني - الموقف الإسرائيلي* قضية الأسرى الفلسطينيين - التطورات الإقليمية والدولية"

The future of Palestinian prisoners in light of regional and international developments Between 2011-2020

Abstract

After the end of the British Mandate and the declaration of the State of Israel in 1948 AD, Britain handed over the British Jewish prisons in Palestine to the Israelis, who in turn carried out a campaign of arrests since the occupation of the Palestinian territories in 1967 AD. And the collective punishment campaign. Families were among that system as a means of domination and imposition of control, breaking the will of the Palestinian people, subjugating them and surrendering, and trying to destroy the entire infrastructure, which is the social, economic, developmental and psychological structure. This did not happen by chance, but in a systematic and well-planned manner.

Palestinian prisoners are those imprisoned by the Israeli occupation in the context of the Israeli-Palestinian conflict. Against the occupiers, families began with the right of the Palestinian people since the British mandate over Palestine after World War I, and Palestine's exit from the circle of Ottoman rule. The unjust political, which showed the intentions of the British Mandate, so prisons were established for political and administrative arrests against Palestinian militants and to practice unfair policies against them. Where, in this research, the future of Palestinian prisoners will be studied in light of regional and international developments between 2011-2020 through the following axes:

The first axis: a historical background on the Palestinian prisoners.

The second axis: the Palestinian and Israeli position on the issue of Palestinian prisoners.

The third axis: the future of Palestinian prisoners in light of regional and international developments.

Keywords: "Palestinian prisoners - the Palestinian position - the Israeli position * The issue of Palestinian prisoners - regional and international developments"

خطة الدراسة

أن قضية الأسرى قضية إنسانية وسياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية، وهي من الملفات المهمة والحاضرة على طاولة القيادة الفلسطينية وطاولة المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية، ولن يكون هناك حلاً نهائياً للصراع الفلسطيني الإسرائيلي دون تبيض السجون وإخراج جميع أسرانا البواسل من سجون المحتل الصهيوني ، لذلك فإن الموقف الفلسطيني الرسمي من الاعتقالات الصهيونية لأبناء الشعب الفلسطيني موقف مرفوض بشكل قطعي ، ويطالب بإلغائها دون تأخير ، ويطالب بالإفراج عن جميع الأسرى ، وفي الوقت نفسه يتابع الموقف الفلسطيني حراكه في جميع المحافل والمؤسسات الدولية، وسعيه المستمر من خلال استثمار انضمامه إلى اتفاقيات جنيف واتفاقية مناهضة التعذيب، وميثاق روما المؤسس للمحكمة الجنائية الدولية لملاحقة الاحتلال قضائياً وجنائياً على انتهاكاته لحقوق الشعب الفلسطيني.

وتكمن مشكلة الدراسة لا تزال سلطات الاحتلال تواصل ممارستها لسياستها الممنهجة لاستهداف الأسرى ، ولا تزال تضرب بعرض الحائط كل الالتزامات المتوجبة عليها ، كدولة قائمة بالاحتلال ، بل هي تتحدى القانون الدولي الإنساني ، وتواصل عمليات الاعتقالات الإدارية والسياسية ، واعتقالات الأطفال والنساء ، حيث تمارس أسوء معاملة للأسرى دون تفرقة بين الأطفال والنساء والشباب والرجال ، رغم التطورات الإقليمية والدولية لم تغير إسرائيل الصهيونية من سياستها ، ولذا تكمن مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

ما هو مستقبل الأسرى الفلسطينيين في ظل التطورات الإقليمية والدولية في الفترة 2011-2020؟

ويتفرع منه الأسئلة الفرعية التالية:

1- من هم الأسرى الفلسطينيين؟

2- ما هو الموقف الفلسطيني من قضية الأسرى الفلسطينيين؟

3- ما هو الموقف الإسرائيلي من قضية الأسرى الفلسطينيين؟

4- ما هي الخطوات القانونية لحماية الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة للتعرف إلى:

1- التعريف بالأسرى الفلسطينيين.

2- التعرف على الموقف الفلسطيني من قضية الأسرى الفلسطينيين.

3- معرفة الموقف الإسرائيلي من قضية الأسرى الفلسطينيين.

4- التعرف على الخطوات القانونية لحماية الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال.

أهمية الدراسة:

1- يساهم البحث في إلقاء الضوء على قضية الأسرى الفلسطينيين.

2- يقدم هذا البحث رؤية واضحة عن كلٍ من الموقفين الفلسطيني والإسرائيلي من قضية الأسرى الفلسطينيين.

3- إن البحث إضافة مهمة إلى الآثار الناجمة قضية الأسرى.

4- استشراف مستقبل الأسرى الفلسطينيين في ظل التطورات الإقليمية والدولية في الفترة 2011-2020.

حدود الدراسة:

الحد الزماني:

تدور الدراسة في الفترة الزمنية من عام 2011-2020م.

الحد المكاني:

تدور الدراسة في إطارها المكاني في فلسطين.

منهج الدراسة:

المنهج التاريخي: استخدمت الدراسة المنهج التاريخي لسرد تطور قضية الأسرى من العام 2011-2020م.

المنهج الوصفي التحليلي: استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لوصف ومستجداتها والتعرف على مستجدات الموقف الفلسطيني والإسرائيلي من قضية الأسري الفلسطينيين في سجوت الاختلال الإسرائيلي.

الأداة المستخدمة:

تم استخدام المقابلات

المقدمة

يضع الانتشار العالمي لوباء كورونا (كوفيد 19) الشعب الفلسطيني الرازح تحت الاحتلال الإسرائيلي أمام تحديات ومخاطر كبيرة. فبلدان العالم جندت كافة إمكاناتها الصحية والاقتصادية والتعبوية، ووضعت كل منها ميزانيات هائلة في مواجهة الوباء. أما السلطة الفلسطينية فهي تعاني من ضعف مروعٍ في الإمكانات، ومن تحكّم الاحتلال بالمنافذ البرية والبحرية والجوية، وبالصادرات والواردات، كما يعاني قطاع غزة من حصار خانق يمنع عنه أبسط احتياجاته وحقوقه الإنسانية. وبالرغم من تفشي الوباء ومخاطره على الشعب الفلسطيني، فإن الاعتبارات الأمنية تظل هي الحاكمة والحاسمة لدى الاحتلال الإسرائيلي، وليس الاعتبارات الإنسانية وغيرها(فلسطين: تداعيات الكورونا في ظل الاحتلال الإسرائيلي، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، تقدير استراتيجي (117)، نبيان/ إبريل 2020).

يمارس الاقتصادي الفلسطيني حياته تحت سطوة شروط وقيود صعبة نتيجة إجراءات سببها الاحتلال الإسرائيلي ، على الرغم الجهود الحثيثة إقليمياً ودولياً لعملية السلام منذ سنوات طويلة ، إلا أن ما زالت الحكومة الفلسطينية سواء في الضفة والقطاع يفتقرون إلى ممارسة نشاطهم الاقتصادي بحرية وممارسة

السيطرة على الموارد الطبيعية المختلفة ، وبالإضافة لعدم سيطرتهم على الحدود ، و إلى صعوبة تنقل العمالة بحرية ونقل البضائع ، فكانت تلك الصعوبات كفيلة إلى تأكل البنية التحية للإنتاج الاقتصادي الفلسطيني في الضفة والقطاع .

بناء على هذه الظروف الصعبة التي يعاني منها النشاط الاقتصادي الفلسطيني ، تراجع النشاط الاقتصادي بشكل ملموس ، وبظل ظهر أزمة كورونا المستجد (كوفيد -19) عام 2020م ،

وستتم هذه الدراسة من خلال المحاور التالية:

المحورالأول: خلفية تاريخية عن الأسرى الفلسطينيين

يرتبط تاريخ الأسير الفلسطيني بتاريخ الصراع الطويل مع الحركة الصهيونية ، ومن ثم مع دولة الاحتلال التي قامت عام 1948 م ، على أرض فلسطين الانتدابية ، كانت نتيجة الانتداب البريطاني تمهيد الطريق للصهيونية الامبريالية لإنشاء وطن قومي لهم على أرض فلسطين ، ونتج عن ذلك تهجير ثلثي الشعب الفلسطيني من أرضه بعملية تطهير عرقي منظمة ، قامت بها ميليشيات اليهودية الصهيونية بالتعاون مع الامبريالية البريطانية ودل أخرى ، فكانت نكبة 1948 م ومن ثم اكتمل الاحتلال لباقي الأراضي الفلسطينية بل وأجزاء من لبنان وسوريا والأردن عام 1967 م ، والتي ما زالت تحتل فلسطين وتمارس أبشع أنوع وأشكال التهجير والقتل والأسر ، حيث منذ الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين أرضاً وشعباً وهو يمارس أبشع أساليب الاحتلال ، فقد أعتقل حوالي ربع سكان فلسطين في الأراضي الفلسطينية المحتلة ، حتى أصبحت المفردات "الاعتقال ، السجن ، التعذيب " هي مفردات متلازمة ، وواضحة في قاموس النضال الفلسطيني وثابتة من أبجديات الحياة الفلسطينية ، ولم تقتصر الاعتقالات على فئة محددة أو فئة عمرية معية ، بل جمعت كافة شرائح المجتمع دون تميز بين شباب نساء أطفال مرضى جرحى معاقين ، ولم يسلم المحامي ورجال القانون ونشطاء حقوق الإنسان والمجتمع المدني ، ونواب المجلس التشريعي والوزراء ، والقيادات السياسية ، كان النصيب الأكبر للفلاحين والكادحين ، فكانت الاعتقالات ومصادرة الأراضي والتهجير تشمل جميع الأراضي الفلسطينية دون استثناء .

أولاً : خلفية تاريخية عن الأسرى الفلسطينيين

أنشأت الحكومة البريطانية السجون على أرض فلسطين أثناء انتدابها عليها ، وكانت بهدف زج المعارضين لسياسة بريطانيا التي كانت تسعى لإنشاء وطن قومي لليهود على حساب فلسطين وشعبها، فبعد انتهاء الانتداب ورث الاحتلال الإسرائيلي السجون وبدأت بتشغيلها وزج الآلاف من الأسرى فيها ، كما وحولت مواقع إسطبلات الجنود إلى زنازين وأماكن للاحتجاز، وأيضاً أنشاء معتقلات جديدة ، وأشهر هذه المعتقلات سجن الخليل و رام الله وصرفند وجنين ونابلس المركزي واعتليت وغيرها (وكالة الانباء والمعلومات الفلسطينية : https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=7659).

يعتبر جهاز نظام السجن الإسرائيلي الاستعماري المتمثل بإدارة مصلحة السجون الإسرائيلي أو ما يطلق علية الشاباص "Shabas" ، فهو أحدى أدوات التنفيذ بيد السياسات الإسرائيلية العامة ويمثل توجهاتها في ممارساته مع الأسر السياسيين الفلسطينيين ، الذي تم تأسيسه عام 1949 م ، وهو مسؤول السجون المنتشرة في الأراضي الفلسطينية وما يسمى إسرائيل ، الذي خلف أسوارها الأسرى الفلسطينيين الذي يتعرضون إلى أبشع أشكال الظلم ، حيث ورثت إسرائيل السجون عام 1949 م من الانتداب البريطاني ، واستمرت بتطوير السجون وأنشاء من جديد وإدارتها ، ومع توسع الاحتلال في السيطرة على الأراضي الفلسطينية عام 1967 م واحتلالها التي شملت الضفة الغربية وقطاع غزة ، تولت السجون الأردنية في الضفة الغربية ، وتولت السجون المصرية في قطاع غزة . وقامت إسرائيل بتأسيس نظاماً قانونياً مزدوجاً في الأراضي الفلسطينية بعد عام 1967 م ، بحيث يمكنها من تعريض السكان الفلسطينيين لنظام قانوني مختلف عن ذلك الذي تطبقه للمدنيين الإسرائيليين ، وفي محاولة لوصف نظام السجن الإسرائيلي ، فقد نجد أن جزءا كبير من المعايير المؤسساتية والقانونية المستخدمة من قبل الاحتلال الإسرائيلي ، وهذا ما ورثة عن بريطانيا : من " قانون الطوارئ والاعتقال الإداري " ، مع إجراء بعض التعديلات في الإجراءات القضائية الاعتيادية لبنية نظام السجن ، فجميع القوانين المستخدمة في السجون هي جزء من السياسة الإسرائيلية الصهيونية الأوسع والاستراتيجية العسكرية المصممة لإنكار أي اعتراف بالطابع السياسي للصراع الفلسطيني – الإسرائيلي (أبو ريان: 2014 ،39 ،41).

وترى الباحثة أن لحكومة الانتداب دور كبير في توفير الجو المناسب لإنشاء دولة إسرائيل المزعومة ، مستغلاً ضعف الدولة الفلسطينية ، وانشغال الدول العربية بأحوالها بعد الحرب العالمية الأولى ،حيث وقع الكثير منها تحت الانتداب البريطاني والفرنسي المتعاون على السيطرة على الوطن العربي ، فكانت سياسة الانتداب البريطاني كسر إرادة الشعب الفلسطيني بالقتل والتعذيب والأسر ، لكل من يقف أمام سياستها التمهيدية لإنشاء الوطن لليهود على حساب أرض والشعب الفلسطيني ، حتى جاءت نكبة عام 48 وتهجير وأسر عدد كبير من الفلسطينيين ، ومن ثم عام 1967م الذي فيه تم احتلال الإسرائيلي لباقي الأراضي الفلسطينية وتم توسيع السجون وزج المناضلين فيه ، رغم أن القوانين الدولة كفلت النضال من أجل التحرر من الاحتلال ، ومن حق الشعب الفلسطيني النضال لنيل استقلاله إلا أن الاحتلال الإسرائيلي وجهة تلك النضال بأبشع أشكال التعذيب والقتل والأسر ، كما جاءت مركز الضمير لنصرة الأسرى وتوصيل للعالم صوت وصورة تلك الاحتلال الحقيقية في فلسطين المحتلة .

دخلت الحركة الأسيرة الفلسطينية بمراحل تاريخية متعددة ، حيث كانت بدايتها في عام 1967/10/24 م ، لقد فتح سجن الرملة بتسعين أسيراً فلسطينياً ،جاءوا بهم من سجن نابلس المركزي ، وضعوا في قسم المتسللين والذي كان يعرف آنذاك بقسم (فتح) ،كان مكون من أكثر من سبع غرف ، وتعرض الأسرى لأبشع أساليب التعذيب على يد مدير السجن المدعو (عباس) ، ومن ثم جاءت مرحلة الثمانينيات حدوث الانتفاضة

الأولى في عام 1987م وما أضافته للحركة الأسيرة ، ومن بعدها جاءت مرحلة أوسلو في التسعينيات ، وما حملته من تأثيرات على مستوى الفر الأسيرة والجماعة المنظمة ، وبعدها جاءت مرحلة الانتفاضة الثانية في العام 2000 م ، فكان الاجتياح الإسرائيلي للمدن الفلسطينية في عام 2002 م ، وما نتج عنها من دخول "7000" معتقل جديد إلى السجون الإسرائيلية (عودة :2013 ،24،25).

لم يذكر من ضمن اتفاقية أوسلو الموقع بين م. ت . ف ودولة الاحتلال الإسرائيلي على إطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين وترك أمر قرابة 12 ألف أسيراً ، في سجون الاحتلال رهينة لحسن نوايا دولة الاحتلال ومصلحة سجونها التي قسمت الأسرى وفق تصنيفات " أمنية " وجغرافية وسياسية معتبرة – على سبيل المثال –أن أسرى مدينة القدس المحتلة وأسرى أراضي عام 1948م مواطنين إسرائيليين وتعاملت معهم باعتبارهم سجناء جنائيين يعود تقرير مصيرهم إلى السلطات الإسرائيلية حصراً (مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان :2012).

لكن الفترة التي تلت أوسلو بين عامي(1993 م - 2000م) ركزت حركة فتح " والسلطة الوطنية لتحرير الأسرى ، وتم تحرير الآلاف من الأسرى الفلسطينيين والعرب وصلت نسبتهم حوالي 90% من الأسرى ، وخلال الانتفاضة الأقصى تم اطلاق سراح أكثر من 1500 أسير تحت عنوان " حسن النية " أو تعزيز الثقة (هيئة التحرير :2019).

ممكن القول من المفترض والأصح قبل الاعتراف بشرعية إسرائيل أن يصر على إسرائيل الاعتراف باتفاقيات جنيف ولاهاي الخاصة بالأسرى والمعتقلين لأسباب الصراع السياسي الفلسطيني –الإسرائيلي المحتل ، وأن يطالب بتبيض السجون من جميع الأسرى الذين اعتقلوا ما قبل أوسلو ، وحسب ما هو معروف أن عندما تنتهي الحرب وتبدأ المفاوضات للسلام يتم مناقشة موضوع الأسرى والمفقودين بين الطرفين ، ليتم خروجهم كنية السلام بين الشعبين التي كانت متصارعة والآن تريد السلام ، ولكن اتفاقية أوسلو عكس ذلك تماماً ، انتهت المعركة وتركت الجيش في الميدان، لكن تم تعديل وضع الأسرى بعد الاتفاقية وانتفاضة الأقصى بصفقة تبادل الأسرى تحت عنوان حسن نية .

كانت مرحلة الانتفاضة الفلسطينية عام 2000م ، زاد عدد الأسرى وفق تقرير عام 2008م لوزارة الأسرى إلى أكثر من (11550) أسير ، بسبب اجتياح الإسرائيلي لضفة الغربية عام 2002 م ، مما استدعى افتتاح أقسام كان يقطنها أسرى جنائيون، وسجون أخرى كانت مغلقة ، وفي الوقت نفسة تم إنشاء سجون جديدة ، لاستيعاب الاعداد الزائدة من الأسرى ، وصعود ارئيل شارون لسدة الحكم ، واستلام المتطرف " تساحيا هنقبى " لوزارة الأمن الداخلي المسؤولة عن إدارة السجون ، وتعيين "يعقوب غانونت " مديراً لمصلحة السجون ، عاش المعتقلون ظروفاً قاسية جداً ، وفي ذلك الفترة ظهرت وحدات خاصة لتعذيب الأسرى ، ومارست الإرهاب والصراخ ، والقيود والضر ، وصادرة الممتلكات الاقسام مقنعة ومسلحة ، وبإطلاق النار على المعتقلين وقتلت الأسرى بالرصاص الحي ، وبالتالي مرحلة أوسلو ومن ثم الانتفاضة الثانية دون احداث تغير

في أحوال الأسرى ، وأصبح العدد كبير ومن الصعب صياغة البرامج التي تلائم احتياجات هذا الكمال الهائل من **الأسرى** (حمدونة :56،2018).

كانت الفترة من 2000- 2004 م ، سعت حركة الأسيرة الفلسطينية استعادة عافيتها لكن عمق الأزمة لم سعفها ، حيث خاضت عام 2004 م إضراباً مفتوحاً عن الطعام استمر لأكثر من ثلاثة أسابيع غير أن الإضراب توقف دون أن يحقق أهدافه ، وتعرض الأسرى لأبشع أشكال التعذيب والحرمان ،حتى جاءت مرحلة الانقسام والكارثة الوطنية بين حركتي فتح وحماس بعد انتخابات عام 2006 م ، فكانت الكارثة في فصل بين أسرى الفتح وحماس من قبل مصلحة السجون ، وهي حركة موجة لضربة جديدة لبنية الحركة الأسيرة ، وكان واضح من خلال شهادة العديد من الأسرى أن الحركة الأسير فقدت سيادتها على قراراتها بعد تنامي نفوذ الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة الوطنية على عناصرها المعتقلين ، وزاد الأمر سوء على الأسرى من خلال أسر المقاومة الفلسطينية جندي إسرائيلي من قوات الاحتلال يدعى (شاليط) عام 2006م ، في قطاع غزة وبالتالي شرعت حكومة الاحتلال في هجمة مغولية غير مسبوقة على الأسرى وذويهم وحرمت 700 أسيراً من قطاع غزة من حقهم في تلقي الزيارات العائلية بعد إعلان قطاع غزة " كياناً معادياً تسيطر علية منظمة ارهابية " ، هذا في نصف عام2007 م ليصبح عدد الأسرى الفلسطينيين المحرومين من الزيارات العائلية إلى الثلث تقريباً بشكل جماعي أو فردي لأهالي الضفة والقدس تحت ما يسمي المنع الأمني (مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان :2012).

عموماً من الواضح عدد الأسرى وحياة الأسرى تتأثر بالصراع الفلسطيني – الإسرائيلي ، حيث زاد عدد الأسرى في فترة الانتفاضة الثانية وفترة الانقسام الفلسطيني بين حركتي فتح وحماس فكانت الفرصة الذهبية لاستغلال الوضع العام لجانب الفلسطيني ، وزادت من إنشاء السجون وزادت من المعاملة سوءً للأسرى الفلسطينيين ، من تعذيب وحرمان أهالي الأسرى من زيارتهم ، وإدارة الصراع الفلسطيني – الفلسطيني من أجل أن يبقى الجانب الفلسطيني ضعيف ومشغول بمشاكلة الداخلية ، وينفذ أساليبه الاحتلالية الامبريالية ضد الأسرى والمعتقلين والتفنن بالتعذيب والضغط عليهم ، حتى تستسلم غزة وتسلم الجندي الإسرائيلي الأسير لديهم .

أما من ناحية تاريخ اضرابات الأسرى الفلسطينيين **كان من أهمها** : اضراب عسقلان عام1970 م وكان الشهيد الأول للحركة الأسيرة في تلك الاضراب عبد القادر أبو الفحم ، حيث استمر هذا الاضراب أسبوع ، وكان الانجاز هو رفض أو التخفيف من فرض عمل السخرة ، وتحسين بعض شروط الحياة الإنسانية ، ثم بعد ذلك اضراب مفتوح عن الطعام عام 1976 م ، الذي بداء من سجن عسقلان واستمر لمدة(45) يوماً لتحسين شروط الحياة الاعتقالية ، وبعدها جاء الإضراب المفتوح عام 1977م واستمر (20) يوماً في سجن عسقلان وهو امتداد للإضراب عام1976 م ، وحقق الأسرى الانتصار في تلك الإضراب ونالوا مطالبهم في جميع السجون ، وتجدد الإضراب في سجن نفحة عام 1980 م استمر (23) يوماً ، ومن خلاله استشهد الأسير راسم

حلاوة والأسيرة على الجعفري ، أما في سجن عسقلان انيس دولة والأسير إسحق مراغة ، هذا الإضراب تميز برفع سقف المطالب ، وتطوير مجالات الاعداد له ونوعية المشاركين فيه ، وهو الأول الذي حظى بالدعم الجماهيري التأييد الهائل ، وللمرة الأولى في تاريخ الحركة الأسيرة تقوم الجماهير الفلسطينية بدعم مطالب الأسرى من خلال الاحتجاجات التي شملت الضفة والقطاع والقدس (زياد :130،2012).

- الخطوات القانونية لحماية الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال

إن من حق الشعب الفلسطيني مثل أي شعب في العالم كما كفله القانون الدولي ، أن يدافع عن حريته وبلاده ومقدساته في حالة تعرضه لاحتلال ، فكان لابد من أن يدافع عن حقوقه عندما تعرض للاحتلال الإسرائيلي بقوة الحق وسلاح المقاومة، فكان النضال الفلسطيني وما زال مستمر ، فكان ردة فعل المحتل الإسرائيلي القتل والأسر والتعذيب، فإن هؤلاء الأسرى ليس مجرد أبناء الوطن المغيبين ، بفعل السجن ، بل هم أبطال ناضلوا وضحوا ، فأفنوا زهرات شبابهم خلف قضبان السجون ، من أجل فلسطين ومقدساتها ، وهم أيقونات الحرية ، الذين ينتظر شعبهم عودتهم ، وحتي تتحقق هذه العودة ، فهذا الشعب من حقه المطالبة لهؤلاء الأنباء ، والمعاملة الكريمة التي يستحقها مناضلو الحرية وفقاً للقوانين والمواثيق الدولية التي لا تنصاع إليها إسرائيل وتمارس جرائمه ضد الأسرى المناضلين (فروانة :2016).

كانت من بين الخطوات لمساعدة الأسرى أنشاء مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان هو المؤسسة الحقوقية الأولى التي أنشأت على أرض فلسطين المحتلة لنصرة قضية الأسرى والمعتقلين وحريتهم ، تأسست عام 1992 م في مدينة القدس ، حيث تضم اليوم طاقم علمها 22 موظفاً يعملون في أربع وحدات ، وتضم الوحدة القانونية سبعة محامية يقدمون التمثيل القانوني للأسرى والمعتقلين بمعاونه طاقم من العاملين الحقوقيين المختصين في شؤون الأسرى والمعتقلين ، وإلى جانب الوحدة القانونية ، توجد وحدة التوثيق والدراسات برفد عمل وحدة القانونية بتوثيق الانتهاكات ، ونشر تقاريرها السنوية والفصلية باللغتين العربية والإنجليزية ، لدعم وتغذية عمل وحدة الضغط والمناصرة التي تهتم بشؤون المدافعة عن الأسرى والمعتقلين أمام اللجان الأممية ، وتقديم المراسلات والشكاوي الدولية للمقررين الخاصين التابعين للأمم المتحدة ، ومكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان ، كما وتقدم بإطلاق حملات دولية لوقف الاعتقال الإداري ، وحملة أسرى في خطر للأسرى المرضى ، وحملات التضامن مع الأسرى والمعتقلين أثناء إضراباتهم الجماعية والفردية ، وتحشيد الرأي العام العالمي للوقوف إلى جانبهم ، وذلك عن طريق اللقاءات مع المسؤولين وحركات التضامن مع شعبنا الفلسطيني في الوطن والشتات (دقة:2012).

جمعية نادي الأسير الفلسطيني تأسست عام 1993 م وهي جمعية إنسانية اجتماعية وشعبية مستقلة ، تأسست بمدنية رام الله ، وهي جمعية خيرية بوجب قانون الجمعيات الخيرية والهيئات الأهلية، حيث تبلورت فكرة إنشائها داخل السجون من الأسرى أنفسهم ، وهي أكبر وأقدم الجمعيات التي تدافع عن حقوق الأسرى الفلسطينيين والعرب المتواجدين في السجون والمعتقلات ومراكز التحقيق الإسرائيلي بغض النظر عن

توجهاتهم السياسية وانتماءاتهم التنظيمية ، حيث تتعامل الجمعية مع الأسرى والمعتقلين على أنهم مناضلين من أجل الحرية ، ومقاتلين شرعيين تنطبق عليهم المواثيق الدولية الخاصة بأسرى الحرب ، لها استقلالها المالي ، فهي لها حق تملك الأموال المنقولة وغير المنقولة والتصرف في حدود تحقيق أهدافها ، فهي تقوم برعاية شؤون الأسرى داخل السجون والمعتقلات ومراكز التوقيف والتحقيق الإسرائيلية ، ومساندة الأسرى المحررين ومساعدتهم في التأهيل المجتمعي ، مساندة ذوي الأسرى وأطفالهم من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والصحية والتعليمية ، المتابعة القانونية والقضائية لملفات الأسيرات في المحاكم الإسرائيلية ، إثارة الرأي العام حول الانتهاكات الإسرائيلية التي ترتكب بحق الأسرى والأسيرات على المستوى المحلي والدولي (عودة :2013،67).

- **الوضع القانوني للأسرى في السجون الإسرائيلية**

اعتراف رئيس الوزراء الإسرائيلي "أرائيل شارون " في عام 2003 م ومن على منبر الكنيسيت الإسرائيلي بالاحتلال ، ورغم ذلك لم تستجيب إسرائيل للاتفاقيات الدولية في التعامل مع الأسرى الفلسطينيين ، ولا للقواعد أو القوانين الشرعية الدولية ، حيث نصت حروب التحرير عليها قرارات الأمم المتحدة 1514 لعام 1960 م وتقضي بضرورة استقلال الأقاليم المستعمرة ، وإنهاء كافة أشكال الاحتلال ، وقرار الأمم المتحدة لعام 1968 م يقضي بمعاملة أسرى حروب التحرير الوطنية كأسرى حرب طبقاً لاتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949 م ، وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (3103) لعام 1973م ، حيث يؤكد أن النضال المسلح الذي تخوضه الشعوب ضد الاستعمار من قبيل المنازعات الدولية طبقاً لاتفاقيات جنيف الأربعة لعام 1949م ، أما إسرائيل كدولة احتلال اعتمدت سياسية التكييف القانوني لمصالحها السياسية والأمنية وقامت بسن الأوامر العسكرية لفرض السيطرة على حياة السكان الفلسطينيين الواقعين تحت الاحتلال ، بدون أدنى مسؤولية ولا التزام بقواعد القانون الدولي الإنساني ، ومن المفترض أن تشكل الإطار القانون الأساسي لترتيب تعامل دولة الاحتلال مع السكان الفلسطينيين وواقع حياتهم تحت الاحتلال (حمدونة:2018،60).

ممكن القول أن القوانين الدولية كفلت حق الشعوب لنضال من أجل التحرر من الاحتلال ، والشعب الفلسطيني ينطبق عليه حق النضال بناء على تلك القوانين ، ولكن الاحتلال الإسرائيلي لا يتعترف بالقوانين الدولية ولا ينصاع لها، وينفذ كل مخططاته الإمبريالية من قتل وتعذيب وتهجير وأسر الفلسطينيين ، واستمرار تعذيبهم داخل السجون والتاريخ حافل بأعمالهم القذرة ضد الأسرى المناضلين من أجل حريتهم وحقهم الشرعي لتحرر من الاحتلال المتغطرس .

ثانياً: تصنيف الأسرى

- **الأسرى القدامى:**

لقد عرف قاموس الحركة الأسيرة الفلسطينية الأسرى المعتقلين منذ ما قبل توقيع اتفاقية أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية عام 1993م بالأسرى القدامى ، الذي بلغ عددهم 316 أسيراً ، وهم من جميع الأراضي الفلسطينية ، وهم أهم أسرى ومازالوا يقيمون في سجون الاحتلال الإسرائيلي ، حيث مضى على اعتقال أقل أسير منهم 16 عاماً ، وأما أقدم هؤلاء الأسرى فما زال معتقلاً منذ 32 عاماً، ومنهم 112 أسيراً أمضوا في سجون الإسرائيلية أكثر من 20 عاماً ، 13 أسيراً أمضوا في السجون أكثر من ربع قرن ، ومنهم 3 أسرى أمضوا أكثر من ثلاثين عاماً وهم نائل صالح البرغوثي وفخري عصفور البرغوثي وأكرم منصور ، فالاحتلال يعامل الأسرى معاملة قاسية ولا يراعي كبر السن ولا عدد السنين التي أمضوها ولا أوضاعهم الصحية المتدهورة جراء الأمراض المختلفة ، حيث سياسة الإهمال هي عنوان سياسة المحتل مع الأسرى (المدلل ، أبو عامر : 2013، 198 ،199).

- **الأسرى النواب :**

قامت سلطة الاحتلال اعتقل (13) نائباً في المجلس التشريعي وزجهم في سجونها ، ومن بينهم امرأة وهي سميرة الحلايقة ، وأقدمهم الأسيرة مروان البرغوثي والمعتقل منذ عام 2002 م ، والمحكوم بالسجن 5 مؤبدات ، وأيضاً الأسير أحمد سعدات والمعتقل منذ عام 2006 م ، والمحكوم عليه بالسجن 30 عاماً ، حيث اعتقلت سلطات الاحتلال منذ بداية العام 2017 م ستة نواب (هيئة شؤون الأسرى والمحررين ونادي الأسير الفلسطيني والجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني:3،2017).

هكذا هو المحتل بوجهه الحقيقي منذ احتلال فلسطين أرضاً وشعباً وهو يمارس سياسة عنجهية متغطرسة ، لا تعرف غير القوة لإثبات ذاتها ، دون الأخذ بالقوانين الدولية ولا الإنسانية، استخدمت القوة بالتهجير ومصادرة الأراضي والقتل والأسر ، ومازالت تمارس دون تحمل المسؤولية دون محاسبة من المجتمع الدولي ، الأسرى الفلسطينيين بأعداد هائلة دون أسباب قانونية تحق لهم بالأسر ، بل خطأهم الوحيد المطالبة بحقوقهم المشروعة دولياً .

- **الأسرى الشهداء :**

إسرائيل تحتجز عشرات الجثامين لشهداء فلسطين وعرب الذي استشهدوا في ظروف مختلفة ،البعض محتجز في ثلاجات والبعض في مقابر تقع في مناطق عسكرية مغلقة وتمنع الاقتراب منها وزيارتها، وتحت إشراف جيش الدفاع ، حيث يوجد أربع مقابر التي دفن فيها الشهداء ، وعلى كل قبر رقم شهيد بدل من أسمه ، ومن أكبر المقابر حجماً مقبرة " جسر بنات يعقوب " الواقعة في منطقة عسكرية عند ملتقى حدود فلسطين وسوريا ولبنان ، حيث تضم وفق إحصائيات إسرائيلية 500 شهيد من جنسيات فلسطينية ولبنانية وسورية

وأردنية وأخرى عربية مختلفة ، ومقبرة "قتلى الأعداد " ، ثاني أكبر هذه المقابر ، حيث يرقد فيها رفات نحو 100 شخص ، نصفهم من جنسيات عربية مختلفة سقطوا بعد حرب عام 1973 م ، والنصف الأخر لمواطنين استشهد معظمهم في عمليات أو اشتباكات مع قوات الاحتلال أو تم اغتيالهم من قبل إسرائيل (قبعة : https://www.prc.ps).

منذ الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين أرضاً وشعباً عام 1967م وصل عدد الأسرى الذي استشهدوا 226 أسيراً ، وهناك الكثير من الأسرى استشهدوا بعد الإفراج عنهم بفترات وجيزة نتيجة الأمراض والاصابات التي ورثوها خلال سنوات اعتقالهم ، حيث تبين من بين الشهداء الأسرى 75 أسيراً قتل عمداً ، و7 بعد إطلاق النار عليهم ، و71 نتيجة سياسة الإهمال الطبي والقتل البطيء ،حيث أن سياسة التعذيب الجسدي والنفسي الممنهج أدت إلى قتل 73 أسيراً على مدار العقود الماضية ، والتي زادت وتصاعدت مجددا منذ نهاية عام 2019م ، بالإضافة إلى استشهد 29 أسيراً في سجون الاحتلال نتيجة الإهمال الطبي ، وفي عام 2020م استشهد أربعة أسرى، وهم نور الدين البرغوثي ، وسعد الغرابلي، وداوود الخطيب ، وكمال أبو وعر ، حيث يواصل الاحتلال احتجاز جثامين ثمانية أسرى شهداء أقدمهم الأسير أنيس دولة منذ عام 1980م ، وبالإضافة إلى عزيز عويسات الذي استشهد عام 2018 م ، وفارس بارود ، ونصار طقاطقة ، وبسام السايح الذين استشهدوا عام 2019م ، وشهداء 2020م سعدي الغرابلي ، وداوود الخطيب ، وكمال أبو وعر(العربي الجديد :2021).

- **الأسيرات**

لم تسلم المرأة الفلسطينية من ويلات السجون الإسرائيلية ، حيث دخلت السجون الإسرائيلية أكثر من 15 ألف امرأة فلسطينية منذ عام 1967 م ، كما شهدت الانتفاضة الأولى أكبر عمليات اعتقال للمرأة الفلسطينية ، حيث وصل عدد 9 آلاف أسيرة ، ووصل عدد خلال انتفاضة الأقصى إلى 900 حالة اعتقال ، ومن نفس الأسيرات حالات الولادة ل7 منهن ، منهن أربع حالات خلال الانتفاضة الأقصى ، لقد عانت الأسيرات وأطفالهن معاناة جسدية ونفسية صعبة في ظل بشاعة المحتل الإسرائيلي وحقده (قسم الأرشيف والمعلومات في مركز الزيتونة :8،2012).

- **الأسرى الأطفال**

لم ينجوا الطفل الفلسطيني من سياسة الاحتلال الإسرائيلي المجحفة في حقه ، فقد استهدفت الاطفال في الاعتقال الذين تبلغ أعمارهم أقل من 18 عاماً ، حيث أصدرت الأوامر العسكرية التي يخضعون لها الأطفال الفلسطينيون في الضفة أن سن النضج الطفل الفلسطيني هو 16 عاماً، على خلاف ما نصت عليه اتفاقية حقوق الطفل 1989 م ، إلا أن إسرائيل تعتقل الأطفال دون سن 14 عاماً ، فاعتقلت الآلاف من الأطفال القاصرين وعذبتهم جسديا ونفسياً ، وتصدر عليهم الأحكام بالسجن ، فقد بلغ عدد الأطفال التي تم اعتقالهم حتي عام 1/5/2019 م 39 طفلا من منازلهم ، و20 طفلاً من الشارع ، و16 طفلاً من القدس بدون

تصريح ، أما في خلال شهر أيار لنفس العام تم إدخال 43 أسيراً من الأطفال إلى قسم الأسرى الأشبال في سجن عوفر، و22 اعتقلوا من المنازل ، و12 من الطرقات ، و7 لعدم حوزتهم تصاريح ، و2 تم استدعائهما ، بالإضافة إلى عشرات من الأطفال الذي صدر بحقهم السجن ، وتم توزيعهم على السجون التالية ، سجن مجدو ، عوفر ،الدامون ، تمارس إسرائيل بحقهم كل أشكال القمع والتنكيل والضرب والمعاملة المهينة ، مثل الأسرى البالغين دون أن توفر أدنى احتياجاتهم الأساسية (هيئة شؤون الأسرى والمحررين:2019).

عموماً ممكن القول أن السياسة الإسرائيلية باتت واضحة على مر السنيين ، وهي سياسة محتل صهيوني متغطرس يتمتع بقوة السلاح ، فليس هناك داعي لأسر جثامين الشهداء ، واستخدام أبشع أنواع التعذيب حتى الموت للأسرى داخل سجون الاحتلال ، حيث وصل عدد ليس بقليل من الشهداء داخل السجون بالإضافة إلى احتجاز الكثير من الجثامين لشهداء عمليات نضالية ، كما خصص المحتل الصهيوني سجون نسائية فلم تسلم المرأة الفلسطينية من يد المحتل الظالمة فهي الأخرى وقعت بالأسر ونالت نصيبها من التعذيب وحرمان أبسط الحقوق الإنسانية ، وأيضاً سياسة المحتل في أسر الأطفال دون سن 18 فهو مخالف للقوانين الدولية ، ورغم ذلك لا تنصاع للقوانين وتنفذ خططها الامبريالية الاستعمارية ، هذه هي حقيقة إسرائيلية العنصرية النازية المتغطرسة .

- **الأسرى الإداريون:**

يقصد بالاعتقال الإداري قيام الجيش الإسرائيلي باعتقال الفلسطيني بأمر من القادة العسكريين للمناطق المحتلة ، وبتوصية من المخابرات ، وتكون مدة الأمر أقصاها ستة أشهر قابلة للتجديد عدة مرات ، ودون الكشف للمتهم ولمحاميه عن التهمة وفحوى مواد الأدلة ، ومنذ الاحتلال الإسرائيلي للضفة وقطاع غزة والقدس عام 1967 م زاد عدد المعتقلين إدارياً ، وفي الانتفاضة الأولى عام 1987 م زاد العدد إلى 10 الآلاف ، وفي عام 1997 م أنخفض عدد الاعتقال الإداري ، وعاد مرة أخرى يرتفع عقب اندلاع انتفاضة الأقصى عام 2000م ، أما عدد المعتقلين إدارياً من الانتفاضة الأولى (1987-1994) بلغ (18973) أسيراً ، ومن عام (2000-2007) خلال سنوات الانتفاضة الثانية قرابة 18000 صدر قرار إداري ، وأكثر الأعوام صدور قرار بالاعتقال الإداري بين عامي (1988-2003-2006-2007) حيث تتراوح بين (2000-4000) ، وفي عام 2012 م اعلان الضراب عن الطعام المعتقل الاداري خضر عدنان حيث أضرب 66 عاماً رافضاً للاعتقال الإداري وتبعه 30 معتقلاً، واعلن لعام 2014 م(130) معتقل إداريا إضراباً عن الطعام ،الذي استمر 63 يوماً مما دفع إسرائيل في الحالتين إلى التعهد بإعادة النظر في الاعتقال الاداري ، ولكن دون تنفيذ (أبو سمرة : 2015).

- **الأسرى المعزولين**

بينت هيئة الأسرى أن الأسرى المعزولين في سجون الاحتلال يتعرضون إلى انتقام حقيقي من قبل إدارة السجن ، قد تبين أن غرف العزل لا تصلح للعيش الادمي وتفتقر إلى أدني مقومات الحياة ، فهي سيئة للغاية ولا يوجد فيها تهوية وبسبب اغلاقها بالنوافذ الحديدية ، وانتشار الحشرات والصراصير وارتفاع الرطوبة ، وسوء الطعام الذي يقدم لهم وارتفاع اسعار الكانتينا ، وفرض الغرامات ، بالإضافة إلى الانتهاكات والاعتداءات اليومية بالضرب وحرمان من الفورة التي هي بالأصل لا تتعدى الساعتين ويخرجون إليها في الوضع الطبيعي ومهم مقيدي الأيد والأرجل (وكالة الانباء والمعلومات الفلسطينية :2015).

- **أسرى الدوريات العرب:**

أطلق هذا المصطلح الاعتقالي على الأسرى العرب المحتجزين في سجون الاحتلال الإسرائيلي بهدف تميزهم عن بافي الأسرى ، اعتقلت إسرائيل منذ بداية الصراع العربي الإسرائيلي عدد من المناضلين والمقاتلين العرب الذي استطاعوا التسلل إلى الأراضي المحتلة وإسرائيل ، حيث قاموا بمهمات قتالية واستطلاعية وعمليات فدائية كان لها تأثير كبير في تاريخ النضال العربي والفلسطيني ضد الاحتلال الإسرائيلي ، بالإضافة استشهاد البعض واعتقال البعض الأخر، ويتعرض هؤلاء الأسرى إلى أسوء أصناف التعذيب على يد المحققين الإسرائيليين وأحكام جائرة في المحاكم العسكرية الإسرائيلية منها الحكم بالسجن المؤبد ، وحرمتهم من أبسط حقوقهم التي كفلها القانون الدولي والإنساني باعتبارهم أسرى حرب ومقاتلين شرعيين (المدلل،أبوعامر:2013 ،201).

- **الأسرى المرضى:**

لم يرحم المحتل الإسرائيلي الأسير الفلسطيني الجرح والمريض والمصابين والمعاقين ، من اعتقالاته ، حيث وجود أكثر من 40 أسيراً فلسطينياء معاقاً يقبعون في سجون الاحتلال ، بتنوع واختلاف اعاقتهم ، ومعظمهم يعانون من إعاقات جسدية ، والقليل اعاقات ذهنية ونفسية ، حسب احصائيات دائرة الاحصاء بوزارة الأسرى والمحررين فالسلطة الفلسطينية عبد الناصر فروان ، بالإضافة إلى الإهمال الصحي من قبل سلطات الاحتلال التي بدورها تقوم بزيادة المعاناة للأسرى المرضى ، وفي البعض منهم يحتاج لعمليات جرحيه (قسم الأرشيف والمعلومات في مركز الزيتونة : 2012 ،8).

حسب معطيات التي وثقها نادي الأسير الفلسطيني ، إلى استشهاد 222 فلسطينياً في السجون الإسرائيلية منذ عام 1967 م ، من بينهم 73 بسبب التعذيب ، 67 جراء الإهمال الطبي ، و75 بالقتل العمد ، و7 بسبب القمع وإطلاق النار المباشر عليهم من جنوب وحراس (أبو سمرة : 2020).

ترى الباحثة أن ، إسرائيل تعاني من ضعف سياسي لممارستها سياسة واحدة منذ احتلال فلسطين أرضاً وشعباً ، السياسة التي استخدمتها منذ البداية هي سياسة القوة لا شيء سواها ، فهي تقوم بممارسات فوق

القانون الدولي والإنساني بأسر المناضلين وتعذيبهم حتى الموت ، وجزء تلحق به أمراض جسدية وأمراض نفسيه مزمنة ، ورغم ذلك يبقى السجين خلف القطبان ، واحتجاز جثامينهم ، وسجلت هيئة الأسرى أعداد موثقة بتلك الجرائم ، ومازالت على سياستها ومازال الشعب الفلسطيني لم ولن يستسلم تلك السياسة مهما طغت فلا بد لليل أن ينجلي ولابد للقيد أن ينكسر .

-الوضع الصحي للأسرى

يتعرض الأسرى إلى أبشع أشكال التعذيب النفسي والجسدي داخل سجون الاحتلال ، فلا يكفي سرقة وطنهم وسلب حرياتهم وحرمانهم من أهلهم وانتزاعهم من بيوتهم ، وانتهاك إنسانيتهم ، ومحولات مستمرة لكسر إرادتهم وتحطيم نفسياتهم ، لإذلالهم وإسقاط صمودهم ، فالأسرى الفلسطينيين يتعرضون بشكل فردي وجماعي إلى أبشع أنواع القسوة والتعذيب النفسي والجسدي ، حوالي 5000 أسير فلسطيني خلف قطبان السجون الاحتلال بينهم نحو 200 طفل و38 امرأة يعيشون ظروفاً لا تصلح لعيش إنسان ، فهي سجون لا مراقب لها ، ولا يوجد لهم مبادئ وقيم إنسانية ، ولا تخضع للمواثيق الدولية التي تحمي الأسير وتراعي حقوقه ، حيث لا تستطيع أي منظمة معنية زيارتهم أو تفقد أحوالهم أو التحقيق قيما يرتكب بحقهم من تجاوزات ، حيث تؤكد هيئة الأسرى الفلسطينيين أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي تنتهك حملة من قواعد الحماية التي يوفرها القانون الدولي للمعتقلين ، تواصل سلطة الاحتلال يومياً الاعتقالات والتعذيب النفسي والجسدي دون أدنى مسؤولية (مركز الامارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية :2019).

المحور الثاني: الموقف الفلسطيني والإسرائيلي من قضية الأسرى الفلسطينيين

أولاً: الموقف الفلسطيني من قضية الأسرى الفلسطينيين

- **دعم أحزاب ومنظمات دولية تدويل ملف الأسرى الفلسطينيين:**

قام وزير الأسرى عيسى قراقع خلال لقاءات عام 2011 م ، على هامش اجتماع الاتحاد الأوروبي لمناقشة انتهاكات إسرائيل بحق الأسرى الفلسطينيين ، والكثير من المنظمات والمؤسسات والأحزاب عن دعمها وإنصافها لقضية الأسرى الفلسطينيين ، وإدانة ما تقوم به إسرائيل من انتهاكات تخالف القوانين دولية دون أدنى مسؤولية ، وبالإضافة دعمهم لإرسال لجنة تقصي حقائق برلمانية إلى السجون والمعتقلات الإسرائيلية ومن أبرز هذه الجهات : "حزب الخض ، والحزب الشيوعي ، والحزب الاشتراكي ، والحزب الديمقراطي المسيحي ، ومسؤول ملف الشرق الأوسط لحقوق الإنسان لدي ممثل السياسات الخارجية بالاتحاد الأوروبي ، ورئيس البرلمان البلجيكي ، ومؤسسات حقوق الإنسان عن الكنائس البروتستانتية، والكنائس الكاثوليكية ، وشبكة حقوق الإنسان الأور ومتوسطية ، والشبكة البلجيكية للقانونيين المساندين للقضية الفلسطينية ، ولجنة التعاون الأوروبية من أجل فلسطين

(وكالة الانباء والمعلومات الفلسطينية ، https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=9328).

- **صفقة وفاء الأحرار تبادل الأسرى عام 2011م**

تعرض الجيش الإسرائيلي في عام 2006 م إلى عملية فدائية ليلاً في موقع كيريم شالوم العسكرية على الحدود مدينة رفح الفلسطينية ، وانتهت بمقتل جنديان وإصابة 5 آخرين بجروح وتم أسر جلعاد شاليط ، ومن ثم نقل الأسير على يد المقاومة الفلسطينية إلى غزة (وكالة الانباء والمعلومات الفلسطينية : https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=4004).

ونتيجة المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية المصرية تم تسليم شاليط مقابل إطلاق مجموعة من الشروط ، حيث احتفظ بأسر شاليط مدة 64 شهراً تقريباً، لقد التزمت إسرائيل بعدم استهداف الأسرى المحررين ضمن بنود الصفقة ، كما كانت الصفقة بعد التشاور والتفاهم الكامل مع قيادة الحركة الأسيرة ، وتمت الصفقة كما تم ذكر بنودها في السابق ،وقد استقبل انجاز الصفقة بفرحة فلسطينية شملت كل الفصائل وكل الشعب الفلسطيني ، وأكدت الفصائل أنها لن تكون الأخيرة (صالح :41، 2012، 42) .

وبنود تلك الصفقة هي:

- الإفراج عن 450 أسيراً المحكوم عليهم بالسجن المؤبد، والإفراج عن جميع النساء الأسيرات في السجون الإسرائيلية الذي يبلغ عددهن 30 أسيرة، ومنهن المحكوم عليهن بالمؤبد.
- الإفراج عن أسرى القدس والذي يبلغ عددهم 45 أسير، والإفراج عن جميع الأسرى المرضى وكبار السن.
- الإفراج عن جميع أسرى الفلسطينيين أراضي 48، حاملين الجنسية الإسرائيلية، حيث كانت ترفض بشدة الإفراج عنهم كونهم إسرائيليين لحملهم الجنسية الإسرائيلية.
- تم الاتفاق على إبعاد 200 أسير من الذين سيفرج عنهم الذين يعيشون في الضفة الغربية لقطاع غزة أو دول عربية، كانت إسرائيل تطالب بإبعاد 500 معتقل.

تم الصفقة بنقل شاليط و477 من المعتقلين الذين حكم علين بأحكام مؤبدة للقاهرة ، وقامت إسرائيل بالإفراج عن 550 معتقلاً أخرين ، وتم تسليم شاليط لإسرائيل (وكالة الانباء والمعلومات الفلسطينية : https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=4004).

- **جهود السلطة الوطنية القانونية لمناصرة الأسرى:**

بناء على جهود السلطة الوطنية في المطالبة القانوني الدولي بمناصرة الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي ، تم عقد العديد من المؤتمرات الدولية لمناقشة ظروف الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال ، فكان مؤتمر الأمم المتحدة في فينا وقضية الأسرى لأول مرة في مقر الأمم المتحدة في فينا (عاصمة النمسا)، في عام 2011/3/7 م ، وكان تحت عنوان الضرورة الملحة لمعالجة محنة السجناء السياسيين الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي بحضور ومشاركة أكثر من مائة دولة ، وعدد من مؤسسات حقوق الإنسان ،

وخبراء بالقانون الدولي ، وستمر المؤتمر يومين قمت فيه خلاله أوراق عمل تتعلق بكافة الجوانب المتعلقة بحقوق المعتقلين الفلسطينيين ، كان من بين المتحدثين : وزير الأسرى (عيسى قراقع) ، وبان كي مون (الأمين العام للأمم المتحدة)، وماكويل غيلارد(نائب المنسق الخاص للأمم المتحدة لعملية السلام في الشرق الأوسط) ، وأهم ما جاء في البيان الختامي الاهتمام الشديد باقتراح وزير الأسرى عيسى قراقع القاضي بإثارة المسالة القانونية المتعلقة بالأسرى الفلسطينيين ، مع الهيئات القانونية المختصة في الأمم المتحدة ، بما فيها محكمة العد الدولية ، كما أكد البيان استنكار لانتهاك إسرائيل للقانون الدولي الإنساني في معاملة للأسرى الفلسطينيين ، كالاعتقال الإداري ، واعتقال الأطفال والنواب وممارسة التعذيب بكل أشكاله ، ومنع الأهالي من زيارة أبنائهم الأسرى ، والعزل الانفرادي وغيرها من الأساليب التي تعد فوق القانون الدولي وانتهاك اتفاقية جنيف الرابعة ، كما ودعا البيان إلى الإفراج عن كافة الأسرى من سجون الاحتلال ، ولا يمكن أن يكون سلام شامل وعادل دون إطلاق سراحهم (الوادية :2018).

- **الموقف الفلسطيني من صفقة وفاء الأحرار تبادل الأسرى عام 2011م(شاليط)**

اعتبرت السلطة الفلسطينية أن تلك العملية هي خرق للتفاهمات التي عبرت عنها قيادات الفصائل مجتمعة ، وأعلنت أنها ستجري تحقيقاً حول منفذي العملية ، لان بذلك العملية عادت الأمور إلى الصفر ، وأن إسرائيل تهدد بشن عمليات سلسلة اغتيالات وعمليات اجتياح، وطالبت السلطة الفلسطينية بتدخل المجتمع الدولي ، وخاصة اللجنة الرباعية الدولية ، بالتدخل لمنع إسرائيل من استغلال العملية للقيام بعدوان واسع ضد قطاع غزة، وأصدر الرئيس عباس أوامر مشددة للبحث عن شالي ، وحكومة حماس بغزة أكدت أنها معنية بالتهدئة ولكن إسرائيل تواصل القتل والتدمير ضد المدنيين ،أن الأسر حق مشروع ، وهنا اشتدت المفاوضات على تسليم شاليط لإسرائيل وفضت حماس ، وبالتالي كان العدوان على غزة ولم تنجح إسرائيل في الحصول عليه ، وكان هناك إجماع بين الفصائل الفلسطينية بعدم تسليم شاليط إلا بالمقابل الإفراج عن الأسرى الفلسطينيين من نساء وأطفال (قسم الأرشيف والمعلومات :2012 ،15، 17).

عموماً تعتبر صفقة " وفاء الأحرار " نقطة تحول تاريخية في تاريخ القضية الفلسطينية ، وتحسب في تاريخ العمل النضالي المقاوم ، فهي أول عملية في تاريخ القضية الفلسطينية تتم فيها الأسر والاحتجاز وتفاوض داخل أرض فلسطين ، وعجز الاحتلال معرفة مكان أسيرهم لعدة سنوات ، وعجزهم عن الوصول لحل في المفاوضات مع الجانب الفلسطيني لثبات موقفهم ، كما أن الصفقة شملت الأسرى من جميع الأراضي الفلسطينية ، وأسرى جميع الفصائل .

4-الإفراج عن الأسرى عام 2014 م:

أفرجت سلطة الاحتلال الإسرائيلية عن 26 أسيراً فلسطينياً في عام2013/8/14 م ، من أصل 104 أسيراً تم أسرهم قبل تنفيذ أتفاق أوسلو ، حيث يتم إخلاء سبيلهم على أربع دفعات ، حسب شروط استئناف

المفاوضات الفلسطينية – الإسرائيلية بواسطة أمريكية ، وكانت لها اعتبارات استراتيجية وأكد الرئيس محمود عباس لن يكون هناك اتفاق دون الإفراج عن الأسرى ، وتمت الدفعة الثانية وعددهم 26 أسيراً ، وكما تم الإفراج عن الدفعة الثالثة وعددهم 26 أسيراً ،

إلا أن إسرائيل رفضت الإفراج عن الدفعة الرابعة حيث أعلنت وزيرة العدل الإسرائيلية والمسؤولة عن ملف المفاوضات تسيبي ليفني عام 2014/4/3 م أنه ليس بوسع إسرائيل الإفراج عن الدفعة الرابعة وذلك بسب قيام الفلسطينيين ما اسمته بالخطوة "أحادية الجانب" حين قرروا التوجه للأمم المتحدة والانضمام للمؤسسات التابعة لها ، وبالتالي يكون عدد الأسرى الذي تم الإفراج عنهم ضمن إطار صفقات المفاوضات ما بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل ، والتي أطلق عليها الاحتلال " مبادرة حسن النية " ، قد ارتفع إلى 9.084 ، من ضمنهم 581 جنائياً (صالح :548،2015).

تعهدت الحكومة التزامها بتطبيق قانون الأسرى والمحررين المعدل لعام 2014م ، والعمل كل ما بشأنه توفير الحياة الكريمة للأسرى والمحررين ، غير أن الهيئة العليا لمتابعة شؤون الأسرى والمعتقلين ، والمنبثقة عن لجنة التنسيق الفصائلي بنابلس ، أكدت على وجود مماطلة متعمدة من الحكومة لتنفيذ هذا الاستحقاق (صالح : 2016 ، 26).

- **صفقة القرن عام 2017م**

من المفترض أن تقوم الولايات الأمريكية بدور الوسيط في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ، ولكن أبدى ترامب مواقف متطرفة تجاه القضية الفلسطينية فترة حملة الانتخابية ، حيث دعم وأيد الاستيطان في الضفة الغربية ،وأكد على نقل السفارة الأميركية إلى القدس ، ومحاربة الإرهاب والتطرف ،ومطالبة الفلسطينيين الاعتراف بإسرائيل " دولة يهودية " ، هذه الكلمات ألقاها أمام اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة عام 2016م ، وفي أول لقاء مع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بعد وصوله إلى سدة الحكم عام 2017م ، أن "حل الدولتين " ليس هو الحل الوحيد لتحقيق السلام العربي الإسرائيلي ، على عكس الموقف المعتاد عليه من الولايات المتحدة ، المؤيد لحل الدولتين ، وفي نفس الوقت أعلن ترامب في لقائه مع الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي في واشنطن عام 2017 م ، نيته التوصل إلى تسوية الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي ، وأطلق على تلك التسوية " صفقة القرن " وفي نفس العام اجتمع الرئيس الفلسطيني محمود عباس في البيت الأبيض مع ترامب ، وتعهد خلال المؤتمر صحفي لا بد من التوصل إلى اتفاق دائم بين الفلسطينيين والإسرائيليين ، وأكد عباس تمسكه بحل الدولتين ، وأشار أمله في "تحقيق معاهدة سلام تاريخية" في عهد ترامب (قاعود : https://www.masarat.ps/article/4922).

ترى الباحثة أن نقل السفارة الأمريكية إلى القدس تغير جذري في موقف الولايات المتحدة ، تجاه الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي ، وهذا بدورة أضعف الثقة وفقدت الولايات المتحدة المصدقة في دورها الوسيط

لحل تلك الصراع ، فهي تجاهلت ليس الفلسطينيين بل العرب والمسلمين أجمعين ،لأن القدس من الأماكن المقدسة لديهم وله قيمة كبيرة لا يمكن التخلي عنه .

- **قضية الأسرى في صفقة القرن عام 2017م:**

كان للأسرى مكانه في صفقة القرن التي تهدف لتصفية القضية الفلسطينية بمجملها بما فيها قضية الأسرى وتكريس الاحتلال الإسرائيلي الفاشي النازي البربري المغولي ، وقد نصت تلك الصفقة على إطلاق سراح المعتقلين الإداريين المحتجزين ، باستثناء المدانين ب" بالقتل " أو محاولة القتل ، والمدانين بالتآمر لارتكاب جريمة القتل ، والفلسطينيين داخل أراضي ال48 ، وسيتم ذلك على مرحلتين ، وتشمل المرحلة الأولى القاصرين ، والنساء ، والسجناء الذي تزيد أعمارهم على 50 عاماً ، والسجناء الذين يعانون من أمراض ، والذين أمضوا أكثر من ثلثي مدة محكوميتهم ، ويتم ذلك بعد توقيع الاتفاقية بين الطرفين ، وفيما بعد يتم الاتفاق بين الطرفين على المرحلة الثانية ، والتي تشمل السجناء الذين أمضوا أكثر من نصف عقوبتهم ، بالإضافة إلى طلب من كل سجين يفرج عنه أن يوقع على تعهد أن يتصرف بطريقة تجسد التعايش ، عدا ذلك لن يطلق سراحه ، وكل ذلك النصوص مرهون بإطلاق سراح جميع الأسرى الاسرائيليين، عدا ذلك لن يخرج أحد (الريماوي : 2020).

تصوري أن ما تعرف بصفقة القرن ما هي إلا اقتراح فاشل فليس لترامب الحق القانوني أن يمنح إسرائيل حق بتملك القدس عاصمة له ، وليس من حق ترامب أن ينهي حق العودة للاجئين المكفول قانونياً من خلال عدة قرارات من قبل المجتمع الدولي ، حتى لو قام بعدة خطوات لتصفية قضية اللاجئين والقدس ، فهي صفقة مرفوضة من قبل فلسطين شعباً وحكومةً ، وإقليمياً رغم تطبيع بعض الدول مع إسرائيل ، فكان رد السلطة الوطنية رفض الصفقة والمطالبة بعدم وساطة الولايات المتحدة بحل النزاع الفلسطيني الإسرائيلي لانحيازها التام مع إسرائيل ، وطالبت المجتمع الدولي بالوقوف بجانب القضية الفلسطينية وتنفيذ القرارات الدولية بشأنها .

-الموقف الفلسطيني من صفقة القرن عام 2017م:

أعلن الحية عضو مكتب السياسي لحركة حماس أن كل مكونات الشعب الفلسطيني في الوطن والشتات رفضة رسمياً لصفقة القرن ، ودعا إلى خطوات عملية لمواجهتها عبر تحقيق وحدة وطنية حقيقية قائمة على الشراكة ، وأيضاً دعا لوضع استراتيجية متكاملة لمواجهة صفقة القرن ، وطالب السلطة الفلسطينية بإعلان موقف واضح ورسمي من الصفقة ومن مؤتمر البحرين ، ومن ثم الذهاب موحدين إلى العالم والدول الحليفة ، ويؤكد أن الجامعة العربية والعديد من الدول الأوروبية يرفضون الصفقة ، وأكد أن حركة حماس جاهزة لبذل كل ما لديها لإقامة وحدة وطنية قائمة على الشراكة ، ومؤكداً أن الانقسام لا يواجه تلك الصفقة ، ولا يعقل مواجهة صفقة القرن والتنسيق الأمني قائم في الضفة الغربية ، ويؤكد أن جميع الفصائل في داخل

الوطن تسعى للوصول لوحدة وطنية لمواجهة تلك الصفقة الملعونة ، وطالب السلطة مطالبة الدول العربية بالالتزام بقرارات القمة العربية الأخيرة في تونس التي ترفض صفقة القرن ، وأن هذه الصفقة تهدف إلى إعادة تفكيك المنطقة لصالح الاحتلال الإسرائيلي ليصبح جزءاء من المنطقة ، ولا يصبح كياناً معادياً فيها، ونهب خيراتها ، وتصفية الوجود المقاوم للسياسة الأمريكية (أرشيف نشرة فلسطين اليوم أيار / مايو :2019 ، 7).

خطاب رئيس حكومة رام الله محمد اشتية الذي تم نشرة في وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا) بتاريخ 2019/6/6م ، من رام الله ، حيث أنه أعلن عن مرور الشعب الفلسطيني بأزمة مالية والسبب الرئيسي فيها هو الجانب الإسرائيلي الذي اقتطع الأموال التي نصرفها لعائلات الشهداء والأسرى ، ونرفض تحويل هذه الأموال لأنها منقوصة ونحن نريدها كاملة ، واوضح أن الضغط المالي الذي تمارسه إسرائيل على الحكومة الفلسطينية هو جزء من حرب مالية من أجل الضغط والاستسلام والهزيمة والقبول بما تسمي " صفقة القرن " ، وأكد أن شعبنا لن يهزم ولن يقبل إلا بالعدالة التي على أساس دولة مستقلة ذات سيادة ، وعاصمتها القدس ، وحق عودة اللاجئين ، وأكد أن سنبقى أوفياء لأسر الشهداء والأسرى ، وأكد أنهم والفصائل ملتفون خلف موقف الرئيس الرافض لصفقة القرن (أرشيف نشرة فلسطين اليوم حزيران / يونيو :2019، 11).

-جاءت صفقة القرن إضعاف السلطة الوطنية الفلسطينية

سعت حكومة ترامب الأمريكية إلى إضعاف منظمة التحرير الفلسطينية في عام 2017 م ، من خلال إغلاق مكتب منظمة التحرير الفلسطينية ،لكن بعد وساطات عربية ، تم إبقاء المكتب مفتوحاً بناء على إعلان من الخارجية الأمريكية ، ولكن بشروط أوضحها إدغار فأزكي ، المتحدث باسم الخارجية الأمريكية ، حيث قال :" القانون ينص على أنه إذا رأي الرئيس بعد تسعين يوماً أن الفلسطينيين ملتزمون بمفاوضات مباشرة وذات معنى مع إسرائيل ، فيمكن رفع القيود عن المنظمة ومكتبها في واشنطن " ، فلم يكتفي ترامب بذلك بل أوفق المساعدات المالية للسلطة الفلسطينية عام 2018 م ، وكانت الإجراءات الجديدة بناءً على قانون " تايلور فورس " الذي مرره الكونغرس الأمريكي ، والقاضي بوقف كافة المساعدات للسلطة مالم توقف الرواتب التي تدفع لأسر الشهداء والأسرى (قاعود :https://www.masarat.ps/article/4922).

ترى الباحثة فشل ترامب في المساهمة في حل الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي ، لانحيازه التام مع الجانب الإسرائيلي ، من خلال منحها الحق في القدس ، وإعفائها من مسؤولية عن ملف اللاجئين ، وإنهاء ملف الأسرى ، ومحاولاً تصفية القضية الفلسطينية بالكامل ، دون مراعاة الحقوق الفلسطينية المعترف فيها ضمت قرارات دولية، رفض الرئيس عباس الصفقة رفضاً تاماً ، وطالب المجتمع الدولي بتنفيذ القرارات الدولية بشأن القضية الفلسطينية ، ومنعت إسرائيل دخول أموال الأسرى وأهالي الشهداء كضغط على الحكومة الفلسطينية للقبول بالصفقة ، ولكن دون جدوى ، إصرار الشعب الفلسطيني في الوطن والشتات برفض الصفقة والتمسك بحق الشرعي بالعودة والقدس عاصمة فلسطين الأبدية .

ثانياً: الموقف الإسر ائيلي من قضية الأسرى الفلسطينيين

- الموقف الإسرائيلي من صفقة وفاء الأحرار تبادل الأسرى عام 2011م (شاليط)

بعد تشاورات بين أعضاء الحكومة الإسرائيلية تم مصادقتها بأغلبية ساحقة عام 2011/10/12م ، من 26 وزيراً مؤيداً أمام ثلاثة وزراء معارضين على الاتفاق للإفراج عن جلعاد شاليط ، وتم الاستماع خلال المداولات إلى إنجازات قدمها رؤساء الأجهزة الأمنية رئيس جهاز الأمن العام السيد يورام كوهين ورئيس هيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الفريق بيني غانتز ورئيس الموساد السيد تمير باردو وأيضاً المبعوث الخاص لرئيس الوزراء السيد دافيد ميدان ، وعرض رؤساء الأجهزة الأمنية الاتفاق على أبعاده المختلفة وعبروا عن تأييدهم به ، وتحدث بداية الجلسة رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو على القرار الصعب الذي يتأخذا الحكومة الإسرائيلية بالإجماع وذلك بسبب الظروف الصعبة التي تمر بها ، وتعاطفاً مع عائلة جلعاد شاليط ، وقدم الشكر لمشير طنطاوي على الجهود المصرية بالإفراج عن جلعاد شاليط بتاريخ 2011/10/13 (موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية : 2011).

ممكن القول أن إسرائيل استسلمت في نهاية الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي من أجل شاليط رغم الحرب التي خاضتها من أجل الحصول عليه ، والمفاوضات الطويلة منذ أسرة عام 2006م، حتى تم التفاوض بالوساطة المصرية والوصول لحل ما عرف بتبادل صفقة " وفاء الأحرار " ، فكانت هزيمة سياسية وهزيمة عسكرية بالنسبة لإسرائيل عكس الجانب الفلسطيني فقد سجل له انتصاراً كبيراً على المستوى السياسي والعسكري ، والمستوى الإقليمي والدولي أيضاً.

– الموقف الإسرائيل من إضراب الأسرى عام 2012 م

إضراب الأسرى عن الطعام نتيجة الضغط والتعذيب من قبل سلطة الاحتلال ، حيث كان تسعة عشر أسيراً معزولين في زنازين وأقسام العزل داخل المعتقلات الإسرائيلية ، حيث كانوا موزعين على معتقلات ، بئر السبع بجناحيه أيشل وأوهلي كجدار ، ولبوع ، وعسقلان والرملة وشطة وكفار يونا، وغالبية المعزولين من قادة الحركة الوطنية الأسيرة ، تهدف إسرائيل من تلك السياسة الانتقام من هؤلاء المناضلين ، بإخضاعهم وإذلالهم وكسر إرادتهم وتحطيمهم ، والتسبب بموتهم مستقبلاً ، بسبب الأمراض التي من الممكن أن تصيبهم ، فكانت تلك السياسة مفجرة للإضراب ، حيث جاء في التقرير الصادر عن وزارة شؤون الأسرى والمحررين في رام الله عام 2013/2/13 م "حكومة إسرائيل وإدارة السجون انتهكت الاتفاق الذي أبرم بين قيادة الأسرى وإدارة السجون وبرعاية مصرية ، والذي نص على إنهاء سياسة العزل الانفرادي ، وأشار إلى استمرار العزل الجماعي ل16 أسيراً في سجن ايلا منذ يوم 2013/1/16م ، بعد نقلهم كعقاب من سجن ايشل ، واستمرار عزلهم لمدة 21 يوماً في ظروف صعبة ، وتجريدهم من أبسط الحقوق الإنسانية ، هذه السياسة انتهاك صريح لصفقة تبادل شاليط بأعداد من الأسرى ، وهذا الأمر يفرض على مصر واجب إلزام إسرائيل بتنفيذ ما وعدت به الأسرى مع نهاية إضراب عام 2012 م (قبعة :https://www.prc.ps).

ترى الباحثة أن إسرائيل على مراحل العقود لم ولن تلتزم بالقوانين الدولية ولا بالاتفاقيات المتعهد عليها ، دولة متمردة مدعومةً من الولايات المتحدة ، فبعد صفقة القرن استخدمت أبشع أنواع التعذيب على الأسرى الفلسطينيين ، وقمع الأسرى المضربين عن الطعام بالعزل الانفرادي وهو فعل مخالف لاتفاقية صفقة شالي ، ها هي إسرائيل النازية الفاشية المغولية ، لا تعترف بالحقوق الإنسانية ولا القوانين الدولية ، فالنضال من أجل الحرية أمر مكفول دولياً ومحرم إسرائيلياً.

-الموقف الإسرائيلي من صفقة القرن عام 2017م

أيدت الحكومة الإسرائيلية صفقة القرن التي اقترحها ترامب، خاصة إنها تخدم مصالحها في كثير من القضايا ومنها :

-استبعاد ملف القدس من طاولة المفاوضات من خلال اعتراف ترامب بالقدس عاصمة لإسرائيل بتاريخ 2017/12/6م ، وأيضاً نقل السفارة الأمريكية إلى القدس بتاريخ 2018/5/14 م ، وبالتالي فتح الباب اعتراف بعض الدول بالقدس عاصمة لإسرائيل ، وفي الوقت نفسه أفشلت الإدارة الأمريكية مساعي الفلسطينية من أجل استصدار قرار في مجلس الأمن لمنع تغيير الوضع القانوني في القدس ن إذ استخدمت حق النقض "الفيتو" ضد إدانة قرار ترام بتاريخ 2017/12/17م (قاعود:https://www.masarat.ps/article/4922).

-تصفية قضية اللاجئين الفلسطينيين في صفقة القرن

لقد كان من ضمن بنود صفقة القرن إنهاء قضية اللاجئين من خلال إنهاء حق العودة وحرمان الفلسطينيين من أي تعويضات ماليه ، وتوطينهم في الدول العربية التي لجأوا إليها، وأعلنت الصفقة أن لن يكون هناك إي حق في العودة أو استيعاب أي لاجئ فلسطيني في دولة إسرائيل ، وأعلنت ثلاثة خيارات للاجئين الفلسطينيين الذين يبحثون عن مكان إقامة دائم ، الخيار الأول الاستيعاب في دولة فلسطين مع خضوع هذا الخيار لقيود إسرائيلية ، الخيار الثاني الاندماج في البلدان المضيفة التي يتواجدون بها بما يخضع لموافقة الدول ذاتها ، الخيار الثالث قبول 5000 لاجئ سنوياً على مدى 10 سنوات (بواقع 50000 لاجئ) في دول مجلس التعاون الإسلامي ، وعند التوقيع اتفاقية السلام الإسرائيلية الفلسطينية ، فإن وضع اللاجئ الفلسطيني سوفي تنهي للأبد ، وسيتم إنهاء "الأونروا" ، وتحويل مسؤولياتها إلى الحكومات المعنية ، ويتم استبدال مخيمات اللاجئين في دولة فلسطين بتجمعات سكنية جديدة ، فكان إعلان الأونروا رفضها لصفقة القرن وهي باطلة (الموقع الرسمي لمنظمة التحرير: 2020).

وهذا يعني أن ترامب بسياسة الأمريكية الجديدة تبني الموقف الإسرائيلي بالكامل ، تصفية ملف القدس نهائياً ، وإعلان القدس عاصمة إسرائيل الأبدية ، وإزاحة الملف عن طاولة المفاوضات ، وأصبح ليس له وجود في التفاوض بين الفلسطينيين والإسرائيليين ضمن القضايا "الوضع النهائي " حسب ما جاء في اتفاق أوسلو عام 1993 م، وأيضاً ملف قضية اللاجئين الفلسطينيين صفقة القرن تعني بقرارتها تجاه اللاجئين هي تصفية القضية وإنهاء حق العودة وحق تعويضهم عن الأضرار التي لحقت بهم وهذا ما تسعى له إسرائيل وتأكيد ،

وهذا يعني اتفاق مسبق بين الحكومة الأمريكية برئاسة ترامب مع الحكومة الإسرائيلية بشأن تصفية القضة الفلسطينية ملف وراء ملف.

- **مساعدة الولايات المتحدة التطبيع العربي الإسر ائيلي:**

كانت إسرائيل ومازالت مرحبة بصفقة القرن ، حيث استغلت إسرائيل الأوضاع العربية السيئة لتسوية فكرة التعاون مع الدول العربية لمحاربة الإرهاب (التيارات الإسلامية) ، والترويج لسلام إقليمي ، حيث طلب نتنياهو من ترامب في أول اجتماع لهما في واشنطن ، رفع مستوى التعاون بين إسرائيل والدول العربية ، وقال يمكن دحر المعسكر المعادي لنا، وعلينا انتهاز الفرصة ، فإن هناك دول معتدلة لا ترى في إسرائيل عداء لها، لقد أوضح ترامب في خطابه من خلال القمة العربية الإسلامية الأمريكية التي عقدت بالرياض عام 2017 م ،إقامة تحالف بينهما في مواجهة "الخطر الإيراني " (قاعود :https://www.masarat.ps/article/4922).

عموماً صفقة القرن واضحة مثل الشمس تبني ترامب الرؤية الإسرائيلية في تصفية الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني بتصفية الملفات المتصارع عليها ابتداء من ملف القدس وملف اللاجئين وملف الأسرى، ومع عدم قيام دولة فلسطينية على حدود 67 ، من خلال قيام كيان فلسطيني في الضفة وكيان فلسطيني في غزة ، واضعاف السلطة من خلال عملية التطبيع وإدارة الصراع الفلسطيني-الفلسطيني وزيادة حدة الانقسام بينهم ، وفرصة لتصفية القضية أمام المحاكم المجتمع الدولي برعاية إمبريالية أمريكية ، ولكن التطورات الإقليمية والدولية حالت دون تنفيذ تلك الصفقة

-الموقف الإسر ائيلي من خطاب محمد اشتية 2019/6/6 م

في اليوم التالي 2019/6/7م أضافت الشرق الأوسط لندن من تل أبيب ، أن اشتية قال في تصريحات لصحيفة "نيويورك تايمز " الأمريكية ، الأربعاء عام 2019/6/5م ، إن " السلطة الفلسطينية الآن على وشك الانهيار بسبب مشاكل مالية تفاقمت جراء قرار إسرائيل سحب رواتب ذوي منفذي العمليات ضد قواتها والأسرى من أموال الضرائب ، ما دفع السلطة إلى رفض تسلم هذه الأموال ، لأن ذلك يعتبر اعترافاً بأن منفذي العمليات والأسرى إرهابيون ، مشدداً على أن هذا الأمر غير مقبول سياسياً ، وقد يؤدي إلى مواجهة السلطة والمصارف الفلسطينية شكاوي أمام المحاكم الأمريكية والإسرائيلية (أرشيف نشرة فلسطين اليوم حزيران/يونيو : 2019 ، 11).

تصوري حول رد الشرق الأوسط لندن من تل أبيب الذي جاء بناءً على الموقف الإسرائيلي واضح في قلب الحقائق من أجل كسر إرادة الشعب الفلسطيني ، ومحاولة الضغط على الحكومة الفلسطينية قيادةً وشعباً القبول بصفقة القرن ، من خلال الضغط مالياً بقطع رواتب الأسرى وأهالي الشهداء واعتبارهم ارهابين وليس مناضلين من أجل الحرية وتحرير بلادهم من الاحتلال الذي كفلته القوانين الدولية .

المحور الثالث: مستقبل الأسرى الفلسطينيين في ظل التطورات الإقليمية والدولية

تعد قضية الأسرى واحدة من القضايا النهائية لحل الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، ونجحت السلطة سابقاً في إطلاق سراح أسرى عبر اتفاقيات مع إسرائيل، كما نجحت الفصائل بإطلاق سراح أسرى عبر صفقات تبادل. لكن المفاهيم الجديدة التي أدخلها اتفاق أوسلو قد شكلت تحولاً نوعياً في المفاهيم السائدة في سجون الاحتلال الإسرائيلي وعلى مستقبل السرى الفلسطينيين، وكان على قيادة حركة فتح في السجون أن توضح لعناصرها كيف انتقلت من مواقع الكفاح المسلح إلى التفاوض كأمر واقع، أو الانتقال من المشروع المرحلي إلى الاعتراف بإسرائيل وحقها في الوجود، ثم الانتقال من العمل السري إلى العلني، بالإضافة إلى الحروب التي قام بها الاحتلال بعد انتفاضة الأقصى عام 2000م، والحروب الأربعة التي شنها الاحتلال الإسرائيلي على قطاع غزة حتى يومنا هذه وما قامت به المقاومة الفلسطينية من فرض شروطها عليه من خلال صفقة تبادل الأسرى عام 2011م شاليط ثم اسرها لأربعة من جنود الاحتلال في الاعتداء الإسرائيلي عام 2014 لإنجاز صفة جديدة لم تتضح معالمها حتى الآن يعطي الأمل لعدد كبير اخر من الأسرى لنيل حريتهم (الشرفا، 2018، https://hadfnews.ps/post).

وقد تعالت وتيرة الحديث في الآونة الأخيرة عن احتمال إتمام صفقة تبادل أسرى بين الاحتلال الإسرائيلي والمقاومة الفلسطينية، إذ يسعى كل طرف إلى أن يحصل على مكاسب كبيرة من تلك الصفقة تحقق أهدافا يريدها كل منهما. ولكن تكمن مشكلة إسرائيل ليست في عدد الأسرى الفلسطينيين الذين سيفرج عنهم، وإنما المشكلة في النوعية، في وقت يكرر الاحتلال أنه لن يطلق سراح أسرى فلسطينيين يصفهم بـ"الملطخة أيديهم بالدماء" (الحزيرة نت، 2021/6/2، https://www.aljazeera.net).

وسيتم استشراف مستقبل الأسرى الفلسطينيين في ظل التطورات الإقليمية والدولية في هذا المحور من خلال:

أولا: مستقبل الأسرى الفلسطينيين وعدم اتمام صفقة في ظل تطور الأوضاع الإقليمية والدولية

إن إسرائيل اليوم تستخدم تحالفها المفروغ منه مع الولايات المتحدة وبالأحرى الدعم المطلق من الأخيرة، وتواطؤ الكتل الكبرى وبالذات الاتحاد الأوروبي، في منع اتخاذ إجراءات فعلية ضدها، لتجنب معاقبتها أو مقاطعتها. كما تستفيد من بعد آخر وهو الضعف العربي ومن ضمنه الضعف الفلسطيني الرسمي الصارخ. وهذا يعيدنا إلى قضية الأسرى. فإن كان الموقف الرسمي الفلسطيني على الساحة الدولية هو "إدانة العنف" والتنديد بعمليات مقاومة الاحتلال، وفي المقابل التنسيق الأمني مع المؤسسة الإسرائيلية، فأية رسالة هي هذه للأسرى القابعين في السجن الإسرائيلي منذ عشرات السنين والذين ساهموا في النضال التحرري ويدفعون ثمن نضالهم! ألا يتناقض الخطاب الرسمي الفلسطيني مع حال هؤلاء الأسرى كأسرى حرية وأسرى تحرر وطني وأسرى ضمير وحق؟! (مخول، 2018، ص18، https://www.badil.org).

لقد تم عقد العديد من المؤتمرات الدولية لمناقشة وظروف الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال مؤتمر الأمم المتحدة في فينا و قضية الأسرى لأول مرة وفي مقر الأمم المتحدة في فينا (عاصمة النمسا)، وبتاريخ 7\3\2011م، عقد مؤتمر حول قضية الأسرى تحت عنوان الضرورة الملحة لمعالجة محنة السجناء السياسيين الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي بحضور ومشاركة أكثر من مائة دولة، وعدد من مؤسسات حقوق الإنسان، وخبراء بالقانون الدولي؛ واستمر المؤتمر لمدة يومين، قدمت خلاله أوراق عمل تتعلق بكافة الجوانب المتعلقة بحقوق الأسرى الفلسطينيين، ومن وأهم ما جاء في البيان الختامي الاهتمام الشديد باقتراح وزير الأسرى الفلسطيني عيسى قراقع القاضي بإثارة المسالة القانونية المتعلقة بالأسرى الفلسطينيين، مع الهيئات القانونية المختصة في الأمم المتحدة، بما فيها محكمة العدل الدولية، وعبر البيان عن استنكار لانتهاك إسرائيل للقانون الدولي الإنساني في معاملتها للأسرى الفلسطينيين ، كالاعتقال الإداري ، واعتقال الأطفال والنواب وممارسة التعذيب بكافة أنواعه ، ومنع الأهالي من زيارة أبنائهم الأسرى ، والعزل الانفرادي ، وغيرها من أشكال سوء المعاملة والاعتداء على كرامة الأسرى (الوادية، 2018، https://rawasi.ps).

ثانياً: مستقبل الأسرى الفلسطينيين و اتمام صفقة في ظل تطورالأوضاع الإقليمية والدولية

تنظيم الجاليات الفلسطينية في أوروبا وبالتعاون مع حركات التضامن وحركات المقاطعة ومناصري الشعب الفلسطيني، سلسلة نشاطات وفعاليات واسعة دعما واسنادا للأسرى الفلسطينيين المضربين عن الطعام في السجون الإسرائيلية. حيث شهدت معظم الدول الأوروبية بعواصمها ومدنها الرئيسية مسيرات ووقفات احتجاجية على الممارسات الإسرائيلية بحق الاسرى، تقدمها ممثلون عن الجاليات الفلسطينية والعربية ونشطاء حقوق الإنسان وبرلمانيين الأوروبيين عبروا فيها عن دعمهم وقوفهم الى جانب الاسرى في معركتهم لنيل حقوقهم (دائرة شؤون المغتربين، http://www.pead.ps).

يعمل تدويل قضية الأسرى الذي يكمن في تحريك فعل التضامن واستدامته والمقصود هو التضامن الشعبي العالمي أولاً، إضافة إلى تحريك المحافل الدولية الرسمية باتجاه تحمل مسؤولياتها على المساعدة في اتمام صفقة التبادل. وكلما تواصل واتَسع نضاله فإن حركة التضامن المتجنِّدة والمتجددة والمتسعة تقود حراكا في بلدانها أو مناطقها وداخل مجتمعاتها، وتشكِّل ضغطاً مؤثرا على حكوماتها وبرلماناتها وإعلامها وعلى الهيئات الدولية والمحافل الرسميّة، فيتحرك كلٌّ في مستوى قراره ودوره للتأثير، إن هدف التدويل هو تحرير الأسرى؛ كون قضية حريتهم تشكل عموداً أساسيا في المسيرة التحررية لشعبنا. وكل فعل ينبغي أن يحوّل المعاناة الفلسطينية والتعاطف معها إلى طاقة فعل شعبي منظمة وهادفة، وإلى أولوية على جدول أعمال كل مسارات إدارة الصراع مع إسرائيل، وكل فعل يجب أن يستثمر بالكامل بشكل يصب في بوتقة النضال والتضامن إلى جانب الفلسطينيين (الأفندي، وآخرون (2018-2019)، نحو سياسات لدعم قضية الأسرى، مركز مسارات، https://www.masarat.ps).

ما من شكّ بوجود طاقات كبيرة وجديّة تبذل شعبياً ورسمياً، ونتاج هذه الجهود هو إبقاء الموضوع على جدول أعمال المجتمع الفلسطيني وتحوّله إلى جزء أساسي في ثقافة المقاومة والصمود والحرية المتجذِّرة في ضمير الشعب الفلسطيني. كما تشكّل مساندة ضروريّة لعائلات الأسرى وللمجتمع في مجمله. لكن مجرد بذل الجهد لا يعني الاقتراب من الهدف – أي تحرير الأسرى-، بل أن الجهد المنظم والهادف يقرّبنا من الهدف. وهذا بدوره يحيلنا إلى الإقرار بان موضوع الأسرى ليس رومانسيا في جوهرهً ولا ينحصر في الحديث عن البطولات والأسطورة، فهذا جانب واحد لا أكثر. إنما الأسير هو إنسان قبل أي شيء، ومن هنا تبرز قيمته المعنوية وقضيته الإنسانية. إنه إنسان بكل نقاط القوة والضعف لدى الإنسان المقاوم. وكي نحقق الحرية له، هناك حاجة إلى تحديد مسار الطريق الذي يوصلنا إلى الهدف بشكل مضمون وبأسرع وقت ممكن. هنا ترجمة الوقت تعني حياة الناس، وهي آلاف مؤلفة من السنين؛ هي مجموع ما قضاه ويقضيه الأسرى في سجون الاحتلال (مخول، 2018، https://www.badil.org).

وأعرب دافيد ميدان المسؤول السابق في الموساد الذي كان شريكا في التوصل إلى الاتفاق لتحرير جلعاد شاليط في عام 2011 عن تفاؤله بشأن احتمال التوصل إلى صفقة تبادل أسرى ثانية بين إسرائيل وحركة "حماس" الحاكمة لقطاع غزة وذلك في مقابلة معه نُشرت يوم الأربعاء الموافق 2020/5/6 حيث قال لأسبوعية "داي تسايت" الألمانية، بحسب ما نقله موقع "واينت" الإخباري: "يبدو أن هناك احتمال كبير في الوقت الحالي لاتفاق بين حماس وإسرائيل لإطلاق سراح الأسرى والمفقودين الإسرائيليين"، وأضاف إن "الفجوات ليست كبيرة" (THE TIMES OF ISRAEL، 2020/5/6، https://ar.timesofisrael.com).

طالبت مؤسسة مهجة القدس للشهداء والأسرى والجرحى في يوم الاسير الفلسطيني الموافق 2021/4/17 ، المقاومة الفلسطينية كونها الدرع الحامي وخط الدفاع الأول عن أسرانا ببذل كل جهودها؛ لإنهاء معاناة الأسرى والأسيرات خاصة الأسرى المرضى منهم وتحريرهم في القريب العاجل. وناشدت مهجة القدس المؤسسات الحقوقية والدولية خاصة اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالضغط على العدو الصهيوني من أجل تحسين الشروط المعيشية والحياتية للأسرى التي كفلتها القوانين الدولية. ودعت مهجة القدس الإعلام الحر بإبراز معاناة الأسرى وجعلها قضية رأي عام عالمي ودولي والوقوف بجانبهم. وبعثت مهجة القدس بالتحية إلى أسرانا الأبطال خلف قضبان الاحتلال، موجهة رسالة للأسرى بالقول " متمسكون بقضاياكم وسنقوم بفضح ممارسات العدو تجاهكم، وأننا لن ندخر جهدًا إلا وسنقف معكم" (فلسطين اليوم، 2021/4/17، https://paltoday.ps).

بعد أيام قليل من انتهاء العدوان الإسرائيل على قطاع غزة، ودخول وسطاء بين الجانبين، خاصة مصر وقطر التي لديها علاقات قوية ومؤثرة مع غزة. حيث نقلت مصر مقترحاً لعقد محادثات في القاهرة حول عدة محاور؛ منها محاولة التوصل إلى وقف إطلاق نار طويل الأمد بين "إسرائيل" وفصائل المقاومة، والتوصل إلى صفقة تبادل أسرى، إضافة إلى خطة إعادة إعمار غزة. كما تعمل قطر للمشاركة كوسيط لإمكانية إبرام

صفقة تبادل بين الأسرى بين المقاومة والاحتلال حيث تعد وسيطاً نزيهاً ومحايداً وقريباً من القضية الفلسطينية. وتعمل المقاومة جاهدة على أن لا تقدم أي معلومة مجانية لدولة الاحتلال، ولن تخرج بأي شيء حول ما تمتلكه من جنود، سواء كانوا أحياء أو قتلى، دون أي ثمن يدفعه الاحتلال. و أن لا يتم ربط صفقة التبادل والحديث عن الأسرى لديها بملف إعادة إعمار قطاع غزة، و"تدرك إسرائيل ذلك تماماً، ولكنها تتحدث حول الأمر بهدف تعطيل بعض الأمور، والضغط على المقاومة، وإيصال رسالة للشارع الإسرائيلي بأنها تعمل على إعادة جنودها" (أبو رزق، ، 2021/6/2، ttps://alkhaleejonline.net).

ثالثاً: مستقبل الأسرى الفلسطينيين من وجهة نظر أسرى محررين من الفصائل الفلسطينية

ولمعرفة مستقبل قضية الأسرى من وجهة نظر بعض الأسرى المحررين وينتمون لفصائل مختلفة فقد ام توحيه السؤال التالي ضمن مقابلات معهم: ما مستقبل الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية؟

في مقابلة مع مصطفى المسلماني الباحث الأسير المحرر ضمن صفقة شاليط عام 2011م من الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين عبر الواتس أب بتاريخ 2021/6/21 اجاب قائلاً: "تعنبر قضية الأسرى الفلسطينيين من أهم القضايا التي تحظى باهتمام شعبنا الفلسطيني وفصائله المناضلة بغض النظر عن مستوى او منسوب الاهتمام من فصيل لآخر، وعند التحدث عن هذه القضية علينا أن نربطها بوجود الاحتلال الإسرائيلي على الأراضي الفلسطينية وعدم احراز شعبنا الفلسطيني الحرية ونيله الاستقلال ولهذا طالما موجود الاحتلال الصهيوني حيث يجسم على صدورنا سيبقى هناك أسرى فلسطينيين في سجون الاحتلال حتى لو كل يوم، حتى ان تمت صفقة تبادل اسرى مع الاختلال الإسرائيلي سيبقى هناك أصرى في سجون الاحتلال، ووجود الاختلال يعني وجود مقاومة بجميع أشكالها سواء كانت مسلحة أو سلمية، شعبية أو جماهيرية، فوجود الأسرى الفلسطينيين مرتبط بالاستقلال الوطني الفلسطيني هذا أولاً أما ثانياً قضية مصير الأسرى الفلسطينيين في ظل المتغيرات الاقليمية والدولية فنقول بشكل واضح أن قضية الأسرى تحظي باهتمام واضح حيث بدأت في الوصول لكل المؤسسات الحقوقية والدولية والانسانية، وأيضاً الأسرى الفلسطينيين يحظون باحترام وتقدير لدى كل المجتمعات العربية والإسلامية وهذا بالتأكيد سيساهم بتحسين ظروف الأسرى في داخل سجون الاحتلال، ولكن لا يساهم في اطلاق سراحهم وتحريرهم وخلاصهم من الاختلال والاعتقال التعسفي الذي هو فعلاً يحجب العقل والفكر والروح، فيبعد الأسير عن محيطه الاجتماعي، ولكن كما قلنا فالاهتمام موجود وهذا الاهتمام من المفترض أن يفرض نفسه على المؤسسات الحقوقية والانسانية واجبار إسرائيل بالالتزام باتفاقيات جنيف الثالثة والرابعة ولمن لأسف الشديد العالم دائماً يغمض عينيه عن السلوك والممارسات الإسرائيلية ضد الأسرى في سجون الاحتلال، وبالرغم من ذلك يبقى هناك جهداً جيداً تبذله الحاليات العربية والاسلامية بتسليط الضوء على المعاناة التي يعانيها الأسرى في داخل السجون، وخاصة الأسرى الاداريين الذين يبلغ عددهم حوالي 500 أسير فلسطيني معتقلين دون تهمة

ودون لائحة اتهام في ظل هذا القانون الذي ورثته إسرائيل عن الانتداب البريطاني وللعلم هذا القانون من المفترض أن يستخدم فقط في حالة الطوارئ، والمطلوب من المجتمع الدولي بذل الجهد لصالح الأسرة الفلسطينيين ولكن كما قلنا هذا لا يكفي، ومطلوب ان يلازم هذا الجهد الشعبي سواء كان فلسطينياً أو عربياً أو دولياً نشاطاً سياسياً فلسطينيا بل يجب أيضاً أن بتم بلورة ملفات حقيقية عن جرائم القتل التي حدثت بين الأسرى الفلسطينيين وهنا التحدث عن عدد 226 أسر قد استشهدوا في سجون الاحتلال الإسرائيلي، وأيضا عن اعتقال الأطفال القاصرين وعن الاهمال الطبي، كما يمكن تسحير المحاكم الدولية ومحكمة الجنايات الدولية، ولكن لأصف نحن نفتقد الرؤية الاستراتيجية الوطنية والرؤية التي من خلالها يمكن أن نضغط على المؤسسات الحقوقية والدولية من خلال السفارات والقنصليات الفلسطينية التي يزيد عددها عن مائة، حيث يجي أن يقوموا بنشاط حقيقي لتعرية الموقف الفلسطيني وابراز قضية الأسرى، حيث أن العالم بدأ يتغير ويدرك حجك الجرائم الإسرائيلية ، حيث أن العالم بدأ يستوعب الرواية الفلسطينية عن الأسرى وخصوصاً بعد معركة سيف القدس واستغلالها من اجل صفقة جديدة، وهذه القضية تحل فقط من خلال أسر المزيد من الجنود الإسرائيليين لإجبار الاحتلال الإسرائيلي لإتمام هذه الصفقة ومن ضمنهم الأسرى الذين قضوا أكثر من ثلاثون عاماً ومشكلة الأسرى لا تحل إلا بمنطق القوى الذي يفرض على الطاولة" (السلماني، غزة، 2021/06/21)

اما في مقابلة مع جهاد أبو غبن الأسير المحرر ضمن صفقة شاليط عام 2011م منسق شؤون الأسرى بحركة فتح في غزة عبر مقابلة شخصية بتاريخ 2021/6/22 اجاب عن السؤال السابق قائلاً: "بخصوص تأثير الوضع الاقليمي والدولي على الأسرى في الشجون الإسرائيلية فحسب ما كان وحسي التجربة الوضع الاقليمي والدولي يؤثر ويتأثر في موضوع الأسرى في حالتين الأولي في أن هناك مفاوضات سياسي بين السلطة فلسطينية وبين الكيان الإسرائيلي ومن هنا يأتي التدخل الاقليمي والدولي للضغط على الكيان الإسرائيلي وخاصة منقبل أمريكا والاتحاد الأوروبي في موضوع حسن النوايا في موضوع تحرير الأسرى الفلسطينيين من السجون الإسرائيلية ولقد كان هناك دائما في كل مرحلة من مراحل التفاوض اطلاق دفعة من الأسرى والتي توقفت منذ ست سنوات بعد الافراج عن الدفعة الثالثة في اطرا التفاهمات التي تمت بين السلطة الفلسطينية وأمريكا وإسرائيل نتيجة لموقف نتنياهو الذي رفض الاستمرار في توقف الاستيطان الذي تم الاتفاق بشأنه لاستمرار المفاوضات أما الخالة الثانية في حالة وجود جنود أسرة لدى المقاومة الفلسطينية كما حدث في صفقة التبادل مع الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط في صفقة وفاء الأحرار فتكون هناك مفاوضات اقليمية من خلال دول مثل مصر وتدخلات دولية مثل ألمانيا، أما على حياة الأسرى داخل السجون فلا يوجد أي تأثير ل اقليمي ولا دولي على حياتهم" أما عن مستقبل للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية في اتمام صفقات أخرى فقد قال: حسيب ما هو موجود عند المقاومة الفلسطينية جنود أسرى لا يعرف إن كانوا أحياء أو أموات بالإضافة لمواطنين أخرين وأبرهام مانجستو

وهشام السيد أسرى لدى المقاومة وهناك تفاوض جدي من اجل اتمام صفقة التبادل واطلاق أسرى صفقة شاليط الذين أعاد الاحتلال اعتقالهم دون وجه حق وخالفة لبنود تبادل صفقة شاليط وربما التغيرات الإقليمية والدولية خاصة بعد الحرب الأخيرة على غزة (معركة سيف القدس) وتوجه الادارة الأمريكية الجديد حول حل الدولتين رغم وجود حكومة إسرائيلية أكثر تطرفاً من حكومة نتنياهو فمن الممكن انطلاق عملية سياسية خلال ستة أشهر وفي حال تم اطلافه9ا سيكون هنام اطلاق الدفعة الرابعة من الأسرة الذين لم يتم اطلاق صراحهم بالإضافة لصفقة تبادل الاسرى بين المقاومة والعدو الإسرائيلي" (أبو غبن، غزة، 2021/06/22).

اما في مقابلة مع علام الكعبي الأسير المحرر من مدينة نابلس ومبعد لغزة ضمن صفقة الأحرار عام 2011 وعضو اللجنة المركزية في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وكدير مركز حنضلة للأسرى والمحررين عبر مقابلة شخصية بتاريخ 2021/6/22 اجاب عن السؤال السابق قائلاً: "قضية الأسرى لها أبعاد اقليمية ودولية ولكن في الآونة الأخيرة تعرضت مكانة الأسرى لأكثر من هزة منذ توقيع اتفاق أوسلو وحتى اليوم ويعني أن مستوى الاهتمام بقضية الأسرى في تراجع مستمر من حيث ومستوى التفاعل الشعبي والجماهيري على المستوى الاقليمي لم يعد كما كان عليه في السابق، أما على المستوى الدولي فأكثر جهة تهتم بقضية الأسرى ودعم الموقف الإسرائيلي على المستوى الرسمي هي أمريكا حيث في زمن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب شهدنا مباركة أمريكية ووقف إلى جانب الموقف الصهيوني بشكل مقلق وهذا تمثل بشكل محدد على سبيل المثال الأسرى الفلسطينيين من خلال الضغط على السلطة لقطع رواتبهم ووقف مخصصات الأسرة المحررين بالإضافة للشهداء والجرحى والضغط على البنوك الفلسطينية من أجل عدم التعاطي مع حسابات الأسرى البنكية وللأسف الشديد استجابت أغلب البنوك لهذه الضغوطات الأمريكية والصهيونية، ولكن نشهد في الفينة والأخرى تبني لبعض قضايا الأسرى من بعض الجهات الدولية الشعبية وليست الرسمية خاصة أن هناك حراكات لها ارتباطات تاريخية مع حق الشعب الفلسطيني او دعم قضيته على سبيل المثال حركة ال BDS التي كان لها دور فاعل في تنظيم مجموعة من الأنشطة والفاعليات حيث حاول ويحاول بعض البرلمانيين المستقلين على سبيل المثال في أوروبا الاستماع لقضية الأسرى وتدويلها إل أن الضغط الرسمي للحكومات في أوروبا وأمريكا لا يتعاطى الأسرى الفلسطينيين على أنها قضية مقاتلين من أجل الحرية. بل بالعكس الموقف الرسمي للحكومات في أوروبا وأمريكا هو قريب ومتوافق مع الرواية الصهيونية التي يحاول الاختلال تسويق أن هؤلاء مجموعة من الارهابين وخاصة بعد سن قوانين الارهاب في أمريكا على خلفية احداث 11 سبتمبر 2011م التي غيرت وجه العالم حيث تحاول إسرائيل من استغلال هذه القوانين الدولية من أجل تجريم نضال الشعب الفلسطيني الذي يمثل جزء مهم منه ا[سرى الفلسطينيين الذين قاتلوا في صفوف فصائل المقاومة الفلسطينية، وأيضا الاهتمام بها الملف لا يحظى بأولوية وأهمية قصوى وذلك لعدة أسباب فالسبب الأول أن السلطة الرسمية للشعب الفلسطيني ليس لديها لا برامج أو خطة استراتيجية لفضح سياسة

الاختلال الصهيوني بحق الأسرة الفلسطينيين على المستوى الدولي من خلال رفض السلطة حتى اليوم تقديم ملفات عن جرائم ارتكبت بحق أسرى فلسطينيين وأسرى محررين لمحكمة الجنايات الدولية حيث لا يوجد حتى اليوم نية لدى السلطة لتقديم هذه الملفات والأمر الآخر أن السفارات الفلسطيني المنتشرة حول العالم والتي تجاوزت 125 سفارة أو أكثر بقليل ليس لديها برنامج أو خطة لدعم قضية الأسرى أو تنظيم فعاليات وأنشطة للتعريف بمعاناة الأسرى وذويهم وفضح سياسة الاحتلال التي تمارس بحق الأسرى في السجون الإسرائيلية، أما على مستوى الفصائل الفلسطينية أن الفعل مرتبط برد فعل وليس هنام استراتيجية محددة للتعامل مع قضية الأسرى وصولاً لإطلاق سراحهم، والانقسام على الساحة الفلسطينية ينعكس سلباً على تدويل قضية في مختلف المحافل وعلى مستوى جميع الصعد وهذا ظلم يتعرض له الأسرى وذويهم، وحتى الحرامات التي تساهم وتبادر في تنظيم أنشطة وفعاليات لدعم قضية الأسرى خارج فلسكين نجد أن التفاعل من الجاليات الفلسطينية المنتشرة في العالم هو مستوى متدني حتى هذه اللحظة ولا يرتقي لحجم المعاناة والتضحيات التي قدمها هؤلاء الأسرى" (الكعي، غزة، 2021/06/22)

اما في مقابلة مع د جميل عليان القيادي في الجهاد ومسئول دائرة الاسرى والشهداء بتاريخ 2021/6/25 عبر الواتس أب اجاب عن السؤال السابق قائلاً: "قد شكلت قضية الأسرى في العقلين "الاسرائيلي" والفلسطيني ساحة اشتباك مهمة واستراتيجية ومفتوحة حتى زوال دولة العدو.

العدو مسكون بأبعاد توراتية مزورة واجرامية ضد الفلسطيني المقاوم وتحديدا من أصابت يده دما "اسرائيليا" قتلا او جرحا، لذلك نرى الأحكام الاسرائيلية ضد الفلسطينيين غير مسبوقة في العالم وغير مسقوفة بسقف زمني كالمؤبد مثلا، حيث يوجد من هو محكوم بأكثر من 67 مؤكدا كذلك لا يوجد في قانون العدو الاعتقالي الافراج المبكر او قيام رئيس الدولة بإصدار عفو. ايضا طبيعة الأحكام على نفس التهمة كالقتل مثلا تختلف اختلافات كليا بين الفلسطيني والاسرائيلي.

وعلي الجهة المقابلة يعتبر الاسير في العقل الفلسطيني من اهم عناوين النضال وايقونة وطنية وملف الاسرى هو ملف استراتيجي بامتياز من وجهة نظر الفلسطينيين. استفاد العدو الصهيوني من خطأين استراتيجيين للفلسطينيين الأول هو عدم التطرق للأسرى في اتفاق المبادئ في اوسلو، والخطأ الثاني هو إدانة المقاومة (أطلقوا عليه وصف الارهاب) وملحقاتها حسب الاتفاق مما يعني ان الاسرى هم ارهابيون وعندما تداركت السلطة الخطأ وضعت تمييز خطيرا وهو من اعتقلوا قبل أوسلو ستعمل على اطلاق سراحه ومن اعتقلوا بعد أوسلو فهؤلاء مارسوا الارهاب وخرجوا على الاتفاقيات الموقع بين الفلسطينيين و (إسرائيل)

يعتبر ملف الأسرى من الملفات الشائكة والمهمة في ساحة الصراع الفلسطيني ولذلك منذ اللحظة الأولى لإنشاء الكيان الصهيوني كان موضوع الأسرى موضوعاً مؤرقاً للفلسطينيين والنظام السياسي الفلسطيني وبالتالي كان هذه الموضوع يجد مكانه في الشعور الفلسطيني وما لم يتم حل موضوع الأسرى فأنهم يتعرضون لضغط نفسي واجتماعي، لكن هذه الموضوع لم بكن مؤرقاً فيل اتفاق أوسلو التي قدمت تنازلات جمة وكبيرة

لم تحدث انفراجاً في قضية الأسرى، وعندما ننظر إلى المجتمع الدولي والنظام الاقليمي لا نجد أن هذه الملف موضوعاً على طاولة البحث، لكن عندما تحدث هناك اشكاليات كإضراب الأسرى أو بعضهم أو استشهاد أحدهم في سجون الاحتلال فيتحرك بعض الجهات الاقليمية والدولية لإنقاذ حياتهم وتحقيق بعض مطالبهم وابقى هذه في اطار البيانات والتنديدات والتي لا ترقى بالشكل العملي أو لمشروع يصل إلى اعطاء الأسرى بعض حقوقهم أو لتحرير بعضهم، وقضية الأسرى مرتبطة بالوضع الفلسطيني عامة فما يجث يه من صعود أو هبوط هو نفسه ما يحدث في قضية الأسرى، وهناك اتجاه في الاقليم لتأييد القضية الفلسطينية والمقاومة الفلسطينية وهو حتى الآمن غير كافي لفرض شروط على السجون الإسرائيلية وعلى الادارة الأمريكية وعلى الأنظمة التي تدور في فلكها، والمعادلة الوحيدة حتى الآن لإطلاق سراح الأسرى هي القوة من خلال أسر جنود صهاينة واتمام عملية التبادل التي اثبتت جدواها علال سنوات الصراع فهناك ثمان عمليات تبادل كان أخرها صفقة شاليط بصفقة وفاء الأحرار رقم 1 وربما نصل قريباً لوفاء الأحرار رقم 2، ونحن لا معول على المجتمع الدولي أو الاقليمي لإطلاق سراح الأسرى وسيبقى موضوع الأسرى كما هو عليه حتى امام صفقة من خلال التبادل" (عليان، غزة 2021/06/25).

أما في مقابلة مع أحمد إبراهيم الفليت الأسير المحرر ضمن صفقة شاليط عام 2011م من مدير مركز نفخة لدراسات الأسرى والشؤون الإسرائيلية) عبر الواتس أب بتاريخ 2021/6/26 اجاب قائلاً: " مستقبل الأسرى لا يعتمد على متغيرات مجلية أو اقليمية أو دولية لأن الجميع قد تخلى عنهم باستثناء المقاومة الفلسطينية ولذا يعتمد فقط على ابرام صفقة تبادل أسرى بين المقاومة والاحتلال الإسرائيلي، أما بالنسبة لحياتهم المعيشية داخل السجون فالأسرى من يتحكم فيها من خلال الاضراب عن الطعام بصورة جماعية او جماعات أو فردية، وسبب لجوئهم لذلك هو عدم وجود جهة رسمية قادرة على اسنادهم سواء حكومية أو اقليمية أو دولية ولا مؤسسات حقوق انسان ولذا مصرهم داخل السجون بأيديهم فقط، كل المتغيرات الدولية والعربية والمحلية لا تغير شيئاً على بالنسبة لأوضاع الأسرى داخل السجون"

ومن هنا نرى أن المتغيرات الإقليمية والدولية ى توثر تأثيراً كبيراً على مستقبل الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية وأن التأثير الأكبر على مستقبلهم يكمن في صفقات تبادل الأسرى التي تتم من خلال أسر جنود إسرائيليين لمبادلتهن مع الأسرى الفلسطينيين

النتائج والتوصيات:

اولاً: النتائج:

توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج أهمها:

1- أن الركيزة الأساسية لمفهوم الحرية في فلسطينيين هو التخلص من الاحتلال وحق تقرير المصير.

2- الأسر الإسرائيلي أثبت أنه ليس رادعاً يمنع الشعب الفلسطيني من مقاومة الاحتلال الغاشم.

3- توصلت الدراسة أن الأسير المحرر هو أكثر من يشيل هموم الأسرى الذي مازالوا خلف القطبان ، وهم الأجدر على حمل المسؤولية والدفاع عنهم .

4- أن الاحتلال الإسرائيلي لا يحترم القوانين الدولية، ولا القرارات التي صدرت بشأن الأسرى، وعدم الانصياع لها.

5- ممارسة الاحتلال الإسرائيلي أبشع أنواع الظلم والتعذيب بحق الأسرى ، دون مسألة قانونية دولية ، انتهاكات لجميع حقوق الأسرى الانسانية ، والحاق الضرر بهم صحياً نفسياً وجسدياً.

6- ارتكاب الاحتلال الإسرائيلي جرائم بحق الأطفال والنساء والمدنيين الفلسطينيين، بأسرهم وتعذيبهم وقتلهم.

7- إن إسرائيل اليوم تستخدم تحالفها المفروغ منه مع الولايات المتحدة وبالأحرى الدعم المطلق من الأخيرة، وتواطؤ الكتل الكبرى وبالذات الاتحاد الأوروبي، في منع اتخاذ إجراءات فعلية ضدها، لتجنب معاقبتها أو مقاطعتها. كما تستفيد من بعد آخر وهو الضعف العربي ومن ضمنه.

8- ما من شكّ بوجود طاقات كبيرة وجديّة تبذل شعبياً ورسمياً، ونتاج هذه الجهود هو إبقاء الموضوع على جدول أعمال المجتمع الفلسطيني وتحوّله إلى جزء أساسي في ثقافة المقاومة والصمود والحرية المتجذِّرة في ضمير الشعب الفلسطيني.

9- احتمال إتمام صفقة تبادل أسرى بين الاحتلال الإسرائيلي والمقاومة الفلسطينية، إذ يسعى كل طرف إلى أن يحصل على مكاسب كبيرة من تلك الصفقة تحقق أهدافا يريدها كل منهما. ولكن تكمن مشكلة إسرائيل ليست في عدد الأسرى الفلسطينيين الذين سيفرج عنهم، وإنما المشكلة في النوعية.

ثانياً: التوصيات

توصلت الدراسة إلى العديد من التوصيات أهمها:

1- ضرورة تكثيف الدراسات حول ملف الأسرى ، التي قد تساهم بشكل إيجابي لحل قضيتهم .

2- لابد من تنظيم مؤتمر علمي سنوياً يكون خاص بقضية الأسرى الفلسطينيين ، ويكون بحضور الباحثون ومؤسسات حقوق الإنسان والسياسيون والكوادر العلمية المتخصصة ، ويكون مفتوح على المستوى الإقليمي والدولي ، ليعالج قضية الأسرى ومتابعة كل ما هو مستجد عليها ، ويلم القضية من جميع جوانبها ، والمتابعة باستمرار لإيجاد الحل لها.

3- ضرورة إشراك الأسرى المحررين في صنع القرارات الخاصة بالأسرى، خصوصاً في صفقات لتبادل، واحتياجات الأسرى.

4- العمل الجاد على الوعي الأمني في المجتمع الفلسطيني، وخاصة المقاومين الثائرين الفلسطينيين لعدم وقوعهم في الأسر الإسرائيلي، وبذلك يقلل من نسبة الأسرى الفلسطينيين لدى إسرائيل.

5- المطالبة في الجهات المسؤولة من المؤسسات والتنظيمات والأحزاب الفلسطينية القيام بدورها والواجب عليها بشكل أكثر فاعلية ، تجاه أهلي الأسرى وعائلاتهم ، لترك الأثر الإيجابي في نفوسهم ، وتعزيز صمودهم أمام المحتل المتغطرس.

6- وضع ملف الأسرى على سلم أولويات الملفات التفاوض مع الاحتلال الإسرائيلي ، والمطالبة بالمجتمع الدولي تنفيذ القرارات التي صدرت بحق الأسرى .

7- تكثيف العمل في داخل فلسطين والحافل الإقليمية و الدولية لتحرير الأسرى، وجعل ملفهم ضمن المخطط الوطني والحزبي بشكل أساسي.

8- في تنظيم أنشطة وفعاليات لدعم قضية الأسرى خارج فلسكين نجد أن التفاعل من الجاليات الفلسطينية المنتشرة في العالم هو مستوى متدني حتى هذه اللحظة ولا يرتقي لحجم المعاناة والتضحيات التي قدمها هؤلاء الأسرى

المراجع

المقابلات الشخصية

1- أبو غبن، جهاد (الأسير المحرر ضمن صفقة شاليط عام 2011م منسق شؤون الأسرى بحركة فتح في غزة) 2021/06/22.

2- السلماني، مصطفى (الباحث الأسير المحرر ضمن صفقة شاليط عام 2011م من الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين) 2021/06/21.

3- عليان، جميل (القيادي في الجهاد ومسئول دائرة الاسرى والشهداء بتاريخ عبر الواتس)، 2021/06/25.

4- الفليت، أحمد (الأسير المحرر ضمن صفقة شاليط عام 2011م من مدير مركز نفخة لدراسات الأسرى والشؤون الإسرائيلية)، 2021/6/26

5- الكعي، علام (الأسير المحرر من مدينة نابلس ومبعد لغزة ضمن صفقة الأحرار عام 2011 وعضو اللجنة المركزية في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وكدير مركز حنضلة للأسرى والمحررين) 2021/06/22

الكتب العربية

1- حمدونة ، خليل ، رأفت ، (2018):" الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في الفترة مابين 1985 إلى 2015) دراسة بحثية ، وزارة الإعلام

2- صالح ، محمد ، محسن ،(2015) :" السلطة الوطنية الفلسطينية : دراسات في التجربة والأداء 1994-2013 ، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ، بيروت ، لبنان.
3- صالح ، محمد ، محسن ، (2016):" التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2014-2015"، مركز الزيتون للدراسات والاستشارات ، بيروت ، لبنان .
4- صالح ، محمد ، محسن ،(2012):"التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2011 "، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ، بيروت لبنان ،
5- المدلل وليد ، أبو عامر عدنان ،(2013) :" دراسات في القضية الفلسطينية "، جامعة الأمة للتعليم المفتوح، غزة ، فسطين .

التقارير

1- هيئة شؤون الأسرى والمحررين ونادي الأسير الفلسطيني والجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني يصدرون بياناً صحفياً عشية يوم الأسير الفلسطيني الذي يصادف السابع عشر من نيسان ،(2017).
2- قسم الأرشيف والمعلومات،(2012) :" تقرير معلومات (22) : شاليط من عملية " الوهم المتبدد" إلى صفقة " وفاء الأحرار "، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت ، لبنان .
3- أرشيف نشرة فلسطين اليوم : حزيران / يونيو (2019):" اشتية : السلطة تواجه خطر الإفلاس والانهيار "مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ، بيروت لبنان .
4- أرشيف نشرة فلسطين اليوم : أيار /مايو ،(2019) :" الحية : إذا كانت المصالحة متعثرة فمن المهم أن نتفق بالحد الأدنى على مواجهة " صفقة القرن " ، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ، بيروت ، لبنان

الرسائل العلمية

1- أبو ريان ، محمود ، نهاية ، (2014) :" التغير في البناء الاجتماعي للأسرى السياسيين في السجون الاسرائيلية بعد عام 2000 "، كلية الدراسات العليا الآداب ، جامعة بير زيت ، فلسطين .
2- زياد ، موسى عيد، زياد ،(2012):" تأثير حقبة أوسلو على وحدة وانجازات الحركة الأسيرة في السجون الإسرائيلية 1993-2012"، عمادة الدراسات العليا ، جامعة القدس ، القدس ، فلسطين.
3- عودة ، موسى رضا ، منتهي ،(2013):" المؤسسات الفلسطينية العاملة على خدمة الأسرى الفلسطينيين المحررين " تقييم الأسرى المحررين "، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين .

المجلات والدوريات

1- مخول، أمير(2018)، تدويل قضية الأسرى- يبدأ من فلسطين، المركز الفلسطيني بديل، جريدة حق العودة، العدد-46، https://www.badil.org.

المو اقع الإلكترونية

1- هيئة التحرير ، (2019):" ثمانية أعوام على ذكرى صفقة " وفاء الأحرار "، غزة – القدس الإخبارية ، https://qudsn.net/post/169901.
2- مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان ،(2012):" الحركة الأسيرة الفلسطينية وإضراب " النصر أو الموت " 17 نيسان – 14 أيار، .https://www.addameer.org/ar/news
3- مركز الأمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ،(2019):" حياة الأسرى الفلسطينيين في سجن الاحتلال رحلات عذاب بنهايات غير سعيدة "، https://www.ecssr.ae/reports_analysis
4- الموقع الرسمي لمنظمة التحرير،(2020) :" اللاجئون في "صفقة القرن " والقرارات الدولية "، http://www.plo.ps/article/52152/
5- قاعود ، يحي ، تقدير موقف :"صفقة القرن ... بين التأجيل الرسمي والتنفيذي الفعلي "، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية – مسارات . https://www.masarat.ps/article/4922
6- موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية ،(2011):"جلعاد شاليط المحرر عاد إلى إسرائيل"، https://mfa.gov.il/MFAAR/TheGovernment/AnnouncementsAndStatements/2011/Pages/The-Government-approved-the-agreement-for-the-release-of-Gilad-Shalit-11102011.aspx
7- أبو سمرة ، قيس،(2015):"الاعتقال الإداري ... ما روثه الاحتلال الإسرائيلي عن الانتداب البريطاني (إنفوغرافيك)"، رام الله ،الأناضول ، https://www.aa.com.tr/ar/archive
8- أبو سمرة ،قيس ،(2020) :" الأسير الفلسطيني .. حقائق وأرقام (إطار)" ، في 17إبرايل في العام 1974 ، أقر المجلس الوطني الفلسطيني ، خلال دورته العادية ، ذلك التاريخ ، يوماًوطنياً للوفاء " للأسرى الفلسطينيين " داخل السجون الإسرائيلية ، رام الله ، الأناضول ، https://www.aa.com.tr/ar/1806717.
9- هيئة شؤون الأسرى والمحررين ،(2019):"واقع الأسرى الفلسطينيين وظروفهم الحياتية الصعبة في سجون الإحتلال الإسرائيلي (نهاية العام 2018 – 31/ أيار 2019) ،http://cda.gov.ps/index.php/ar/ar-prisoner-movement-2/2017-06-01-06-53-33/6913-2018-31-2019
10- العربي الجديد ،(2021):"226 أسيراً فلسطينياً استشهدوا في سجون الاحتلال منذ عام 1967"، رام الله ، العربي الجديد ، https://www.alaraby.co.uk/society/226-1967.
11- وكالة الانباء والمعلومات الفلسطينية ،(2015):" هيئة الأسر : الأسرى المعزولون يعيشون أوضاعاً في غاية الصعوبة "، رام الله ، وفا ، https://www.wafa.ps/ar_page.aspx?id=ph1DmEa659960758248aph1DmE

12- قبعة ، كمال:" الوضع القانوني لأسرى المقاومة الفلسطينية " ، شؤون فلسطينية ، العدد 252 ، منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث ،https://www.prc.ps .
13- فروانة ، عوني عبد الناصر ،(2016):" الأسرى الفلسطينيون .. قضية وطن وحكاية شعب "، الجزيرة ، https://www.aljazeera.net/opinions/2016/4/17
14- الوادية ، محمود ، مجد،(2018):" الموقف الدولي من الانتهاكات الإسرائيلية من الأسرى . الفلسطينيين "، مؤسسة رواسي فلسطين ، https://rawasi.ps
15- الريماوي ، معن ، (2020):" الأسرى .. تاريخ وقرارات دولية "، وكالة وفا الانباء والمعلومات الفلسطينية ، رام الله ،http://wafa.ps/ar_page.aspx?id=6qzzuya869829908772a6qzzuy
16- وكالة الانباء والمعلومات الفلسطينية :" الأسرى الفلسطينيون في حرب 1967"، وفا https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=7659
17- وكالة الانباء والمعلومات الفلسطينية ": عمليات تبادل الأسرى "، وفا ، https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=4004
18- دقة ، وليد ،(2012):" المساعدة القانونية للأسرى في سجون الاحتلال" ، الضمير ، مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان ،رام الله ، https://www.addameer.org/ar/advocacy/briefings_papers
19- الشرفا، شادي (2018)، اتفاق أوسلو منعطفات في مسيرة الأسرى الفلسطينيين، الهدف، 2018، https://hadfnews.ps/post.
20- الفلسطينيون يتعهدون تحرير أسراهم في إسرائيل، الشرق الأوسط، 2021/4/18، العدد 15482، https://aawsat.com.
21- الوادية، مجد محمود (2018)، الموقف الدولي من الانتهاكات الإسرائيلية من الأسرى . الفلسطينيين، رواسي، 2018/9/22، https://rawasi.ps.
22- الجاليات الفلسطينية تقود حراكا متواصلا دعما للأسرى المضربين في سجون الاحتلال، منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة شؤون المغتربين، http://www.pead.ps.
23- مهجة القدس: المقاومة مطالبة في يوم الأسير ببذل كل جهودها لإنهاء معاناة الأسرى، فلسطين اليوم، 2021/4/17، https://paltoday.ps.
24- الأفندي، عدنان ومسحل، عوض و صلاح، هنادي وعودة، يوسف (2018-2019)، نحو سياسات لدعم قضية الأسرى، مركز مسارات، https://www.masarat.ps.

25- هؤلاء الأسرى يخشى الاحتلال الإفراج عنهم في أي صفقة تبادل مع المقاومة، الحزيرة نت، 2021/6/2، https://www.aljazeera.net.

26- أبو رزق، محمد، صفقة التبادل تقترب بين "حماس" و"إسرائيل".. من هي الأطراف الفاعلة؟، الخليج أونلاين، 2021/6/2، https://alkhaleejonline.net

27- مسؤول سابق أشرف على صفقة شاليط يرى 'احتمالا حقيقيا' في تحقيق صفقة مع حماس، THE TIMES OF ISRAEL، 2020/5/6، https://ar.timesofisrael.com.

الظروف العامة لحملة القائد القرطاجي حنبعل على روما

سفيان البوخاري
جامعة إبن طفيل ـ القنيطرة ـ المغرب

ملخص:

تتسم المصادر الأدبية الكلاسيكية التي تناولت تاريخ الصراع بين قرطاج وروما بالتنوع، وتغطي معظم وقائع الحروب الثلاثة التي دارت بين الجانبين لما يقارب قرناً من الزمن، والتي سميت بالحروب البونية (Bellum Punicum). انطلقت أطوار الحرب البونية الثانية (Secundum Bellum Punicum). التي تهمنا في هذا البحث من جنوب إسبانيا، سنة 218 ق.م، وانتهت بإفريقيا حوالي 202 ق.م. ويُعّد حدث عبور القائد القرطاجي حنبعل لجبال الألب إحدى أهم أحداث هذه الحرب. وهو الحدث الذي أشارت إليه العديد من المصادر الإغريقية واللاتينية، كما يتجلى في النصوص التي وردت عند المؤرخين والخطباء والشعراء. كما وفرت الأبحاث الأثرية معطيات مهمة عن هذا الحدث التاريخي الهام مثل النقوش والمسكوكات وغيرها.

كلمات مفتاحية: قرطاج، روما، حنبعل، الحرب البونية الثانية، جبال الألب، جنوب إسبانيا

General conditions of the campaign of the Carthaginian leader Hannibal on Rom

ABSTRACT:

The classical literary sources that dealt with the history of the conflict between Carthage and Rome are diverse, and cover most of the events of the three wars that took place between the two sides for nearly a century, called the Bellum Punicum. The Second Punic War (Bellum Punicum Secundum) began. The ones that interest us in this research came from southern Spain, in the year 218 BC, and ended in Africa around 202 BC. One of the most important events of this war is the crossing of the Carthaginian leader Hannibal into the Alps.This event was referred to by many Greek and Latin sources, as reflected in the texts received by historians, orators and poets. Archaeological research has also provided important data about this important historical event, such as inscriptions, coins, and others.

Keywords: Carthage, Rome, Hannibal, Second Punic War, Alps, Southern Spain.

مقدمة:

تم التطرق لقرطاج باعتبارها طرفاً عسكرياً، في شخص ممثلها القائد القرطاجي حنبعل برقا (Hannibal Barca) أثناء مواجهته لروما خلال عبوره بجيوشه وفيلته لجبال الألب خلال الحرب البونية الثانية (218-202 ق.م) من قبل العديد من الكتابات التاريخية، وبشكل غزير ولا يستهان به. وقد انصب اهتمام المؤرخين القدامى، من اللاتينيين والإغريق، كل من زاويته ومن وجهة نظره، على إبراز أسباب ووقائع الحرب البونية الثانية (218-202 ق.م)، وعلى اجتياز حنبعل برقا لجبال الألب، من خلال تدوين وكتابة ما عاينوه وما رصدوه، كما عملوا على التطرق إلى ظروفه وأسبابه وحيثياته وملابساته ونتائجه.

ومن أبرز الكتاب القدامى الذين اهتموا بأحداث الحرب البونية الثانية المؤرخ الإغريقي ديودوروس الصقلي (Diodorus Siculus)، والمؤرخ اللاتيني تيتوس ليفيوس (Titus Livius)، والمؤرخ الإغريقي أبيانوس الإسكندري (Appianus Alexandrinus)، ثم المؤرخ الإغريقي بوليبيوس (Polybius). وكل هؤلاء المؤرخين القدامى، من الإغريق واللاتينيين، قدموا لنا الأحداث والوقائع التاريخية التي شهدها الصراع العسكري بين قرطاج وروما بشكل دقيق ومفصل. إضافة إلى ما ذكروه عن المعاهدات التي أبرمت بين قرطاج وروما، وخاصة حول حدث عبور حنبعل لجبال الألب أثناء الحرب البونية الثانية (218-202 ق.م). ويعد كتاب "التواريخ" (Les Histoires)للمؤرخ الإغريقي بوليبيوس بمثابة المصدر الأساسي لوقائع عبور حنبعل لجبال الألب، ولذلك اعتمدنا عليه بشكل كبير وأساسي في بحثنا هذا، من خلال ترجمة أهم فقرات الجزء الثالث منه، والتي ستكون قاعدة لمقاربتنا للمواضيع المثارة في هذه الدراسة[1].

سنسعى أولاً إلى أن نقتصر، على توضيح السياق التاريخي لعبور حنبعل لجبال الألب، بدءاً بذكر أسباب اندلاع الحرب البونية الثانية (218-202 ق.م) بين قرطاج وروما كنتيجة للصراع بين القوتين من أجل الهيمنة على مدينة ساغونتو (Sagonte) بإسبانيا، ومروراً بتتبع المسار الزمني والكرونولوجي للحرب البونية الثانية وعلى رصد وقائعها، ووصولاً إلى زحف حنبعل بجيوشه وعبوره جبال الألب وجبال البيريني متجهاً نحو روما.

ثم التعريف بشخصية المؤرخ الإغريقي بوليبيوس (Polybius) ومولده، ونشأته وتكوينه واهتماماته ومؤلفاته، وما هي أهم وأبرز المواضيع التي تناولها في عموم مؤلفاته، وخصوصا في كتابه "التواريخ"، و في الجزء الثالث منه على وجه التحديد، باعتباره مصدراً تاريخياً هاماً، عاصر مختلف الوقائع التاريخية لزحف وعبور حنبعل لجبال الألب، ورصد وصول جيوشه، المكونة من المحاربين المشاة، والفرسان النوميديين والفيلة، إلى سهل البو، تلك الوقائع التي تحدث عنها بوليبيوس بشكل دقيق ومفصل في الفقرات المترجمة من هذا الجزء من الكتاب.

[1] Polybe, Histoire générale. III,44-60.

ثم سنحاول التعريف بشخصية القائد القرطاجي حنبعل برقا، من خلال الحديث عن مولده ونشأته، وتتبع مساره وتكوينه العسكري ومعرفة مكانته العسكرية في الجيش القرطاجي، وبرصد علاقته بالبلاط القرطاجي، وبالكشف عن أسباب عدائه الشديد لروما وعن الخلفيات السياسية والتاريخية التي دفعت به إلى عبور جبال الألب، وبسرد انتصاراته على الجيوش الرومانية في المعارك التي خاضها ضد روما في جنوب إيطاليا.

وأخيراً، سنحاول التطرق إلى أهم المصادر التاريخية حول حملة حنبعل على روما وخاصة تلك التي تناولت الأحداث التاريخية المرتبطة بمجريات عبور حنبعل لجبال الألب.

إشكالية البحث:

ما الظروف العامة لحملة القائد القرطاجي حنبعل على روما ؟

وما السياق التاريخي لعبور القائد العسكري حنبعل لجبال الألب ؟

وما هي نتائج وتبعات عبور حنبعل لجبال الألب ؟

أهمية البحث :

تبرز في التعرف على الفترة التي ظهرت فيها حملة القائد القرطاجي حنبعل على روما، ثم التعريف بشخصية حنبعل من خلال التعرف على جوانب مهمة من حياته العسكرية.

أهداف البحث:

بيان أهم الظروف العامة لحملة القائد القرطاجي حنبعل على روما.

منهجية البحث:

التركيز على المنهج التاريخي لمعرفة السياق التاريخي لعبور القائد العسكري حنبعل لجبال الألب من خلال ما جاء في المصادر و المراجع التي تناولت الفترة و أشارت لموضوع حملة القائد القرطاجي حنبعل على روما من قريب أو بعيد.

حدود البحث :

يبدأ هذا البحث من تاريخ انطلاق أطوار الحرب البونية الثانية (Secundum Bellum Punicum). التي تهمنا في هذا البحث من جنوب إسبانيا، سنة 218 ق.م، وانتهت بإفريقيا حوالي 202 ق.م.

1- السياق التاريخي لعبور القائد العسكري حنبعل لجبال الألب

ترتبط أحداث عبور حنبعل لجبال الألب بمجريات الحرب البونية الثانية (218-202 ق.م). فقد عقد القائد القرطاجي حنبعل العزم على تنفيذ خطة تقضي بنقل الحرب إلى إيطاليا ومحاصرة روما. ولذلك تحرك بجيشه نحو شبه الجزيرة الإيطالية فكان عليه تجاوز الصعوبات الطبيعية للمجال الجغرافي الممتد بين جنوب إيبيريا وفرنسا وإيطاليا، ومن أهمها عبور جبال الألب واجتياز الأودية والأنهار للوصول إلى هدفه وهو مواجهة روما.

فبعد تأسيس قرطاجنة سنة 227 ق.م، عُقدت معاهدة " الإيبرو Ebro " سنة 221 ق.م، التي تعترف بموجبها روما بالسلطة القرطاجية على كل مناطق جنوب نهر الإيبرو. وبعد مقتل صدربعل برق Hasdrubal) (Barca سنة 220 ق.م، تولى حنبعل قيادة الجيش القرطاجي في إسبانيا، وكان استيلاؤه على مدينة ساغونتو (Sagonte) سبباً في اندلاع الحرب البونية الثانية[1].

ويرى بوليبيوس أن هناك ثلاثة أسباب رئيسية كانت الدافع وراء الحرب البونية الثانية: أولاً، حقد حميلكار برقا (Hamilcar Barca) على روما منذ أن أرغمته على تسليم صقلية فكرس بقية حياته للإنتقام من روما وأورث هذا الحق لمن أتوا من بعده، وثانياً غضب قرطاج من روما لسطوها على سردينيا وكورسيكا، وثالثاً النجاح الذي حققته قرطاج في إسبانيا[2].

كان إحتلال مدينة ساغونتو (Sagonte) سنة 219 ق.م، من طرف حنبعل بعد حصار دام ثمانية أشهر، بمثابة الشرارة التي أشعلت فتيل الحرب البونية الثانية. وحقيقة أن هذا الإحتلال جاء سلسلة من معارك التي خاضها حنبعل في إسبانيا، بالإضافة إلى أن هذه الإنتصارات جعلت الإيطاليين يتضايقون من استيلاء حنبعل على مناجم الفضة. فكانوا بذلك وراء إشهار روما الحرب سنة 218 ق.م، بعد رفض الشيوخ القرطاجيين وضع حد لتصرفات حنبعل[3].

وصلتنا قصة تجدد الحرب الثانية بين روما وقرطاج عبر ما كتبه المؤرخ الإغريقي بوليبيوس (Polybe, Histoire générale, III,33)[4]، ومن خلال ما جاء كذلك عند المؤرخ اللاتيني تيتوس ليفيوس (Tite-Live, Histoire romaine, XXI,18)[5]. حيث تحدثوا عن أخر لقاء جرى بين وفد روماني والدولة القرطاجية سنة 218 ق.م، إذ كان هذا الوفد يأمل بلوغ مراده، فقد طالب هذا الوفد المؤلف من خمسة أعضاء بتسليم حنبعل ومستشاريه إلى روما. غير أن القرطاجيين ذكروهم أن معاهدة 241 ق.م، التي إرتبطت بها الدولتان لم تذكر أبداً مدينة ساغونتو[6].

---

[1] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992، ص. 62.

[2] أبو بكر سرحان، " الحروب البونية بين روما وقرطاجة (264- 146 ق.م) أسبابها-أحداثها-نتائجها وموقف الممالك الأهلية المغربية منها "، **مجلة الدراسات الإفريقية**، جامعة القاهرة، العدد 35، 2013، ص ص. 101-120، ص. 108.

[3] محمد الهادي حارش، " حملة حنبعل على إيطاليا "، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد 6، الجزائر، 1992، ص ص. 51 - 59، ص. 51.

[4] Polybe, Histoire générale, III,33.

[5] Tite-Live, Histoire romaine, XXI,18.

[6] فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ترجمة: عز الدين أحمد عزو، الطبعة الأولى، دمشق، 1994، ص. 181.

ولما علمت روما بهجوم حنبعل على ساغونتو المخالف للعهود والمواثيق بين قرطاج وروما، أرسلت بعض أعضاء مجلس الشيوخ الروماني إلى حنبعل، وكان من ضمنهم فابيوس ماكسيموس (Fabius Maximus). فلم يصغ حنبعل لطلباته فقال له فابيوس: « إني أعرض السلم والحرب عليك فإختر أيهما يحلو لديك، فأجابه حنبعل: إن الإثنين عندي سواء، فاختر أنت ما تريد فقال فابيوس: الحرب الحرب، وعاد هو ومن معه وكان ذلك هو سبب الحرب البونية الثانية والتي استمرت ثمان عشرة سنة »[1].

وهكذا اندلعت الحرب بين الفريقين واتخذ كل منهما إتجاهاً مختلفاً في عملياته العسكرية، حيث أراد حنبعل أن يجعل حربه برية في أساسها، ويغزو شمال إيطاليا ثم يتوغل فيها جنوباً، بمساعدة القبائل الغالية في شمال إيطاليا[2].

وابتداء من سنة 218 ق.م، بدأ حنبعل في نقل الحرب إلى الأراضي الإيطالية، آخذاً بأعداد الجيوش المدربة، بالإضافة إلى جنوده الأوفياء من المشاة والفرسان الذين شاركوه معاركه في إسبانيا. وتمكن من تجنيد العديد من رجال القبائل الإسبانية عاقداً العزم على مواجهة الرومان.

وقد إستطاع حنبعل من اجتياز الموانع الطبيعية، المثمثلة في سلسلة جبال البيريني المتواجدة على الحدود الإسبانية الفرنسية، سائراً بمحاذاة نهر الرون ليجتياز جبال الألب الواقعة شمال إيطاليا. ليبدأ أعماله العسكرية نحو جبال الألب بجيشه وفيلته داخل شبه الجزيرة الإيطالية[3].

وتمكن حنبعل من اجتياز نهر الإيبرو، على رأس قوات تضم الأفارقة والإسبان، وحسب ما جاء عند بوليبيوس، تكون جيشه من تسعين ألفاً "90.000" من المشاة، واثني عشر ألفاً "12.000" من الفرسان، وسبعة وثلاثين "37" فيلاً [4].

وفي أبريل سنة 218 ق.م، انطلق حنبعل وعبر جبال البيريني في شهر يونيو، ونهر الرون في شهر أغسطس، وجبال الألب في شهر سبتمبر. وكان حنبعل قد عبر بجيش مكون من عشرين ألفاً "20.000" من المشاة، وسبعة آلاف "7.000" من الفرسان، وواحد وعشرين "21" فيلاً، عبروا كلهم حدود جبال الألب قبل دخول إيطاليا[5].

---

[1] محمد فريد، تاريخ الرومانيين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، الطبعة الأولى، 2014، ص. 94.

[2] محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية بيروت، 1981، ص. 88 .

[3] عبد المجيد صالح المغربي، " إنحسار نفوذ قرطاجة في غرب البحر الأبيض المتوسط منذ أواخر القرن السادس قبل الميلاد "، **مجلة الأكاديمية للعلوم الإنسانية والإجتماعية**، العدد 6، يوليوز 2014، ص ص. 164 - 178، ص. 174.

[4] محمد الهادي حارش، " حملة حنبعل على إيطاليا "، مرجع سابق، ص ص. 51 - 59 ، ص. 52.

[5] Emmanuel davin, " le passage des alpes par hannibal ", **BAGB**, n°3, octobre 1958, pp. 65-80, p. 65.

2 - المؤرخ بوليبيوس ورواية أحداث عبور حنبعل لجبال الألب 218 - 202 ق.م

تتميز المصادر التاريخية عن الحرب البونية الثانية، وخاصة أحداث وظروف عبور حنبعل لجبال الألب، بالتنوع، ويأتي بوليبيوس (Polybius) في مقدمة الكتّاب القدامى الذين أرّخوا الحرب البونية الثانية بشكل عام، ولوقائع عبور حنبعل لجبال الألب بشكل خاص. وقد وردت الإشارة إلى هذه الوقائع في الكتاب الثالث. كما نجد بعض الفقرات عن أحداث الحرب البونية الثانية ومنها اجتياز حنبعل لجبال الألب عند ديودوروس الصقلي في الكتب 25-27، وتيتوس ليفيوس في الكتب 21-30، وأبيانوس الإسكندري في الأقسام المتعلقة منه بحملة حنبعل وأحداث إسبانيا وإفريقيا. إضافة إلى فقرات وردت عند ديون كاسيوس (Dion Cassius)[1].

لكن ما يهمنا في هذا الصدد، هو المؤرخ الإغريقي بوليبيوس الذي اعتمدنا عليه كمصدر تاريخي تحدث عن عبور حنبعل لجبال الألب. ويعد بوليبيوس من مؤرخي الإغريق الكبار، ويعتبر مصدراً رئيسياً، وإن كان هناك من يرى أنه يأتي في المرتبة الثانية بعد توكيديدس الأثيني[2].

[1] أصطيفان اكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، الجزء الثالث، التاريخ العسكري لقرطاجة، ترجمة: محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 2007، ص. 130.

[2] عبد اللطيف أحمد علي، مصادر التاريخ الروماني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1970، ص. 55.

شكل رقم (1): صورة للمؤرخ الإغريقي بوليبيوس (Polybius) (200 ق.م - 120 ق.م) من المتحف الوطني للحضارة الرومانية، روما، إيطاليا.

المصدر:

Dexter Hoyos, Mastering the West: Rome and Carthage at War (Ancient Warfare and Civilization), Oxford University press, Edition 1, 2015, p 92.

ولد بوليبيوس في ميجالوبوليس جنوب بلاد الإغريق وعاش في الفترة الممتدة بين (200 ق.م- 120 ق.م)، ويعتبر تاريخه أوثق مصدر كُتِبَ عن تاريخ الجمهورية الرومانية الرومانية منذ أوائل الحرب البونية الثانية حتى منتصف القرن الثاني ق.م[1].

وانخرط بوليبيوس في السياسة مبكراً، وتمَّ نقله رهينة إلى روما مع ألف إغريقي من بني وطنه. حيث أمضى فيها عدة سنوات، درس أثناءها أخلاق الرومان ونظمهم، وتعرف على أقطابهم، وفي مقدمتهم لوسيوس أيميليوس باولوس، وسكيبيو إميليانوس، وأعضاء حلقة سكيبيو الأدبية، الذين شجعوه على كتابة التاريخ.

كتب بوليبيوس تاريخاً جامعاً في أربعين كتاباً، معالجاً فيه الفترة من 220 ق.م إلى 144 ق.م. وقد وصلتنا الكتب الخمسة الأولى كاملة، أما الكتب المتبقية من (6 إلى 40) فقد وصلت مبتورة في شكل شذرات، فضلاً عن بعض المقتطفات التي وردت في مؤلفات تيتوس ليفيوس وديودوروس الصقلي وأبيانوس الإسكندري وبلوتارخوس[2].

ويأتي تاريخ بوليبيوس في مقدمة المصادر الإغريقية التي تناولت جزءاً كبيراً من تاريخ الجمهورية الرومانية، كما أورد ضمن "تواريخه" أخباراً عن قرطاج والقرطاجيين خلال الحروب البونية، وعن العلاقة بين روما وقرطاج[3].

وعلى الرغم من الدقة التي يتميز بها بوليبيوس، إلا أنه يجب ألا يغيب عن ذهن الباحث في التاريخ تحيُّزه السياسي، كصديق لسكيبيو الإفريقي (Scipio Africanus)، عدو قرطاج[4]. ففي تأريخهم للحرب حتى الفناء بين قرطاج وروما، كانت أراءُ المؤرخين الإغريق واللاتينيين تنضح حقداً، وظلّوا بعيدين عن التناول الموضوعي للوقائع، حيث كانوا مدفوعين بالحماسة السياسية والمصلحة الفردية. وبلغ بهم ذلك حد الجنون، وليس المؤرخ بوليبيوس إلّا مثالاً منهم[5].

كان لعائلة بوليبيوس مهام سياسية وعسكرية مهمة عند الإغريق، فقد تولى بوليبيوس منصب قائد الخيالة، لكن هزيمة بيدنا (Pydna) سنة 168 ق.م التي تمثل نهاية ما يعرف بالحرب المقدونية الثالثة أدت إلى سقوط مقدونيا. فنقل حوالي ألف أسير إغريقي إلى روما حسب ما تذكره المصادر، وكان بوليبيوس من

---

[1] أحمد السليماني، "دراسة نقدية للمصادر والآثار والأصول"، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد 6، الجزائر، 1992، ص ص. 15 -43، ص. 23.

[2] المرجع نفسه، ص. 24.

[3] عبد العزيز عبد الفتاح حجازي، روما وأفريقيا من نهاية الحرب البونية الثانية إلى عصر الإمبراطور أغسطس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، 2007، ص. 11.

[4] المرجع نفسه، ص. 12.

[5] شوقي خير الله، قرطاجة العروبة الأولى في المغرب، مركز الدراسات العلمية والمركز العلمي، الطبعة الأولى، 1992، ص. 132.

ضمنهم، وقد أسعفه الإرتباط بعائلة سكيبيو (Les Scipions) ذات النفوذ السياسي والعسكري المهمين، حيث تولى تكوين سكيبيو إميليان (Scipion Emilien)، الذي صار بمثابة حاميه، واتخذه مستشاراً له. فانصبّ اهتمامه على كتابة تاريخ روما واختار لذلك مرحلة ما بين 220 و168 ق.م، أي المرحلة الممتدة من الحرب الثانية بين روما وقرطاج وحرب مقدونيا الثالثة التي تمكنت فيها روما من تأكيد هيمنتها على أهم قوى البحر المتوسط[1].

أهلته خبرته السياسية والعسكرية الواسعة وسهولة رجوعه إلى السجلات الرسمية والتاريخية في بلاد الإغريق وروما ليحمل صفة المؤرخ، فضلاً عن معرفته الوثيقة بالشخصيات والأحداث الجارية، وقد استرشد بالمؤرخين اللاتينيين فابيوس بكتور وفيلينوس الصقلي، في تأريخه للحرب البونية الأولى، كما استعان بمؤرخي طبقة مجلس الشيوخ في تأريخه للحرب البونية الثانية وأحداث الحوض الغربي من البحر المتوسط خلال القرن الثاني ق.م. وأما عن شؤون بلاد الإغريق في العصر الهيلنستي، فقد اهتدى في وصفها بالروايات الآخية ومذكرات أراتوس زعيم سكيبيون[2].

ويعد بوليبيوس مؤرخا فريداً بين المؤرخين القدامى، فقد وصفه العلامة الألماني "مومسن" بأنه الشمس الساطعة في حقل التاريخ الروماني، لأنه لم يهدف إلى إنتاج مؤلف ذي صبغة أدبية، حيث استبعد الصور البلاغية والأساليب الفنية للمسرحيات التراجيدية، ولم يدمج في تاريخه إلا عدداً قليلاً من الخطب. كما عالج مادته التاريخية بطريقة علمية لا نلتقي بمثلها في ميدان التاريخ حتى القرن التاسع عشر الميلادي. وحلّل أسباب الأحداث السياسية تحليلاً موضوعياً يدل على نظرته الواقعية وخبرته العسكرية، وإلمامه بجغرافية الأقاليم وتخطيط البلدان واعتقاده بوحدة التاريخ المتكاملة[3].

ويرى بوليبيوس أن لعلم التاريخ ثلاثة عناصر أساسية: أولها دراسة الوثائق التاريخية، والثاني هو معرفة الجغرافيا الطبيعية والسياسية عن طريق الملاحظة الشخصية، أي السفر والتجوال للوقوف بوجه خاص على موارد كل إقليم وإمكاناته. وثالثها الإلمام بالعلوم السياسية والعسكرية وبالتجربة العلمية. وهذه العناصر ليست إلا وسائل لتحقيق غاية واحدة، وهي إثبات الحقيقة التي هي فضيلة التاريخ الأولى وميزته الجوهرية[4].

---

[1] الشاذلي بورونية، محمد طاهر، قرطاج البونية: تاريخ حضارة، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999، ص. 27.

[2] عبد اللطيف أحمد علي، مصادر التاريخ الروماني، مرجع سابق، 1970، ص. 56.

[3] المرجع نفسه، ص. 58.

[4] المرجع نفسه، ص. 59.

وتجدر الإشارة، إلى أن التاريخ عند بوليبيوس له وظيفتان اثنتان: أولهما تدريب رجال الدولة، وثانيهما تعليم القارئ العادي كيف يواجه المصائب. فقد كان هدفه الرئيسي من كتابة التاريخ تعليمياً، من خلال عرض الوقائع المعاصرة والأحداث كما وقعت، أي كتابة التاريخ الحقيقي، مع تحليل أسباب وعلة حدوثها[1].

على وجه العموم، يمكن القول إن المؤرخ بوليبيوس كان أحد معاصري الأحداث المصيرية التي شهدها تاريخ روما القديمة، لأنه عاش وشاهد نتائج الحرب البونية الثانية والتغيرات التي تمخضت عنها، واستطاعت أن تقف أمام توسع روما، إلا أنه مع مطلع القرن الثاني ق.م وبالتحديد سنة 202 ق.م، استطاع قائد الجيوش الرومانية سكيبيو الإفريقي (Scipio Africanus) أن يهزم حنبعل في موقعة زاما (Zama)، وتمكّن بذلك من تأكيد سيادة روما في البحر المتوسط[2].

ويعتبر بوليبيوس المصدر الأساسي لأحداث عبور حنبعل لجبال الألب، حيث خصص العديد من الفقرات والنصوص في كتابه الثالث لظروف ذلك العبور، وتطرّق لأهم الإكراهات التي واجهت حنبعل عند اجتيازه جبال الألب وللمعارك التي خاضها بالإضافة إلى الحديث عن مكونات جيشه الحربية.

3 - جوانب من تاريخ حنبعل ومساره العسكري

اختلفت الدراسات التاريخية التي تحدثت عن شخصية القائد القرطاجي حنبعل برقا (Hannibal Barca) وتنوعت، فقد أشير إليها في المصادر الكلاسيكية للمؤرخين والرحالة الإغريق واللاتينيين، إضافة إلى ما جاء في الدراسات والأبحاث العربية والأجنبية الحديثة والمعاصرة .

ولا تخفى شخصية حنبعل (247 ق.م - 182 ق.م) على الذين صنفوا كتباً حوله، حيث استقوا معلوماتهم من مصادر تاريخية إغريقية ولاتينية، ومن بينهم المؤرخ الإغريقي بوليبيوس، والمؤرخ اللاتيني تيتوس ليفيوس وكورنيليوس نيبوس (Cornelius Nepos) أيضاً، الذي تحدث عن عبد ملقرط (حميلكار برقا) وابنه حنبعل في كتابه حول الشخصيات المجيدة وهذه المصادر تعتبر مصادر أدبية[3].

كما أن بعض الكتاب الإغريق أمثال أماخوس (Eumachos)، وكسينفون (Xénophon)، وخيرياس (Chairéas)، وسيلنوس (Silénos)، وسوسلوس (Sosylos) قد روا تاريخ حنبعل. ولم يصلنا من ذلك سوى بعض الإشارات في المصادر الأدبية.

---

[1] محمود إبراهيم السعدني، حضارة الرومان منذ نشأة روما وحتى نهاية القرن الأول ميلادي، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1998، ص. 33.

[2] محمود إبراهيم السعدني، معالم تاريخ روما القديم منذ نشأتها وحتى نهاية القرن الأول ميلادي، دار نهضة الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997، ص. 28.

[3] تونس أعلام ومعالم، مؤلف جماعي، إشراف: عبد العزيز الدولايلي، الوكالة القومية للتراث والمعهد الوطني للتراث، طبعة مارس، 1997، ص. 83.

وكان هذان الأخيران يصاحبان القائد القرطاجي حنبعل، ولم يكتبا عن أعماله الباهرة فحسب، بل رويا بعض الوقائع التي لم يحضرا فيها، أما خيرياس، فيبدو أنه كان معاصراً لحنبعل[1].

ولد حنبعل عام 247 ق.م، أي قبل ست سنوات من انتهاء الحرب البونية الأولى. وكان الابن البكر لحميلكار برقا (Hamilcar Barca)، وبرقا تدل على اسم لعائلة بارزة من عائلات قرطاج. وتعني الصاعقة بالفينيقية وتعود بنسبها إلى الملكة إليسا ديدو (Dido) المؤسسة الأسطورية لمدينة قرطاج[2].

شكل رقم (2): تمثال نصفي لحنبعل برقا (Hannibal Barca) من متحف نابولي الوطني للآثار بإيطاليا.

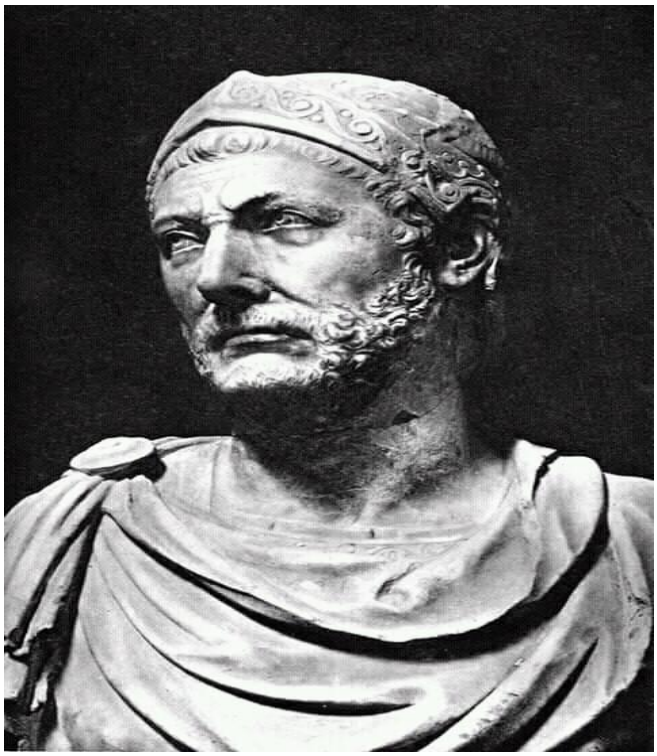

المصدر:

Dexter Hoyos, Mastering the West: Rome and Carthage at War (Ancient Warfare and Civilization), Oxford University press, Edition 1, 2015, p 98.

[1] أصطيفان اكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، الجزء الثالث، التاريخ العسكري لقرطاجة، مرجع سابق، ص. 131.

[2] العقيد محمد أسد الله صفا، هانيبال، دار النفائس، الطبعة الأولى، 1987، ص. 85.

أخذ حنبعل صفات وأخلاق والده حميلكار برقا، وهو لا زال صبياً، فكانت نفسه لا تصبو إلا إلى الحروب والكفاح. ولطالما ألح حنبعل على أبيه أن يأخذه معه إلى ساحة النزال، وأبى والده الانصياع لرغبته نظراً لصغر سنه، مشترطاً عليه أن يقسم له في الهيكل يميناً على معاداة روما. والسعي للإيقاع بها والقضاء عليها إلى الأبد، فأقسم حنبعل تلك اليمين التاريخية بحماس عظيم وكان سنه لا يتجاوز التسعة سنوات[1].

كما تحدث عنه بوليبيوس في الكتاب الثالث بعدة أوصاف وإشارات منها "الجنرال القرطاجي" و"سيد النصر"[2]. أما بالنسبة لحياته الزوجية، فقد كان حنبعل متزوجاً من الأميرة إميلكا (Himilce)، وكانت ابنة لأحد شيوخ القبائل الإسبانية. وربما كان ذلك الزواج بين حنبعل وإميلكا زواج حب أو زواجاً بدافع سياسي، أو كان الاثنين معاً[3].

أشار المؤرخ اللاتيني تيتوس ليفيوس إلى أن حنبعل برقا كان شديد الشبه بوالده حميلكار برقا، لا سيما في صفات وجهه وعيناه، ثم شجاعته في مواجهة روما. حيث لا يمكن للتعب أن يؤثر على جسده ونفسه، وكان مقاوماً للبرودة والحرارة، كما أن اللباس الذي كان يرتديه حنبعل كان يشبه لباس جنوده[4]. ويتفق معظم المؤرخين على أن حنبعل برقا كان إنساناً قوياً شديد المقاومة، لديه نظر حاد، إلا أنه لم يوصف وصفاً دقيقاً إلا بعد اكتشاف النقود الخاصة به، والتي حملت صورته الخاصة وضربت بإسبانيا ما بين 221-219 ق.م[5].

تميز حنبعل بكونه قائداً يتوالف مع جميع الظروف القتالية والحربية، إلا مع أمر واحد، وهو الحصار، حيث كان ينتقل من الهجومية الاقتحامية خلال سنواته الثلاث الأولى في إيطاليا، إلى الوضع الدفاعي العنيد خلال الثلاث عشرة سنة التي أمضاها في إيطاليا. وكان محنكاً حتى أنه كان يغير موقفه كما يشاء، بحسب تبدل ظروف الحرب والسياسة والتموين والمعنويات والطقس والقوة البحرية والتّحالفات السياسية في إيطاليا وقرطاج معاً[6].

---

[1] أحمد توفيق مدني، قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، طبعة، 1986، ص. 49 .

[2] Polybe, Histoire générale, III,44.

[3] العقيد محمد أسد الله صفا، هانيبال، مرجع سابق، ص. 86.

[4] Tite-Live, Histoire romaine, XXI,4,5 .

[5] سايح مرزوق أحمد، "حنبعل وإنتصاراته الأربعة في إيطاليا (218-216 ق.م) خلال الحرب البونية الثانية "، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، المجلد 5، العدد 12، ديسمبر2017،ص ص. 84-99، ص. 86.

[6] شوقي خير الله، قرطاجة العروبة الأولى في المغرب، مرجع سابق، ص. 189.

قدم المؤرخون القدامى حنبعل كشخص مستعد لتدمير روما، ويعزى إليه وحده سبب الحرب البونية الثانية. وما ترتب عليها من نتائج، وهنا تدخل مسؤولية الحرب التي تعوَّد الرومان على تقديمها بهدف تبرير دور روما[1].

ولا شك أن الحدث الأكثر أهمية في حياة حنبعل، هو القسم الذي أداه لوالده حميلكار برقا، من أجل تكريس حياته لمواجهة ومحاربة روما، حيث ساهم هذا الحدث في تكوين شخصية حنبعل القوية[2].

أما من حيث دلالة اسم "حنبعل"، فهو اسم فينيقي، وقد جرى تحريفه، فصار يعرف عالمياً بلفظة "هانيبال". وتعني لفظة "حنبعل" في اللغة الفينيقية شيئاً شبيهاً بمعنى "مختار الله" أو "عبد الله"[3].

أما عن مساره وتكوينه العسكري، فقد عُين حنبعل قائداً للجيش القرطاجي بإسبانيا خلفاً لصهره صدربعل برقا (Hasdrubal Barca) الذي توفي بجنوب إسبانيا سنة 220 ق.م. وواصل حنبعل طريقه في توسيع رقعة النفوذ القرطاجي في إسبانيا. ولإخماد ثورة من لم يعترف بقرطاج، أو يرفض حضورها، وهذا ما زاد من خوف الرومان من تلك السياسة التوسعية التي نهجها حنبعل، ودفعها إلى العمل على إيجاد وسيلة للتصدي لها، وجعل نهر الإيبرو حداً للنفوذ القرطاجي في إسبانيا. وقد وجد مجلس الشيوخ في روما ذريعة للتدخل في الشؤون البونية بإيبيريا لما استولى حنبعل على مدينة ساغونتو (Sagonte)[4].

فتولي حنبعل للقيادة العسكرية تم بعد اغتيال صدربعل مباشرة عام 220 ق.م، من قبل أتباع أحد زعماء القبائل، وعلى الفور تم إجتماع بين الضباط القرطاجيين في مجلس عام وأنتخب حنبعل بن حميلكار برقا قائداً عاماً للجيش خلفا لزوج أخته[5].

كان حنبعل يلقى ترحيبا وولاء من طرف جيشه، فقد كانت إسبانيا بالنسبة لقرطاج بمثابة أرض خصبة للتجنيد، ولم تقدم دلائل على وقوع حوادث تدل على نقص في الولاء والإخلاص لحنبعل من قبل جنوده الإسبان في إيطاليا[6]

---

[1] كريمة نور الدين، " عائلة آل برقة في قرطاجة بين مساعي الحرب ودعاة السلم "، **مجلة الباحث**، العدد 6، الجزائر، جوان، 2012، ص ص. 309-321، ص. 319.

[2] Adil Njim، "Hannibal l'ombre de son pére" **مجلة تنوير للعلوم الإنسانية والاجتماعية** ،

العدد 07، سبتمبر، 2018، ص ص. 488-496، ص. 492.

[3] العقيد محمد أسد الله صفا، هانيبال، مرجع سابق، ص. 20.

[4] تونس أعلام ومعالم، مؤلف جماعي، إشراف: عبد العزيز الدولايلي، مرجع سابق، ص. 84.

[5] العقيد محمد أسد الله صفا، هانيبال، مرجع سابق، ص. 84.

[6] المرجع نفسه، ص. 40.

وفيما يخص إبداعاته في المجال العسكري، يفيدنا تيودور مومسن عالم الآثار الألماني: بأن حنبعل تمتع بميزات خاصة به، حيث كان يحاول أن يدرس عادات عدوه قبل المعركة، وله جواسيس يرسلهم إلى روما ليزودوه بمعلومات ومشاريع الرومان، كما يتميز بصفات رجل دولة، ويظهر ذلك في تأثيره على مجلس الشيوخ في قرطاج[1].

فلما أنتخب حنبعل كثالث قائد للجيوش القرطاجية في إسبانيا بالإجماع، والذي أبان على قدرات وخبرة عسكرية كبيرتين. بالإضافة إلى مؤهلاته الحربية، فهو شاب في الخامسة والعشرين من عمره، لم ينتظر قرار الدولة القرطاجية ورفض حزب " ال حنون " قرار الجنود بشدة، مبررين ذلك في أنه: " لا يمكن تسليم الشؤون الحربية القرطاجية في إسبانيا لشاب صغير، فقرطاج بحاجة إلى شخص يطيع القوانين ويحترم القضاء، فنحن نخشى من شرارة وشجاعة حنبعل". ورغم أن هذا الطرح منطقي، ولكن الغلبة كانت للحزب الأكثر عدداً، لذلك وافق مجلس الشيوخ القرطاجي على قرار الجنود في تعيين حنبعل قائداً أعلى للقوات القرطاجية في إسبانيا[2].

خلاصة واستنتاج:

لقد شكلت الظروف العامة لحملة القائد القرطاجي حنبعل على روما حدثا تايخيا هاما بالنسبة لكل مهتم بالتاريخ القديم وخاصة تاريخ الحروب البونية بصفة عامة والحرب البونية الثانية بصفة خاصة ونستنتج مما سبق أن روما لم تأخد بعين الاعتبار عبقرية حنبعل العسكرية خلال بدايته في خطة الهجوم على روما، حيث اجتاز نهر الإيبرو ثم البيريني على رأس خمسين ألف "50.000" من المشاة، وتسعين ألف "90.000" من الفرسان، وسبعة وثلاثين "37" فيلاً في يونيو 218 ق.م. وتمكن بعدها من عبور نهر الرون في حوالي منتصف شهر غشت، وحاول أن يختار الطريق التي لم يشدد الرومان حراستهم عليها لاجتياز جبال الألب. مما يدل على حنكة وعبقرية حنبعل العسكرية في التخطيط والتكتيك الحربي.

---

[1] بلعيد حسن، حنبعل والحرب البونية الثانية (218-202 ق.م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، 2013، ص. 32.

[2] محمد الهادي حارش، نور الهدى ورنوغي، "سياسة " آل برقة " ما بين الحرب البونيقية الأولى والثانية "، **مجلة العلوم الإسلامية والحضارة**، العدد 8، الجزائر، 2018، ص ص. 585-603، ص. 597.

قائمة المصادروالمراجع (البيبليوغرافيا):

أولا: المصادر:

أ - المصادر باللغات الأجنبية:

- *Polybe, Histoire générale, Livre III, par félix bouchot, Tome premier, paris, Charpentier libraire-éditeur, 1847.*
- *Tite-Live, Histoire romaine, Livre XXI, avec la traduction en francais publieé sous la direction de M.Nisard, Tome I et II, paris, Firmin Didot, 1864.*

ثانيا: المراجع:

أ - باللغة العربية:

- أبو بكر سرحان، " الحروب البونية بين روما وقرطاجة (264-146 ق.م) أسبابها-أحداثها-نتائجها وموقف الممالك الأهلية المغربية منها "، **مجلة الدراسات الإفريقية**، جامعة القاهرة، العدد 35، 2013، ص ص. 101-120.
- أحمد السليماني، "دراسة نقدية للمصادر والآثار والأصول "، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد 6، الجزائر، 1992، ص ص. 15-43.
- أحمد توفيق مدني، قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، طبعة، 1986.
- أصطيفان اكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، الجزء الثالث، التاريخ العسكري لقرطاجة، ترجمة: محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 2007.
- تونس أعلام ومعالم، مؤلف جماعي، إشراف: عبد العزيز الدولايلي، الوكالة القومية للتراث والمعهد الوطني للتراث، طبعة مارس، 1997.
- سايح مرزوق أحمد، "حنبعل وإنتصاراته الأربعة في إيطاليا (218-216 ق.م) خلال الحرب البونية الثانية"، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، المجلد 5، العدد 12، ديسمبر2017، ص ص. 84-99.
- الشاذلي بورونية، محمد طاهر، قرطاج البونية: تاريخ حضارة، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999.
- شوقي خير الله، قرطاجة العروبة الأولى في المغرب، مركز الدراسات العلمية والمركز العلمي، الطبعة الأولى، 1992.

- عبد العزيز عبد الفتاح حجازي، روما وأفريقيا من نهاية الحرب البونية الثانية إلى عصر الإمبراطور أغسطس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، 2007.
- عبد اللطيف أحمد علي، مصادر التاريخ الروماني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1970.
- عبد المجيد صالح المغربي، " إنحسار نفوذ قرطاجة في غرب البحر الأبيض المتوسط منذ أواخر القرن السادس قبل الميلاد "، **مجلة الأكاديمية للعلوم الانسانية والإجتماعية**، العدد 6، يوليوز 2014، ص ص 164-178.
- العقيد محمد أسد الله صفا، هانيبال، دار النفائس، الطبعة الأولى، 1987.
- فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ترجمة: عز الدين أحمد عزو، الطبعة الأولى، دمشق، 1994.
- كريمة نور الدين، " عائلة آل برقة في قرطاجة بين مساعي الحرب ودعاة السلم "، **مجلة الباحث**، العدد 6، الجزائر، جوان، 2012، ص ص. 309-321.
- محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية بيروت، 1981.
- محمد الهادي حارش، " حملة حنبعل على إيطاليا "، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد 6، الجزائر، 1992، ص ص. 51-59.
- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992.
- محمد الهادي حارش، نور الهدى ورنوغي، " سياسة " آل برقة " ما بين الحرب البونيقية الأولى والثانية "، **مجلة العلوم الإسلامية والحضارة**، العدد 8، الجزائر، 2018، ص ص. 603-585.
- محمد فريد، تاريخ الرومانيين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، الطبعة الأولى، 2014.
- محمود إبراهيم السعدني، حضارة الرومان منذ نشأة روما وحتى نهاية القرن الأول ميلادي، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1998.
- محمود إبراهيم السعدني، معالم تاريخ روما القديم منذ نشأتها وحتى نهاية القرن الأول ميلادي، دار نهضة الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997.

ب - باللغات الأجنبية:

- Adil Njim،" Hannibal l'ombre de son pére"،**مجلة تنوير للعلوم الانسانية والاجتماعية** العدد 07، سبتمبر، 2018، ص ص. 488-496.
- Emmanuel davin," le passage du Rhône et des alpes par hannibal ",**Bulletin de l'Association Guillaume Budé**, n°3, octobre 1958, pp. 65-80.
- Dexter Hoyos, Mastering the West: Rome and Carthage at War (Ancient Warfare and Civilization), Oxford University press, Edition 1, 2015.

ج - الرسائل والأطاريح الجامعية:

- بلعيد حسن، حنبعل والحرب البونية الثانية (218-202 ق.م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، 2013.

الدراسات التاريخية و اثرها في ترسيخ التراث و الهوية الوطنية

الدكتور تيسير جدوع علوش/ الجامعة العر اقية

الملخص

يكتسب هذا الموضوع اهمية كبيره ، كونه يبين العلاقة بين تاريخ الامة واهمية دراسته واثره في ترسيخ تراثها وهويتها ،وأهميته تزداد مع تفاقم اخطار التغيرات الثقافية للأمم والشعوب الاخرى التي تطال الأفكار والرؤى التي تختزلها الحضارات الإنسانية على تعدّد مشاربها وتنوّع مصادرها، والتي تتهدّد فيها الهويات بالتلاشي أو بالذوبان في الهوية الغالبة، ويتعرض فيها التراث الإنساني لحملات من والتشويه والتقليل من قيمته والنيل من فعاليته في صيانة حقوق الإنسانية في التشبث بقيمها التراثية وهويتها التاريخية التي هي العمودُ الفقريُّ لخصوصياتها الروحية ومكوناتها الثقافية ولسماتها الحضارية ، فليس التراث هو الماضي فقط ، فكل ما خلفه الحكماء والمفكرون والعلماء والفقهاء والفلاسفة والشعراء والمؤرخون يعدّ تراثا فكريا وثقافيا وعلميا. وهذا التراث هو ذخيرة حية في عقولنا وقلوبنا ووجداننا فليس هو الماضي فحسب بل هو الماضي والحاضر والمستقبل معاً. إنَّ أبرز مقومات التراث العربي أنه حي بالتاريخ دون أن يفقد أصالته وتميّزه. وأن جذوره لا تزال عميقة في الأرض تنبض بالقوة. في مختلف مجالات المعرفة : اللغة. والتاريخ. والثقافة. والتشريع. والأدب. والآثار. والعقائد. والأخلاق. والحكمة. والفلسفة. والعلوم. وبناءاً على هذا فإن الاعتزاز بالتاريخ باعتباره عنوان الهوية. والمحافظة عليه مسؤولية ورسالة وواجب. وإن أعظم الجرائم قسوة أن يهدم الناس ما ورثوه عن أسلافهم من تراث فلا تكون له جذور تاريخية وتراث يعتزُّ به. ولذلك فإن التأكيد على أهمية التشبث بالهوية والاعتزاز بها. ضرورة للحفاظ على الحقوق التاريخية المشروعة المتوارثة للأمم والشعوب. جيلاً بعد جيل.

Apstract

The importance of this subject is important because it shows the relationship between the history of the nation and the importance of its study and its impact on the consolidation of its heritage and identity, and its importance increases with the dangers of cultural changes of nations and other peoples that affect the ideas and visions of human civilizations. In which the human heritage is exposed to campaigns of distortion, devaluation and deception of its effectiveness in safeguarding the human rights of clinging to Heritage and historical identity, which is the backbone of its spiritual and cultural components and cultural symbols, heritage is not only the past, everything left behind wise men, thinkers, scientists, philosophers,

philosophers, poets and historians is an intellectual, cultural and scientific heritage. This legacy is a living ammunition in our minds, hearts and minds. It is not only the past but the past, the present and the future together. The most important elements of the Arab heritage is that it lives in history without losing its originality and distinction. And that its roots are still deep in the ground and spring with force. In various fields of knowledge: language. History. And culture. And legislation. And literature. And effects. And beliefs. And ethics. And wisdom. And philosophy. And science. Based on this, pride in history as the title of identity. And to preserve it as a responsibility, a mission and a duty. The greatest crimes are the cruelty that people will destroy what they inherited from their ancestors from a heritage that has no historical roots and a proud heritage. It is therefore important to emphasize the importance of adhering to identity and pride. The need to preserve the legitimate historical rights of nations and peoples. Generation after generation.

مقدمة

تعد قضية التراث والهوية الوطنية واحدة من أهم الإشكالات في فكرنا العربي المعاصر، كونهما يمثلان المرجع والخصوصية، هذه الثنائية التي طالما أرّقت الآخر، محاولاً بشتى الوسائل طمسها وطمس كل ما يمت بصلة للحضارة العربية والاسلامية التي أرست قواعدها على أرض هذا الوطن. ولأنّ التراث هو الإرث الذي خلفه أسلافنا والذي تتحدد من خلاله معالم هويتنا، فإنه يستدعي منا أن نبحث في العلاقة بين التراث كمكوّن مادي أو معنوي، وبين الهوية كوعي بهذه المكونات.

هذه الهوية التي أصبحت اليوم مهدّدة بفعل ما يسمى بالعولمة الكاسحة للخصوصيات الثقافية والاجتماعية لمختلف الحضارات، والساعية لأن تجعل العالم كله في بوتقة واحدة، وتحت هوية واحدة تتماشى والهوية الغربية.

ومن خلال هذا البحث البسيط سنحاول أن نفتح الباب على عدة تساؤلات: ما هو التراث؟ ما هي الهوية؟ ماهية العلاقة بين التراث والهوية؟ وكيف يسهم الموروث التاريخي في الحفاظ على الهوية الوطنية؟ وماهي التحديات التي تواجه الهوية الوطنية في زمن العولمة ؟

ومن أجل بلوغ هذه الغايات قسمت بحثي إلى قسمين رئيسيين: تناول الاول الهوية الوطنية والموروث التاريخي: حاولت التطرق فيه إلى تبيان العلاقة التي تجمع بين التراث التاريخي للوطن وللأمة، وبين الهوية الوطنية الواعية بهذا التراث. وجاء الثاني ليبين الهوية الوطنية وتحديات العولمة ، حاولت فيه إظهار حالة العالم اليوم، في ظل العولمة. وباعتبارنا جزء من هذا العالم سنحاول التطرق إلى حالة الهوية الوطنية والخطر

الذي يهددها. وختمت بحثي بخاتمة: تطرقت فيها لأهم النتائج المستخلصة، محاولا تقديم بعض الحلول من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية وإرساء دعائمها في ظل المتغيرات التي يفرضها العالم من حولنا.

أولاً: الهوية الوطنية والموروث التاريخي:

قبل الدخول في كنه هذا الموضوع، الذي يتسم بتعدد المفاهيم ومرونتها، ارتأيت أن أقف عند مفهوم التراث والهوية، ومحاولة البحث في دلالاتهما ومعانيهما، من أجل كشف الحجب الدلالية عنهما، ومحاولة الربط بين هاته المفاهيم، والبحث عن العلاقة الجدلية بينهما.

"التراث" في اللغة العربية مأخوذ من جذر "ورث"، وهي تدل في مجملها على معاني البقاء، وانتقال الملكية، والنسب. ففي معجم لسان العرب نجد "ورث: الوارث: صفة من صفات الله عز وجل، وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ويقال: ورثت فلاناً من فلان أي جعلت ميراثه له[1]

فالتراث من خلال هذه المعاجم هو ما يخلِّفه الميت لورثته من تركة، سواء أكانت تلك التركة مادية ﴿وتأكلون التراث أكلاً لماً﴾ (الفجر: 9). أو أن يكون هذا التراث معنوياً ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ (مريم: 6) ويقصد بالتراث هنا تركة النبوة والفضيلة والمعرفة. و من هنا نستنتج أنّ التراث يعني انتقال الملكية (مادية/معنوية) من شخص إلى آخر[2]، وهو بهذا يحمل معاني الاتصال والربط والاستمرار. فهو "خلاصة ما تُخلفه الأجيال السالفة للأجيال اللاحقة، أو ما يُخلفه الأجداد كي ينهل منه الأحفاد، ويُضيف إليه جيل بعد جيل من خبرات حياته"[3]

وتأسيساً على ما تقدم يمكن أن نعرف التراث بأنه "هو الموروث التاريخي والثقافي والاجتماعي والمادي، المكتوب والشفوي، الرسمي والشعبي، اللغوي وغير اللغوي، الذي وصل إلينا من الماضي البعيد والقريب. وهذا التعريف يحاول أن يراعي الشمولية في تحديد التراث، فهو يضم مقومات التراث جميعها، الثقافية منها مثل: علم الأدب والتاريخ واللغة والدين والجغرافية، والعوامل الاجتماعية مثل: الأخلاق والعادات والتقاليد، ومن ثم العناصر المادية: كالعمران، وأخيرا ما يتضمنه من تراث شعبي يتمثل في المكتوب والشفوي واللغوي وغير اللغوي.[4]

مفهوم الهوية:

---

[1] ابن منظور لسان العرب تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب – محمد الصادق العبيدي. دار احياء الراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي. بيروت لبنان. ط3 . الجزء الخامس عشر (باب الواو). ص266

[2] علي بن هادية، القاموس الجديد، المؤسسة الوطني للكتاب، الجزائر ،ط/6، 1991، ص29.

[3] مجمع اللّغة العربيّة: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ص 1024

[4] علي عفيفي علي غازي ، التراث المادي والتراث المعنوي، جريدة الحياة، العدد /165

يعتبر مفهوم الهوية واحداً من أكثر المفاهيم المطروحة جدلاً وإثارة للنقاش نظير ما يحتويه من دلالات فكرية و سياسية، واجتماعية، تمس عمق المجتمع، وجوهره. وعند البحث في أغلب المعاجم العربية القديمة لم نجد تعريفاً للهُوية، لأنّ كلمة الهوية هي مصطلح حديث منسوبة الى (هو) تحديداً، هي كلمة دالة على التمايز أو السمات في أمة دون غيرها من الأمم.[1]

"وفي المعجم الوجيز: الهوية تعني الذات، والدلالة الذاتية للهوية تعني الإحساس بالانتماء إلى منظومة راسخة تعطي للفرد خصائص متفردة [2] .أما في معجم الوسيط فـ "الهُوِيَّةُ" هي "حقيقة الشّيء، أو الشّخص الّتي تميّزه عن غيره، وهي أيضا بطاقة يُثبت فيها اسم الشّخص، وجنسيته، ومولده، وعمله، وتسمّى البطاقة الشّخصية هوية أيضا".[3]

ومن هنا نستنج أن الهُوية هي كلمة حديثة في اللغة العربية، وهي اسم مصاغ انطلاقاً من الضمير المنفصل « هو» لتحدد بذلك السمات المميزة للأنا مقابل الآخر "هو"، فهي "الشفرة" الّتي يمكن الفرد عن طريقها أن يَعرف نفسه، في علاقته بالجماعة الاجتماعيّة والثقافيّة الّتي ينتمي إليها، وعن طريقها يُتعرَّف عليه باعتباره منتمياً إلى تلك الجماعة"[4]. ومن هنا نستطيع القول أنّ الهويّة عبارة عن مجموعة من الصفات المميزة و المتكاملة، والمتفاعلة فيما بينها لتعطي لشخص أو شعب معين، أو أمة معينة مميزات يعرف بها.[5]

وتنقسم الهوية إلى نوعين:

هوية فردية: وهي التي تمثل المميزات والخصائص الجسدية التي تميز الإنسان من حيث كونه فرداً عن بقية الأفراد سواء داخل مجتمعه أو خارجه ولعل أبرز مثال على ذلك بصمات الأصابع، وخصائص الحمض النووي.

هوية وطنية أو قومية: وهي جملة الصفات والخصائص التي تطبع أمة من الأمم يشترك فيها مجموع الأفراد المكونون لها، فيتعرفون على بعضهم البعض من خلال هذه الصفات ويتميزون بها كذلك عن غيرهم من أفراد الأمم الأخرى".[6]

علاقة الهوية بالتراث:

---

[1] محمد رياض وتار ، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2002 ، ص 87.

[2] أمين نايف حسين ، مقال عن الهوية والتراث، نادي الحصن الثقافي، 2003.

[3] هويدا صلاح الدين عتباني، الهوية والتعدد الاثني ، مجلة مركز التنوير المعرفي، العدد9، 2010،ص10.

[4] المعجم الوسيط ، المصدر السابق، ص99؛ ابن منظور الأنصاري ، المصدر السابق ج 6 ، ص 26

[5] محمد رياض وتار ، المصدر السابق ، ص 89.

[6] سعاد جاب الله، الهوية الثقافية العربية ، القاهرة ، مكتبة مدبولي، 2005،ص135.

من خلال التعرض للمفاهيم الدلالية لكل من الهوية والتراث فإن البحث في العلاقة بينهما هو بحث بين الخصوصية والمرجع، هذه الخصوصية التي تعبر عن هويتنا لم تنشأ من فراغ، وإنما هي نتاج تجربة بأفراحها وأتراحها عاشتها المجموعة، و اشتركت أفرادها في رسم صورها، وإخراجها في حلة تعبر عن هوية الأمة وما تزخر به من موروث تاريخي، يعكس ماضيها، ويترجم حاضرها، وتستلهم من خلاله مستقبلها.[1]

فالتراث ما هو إلاّ صورة حقيقية لماضي الأمة، وديوان مفاخرها وذكرياتها، ومستودع تجاربها بنجاحاته وانكساراته، هو ما يوحدنا ويميزنا عن باقي الجماعات البشرية، فكل الذين يشتركون في تاريخ واحد يعتزون ويفخرون بمآثره هم أبناء أمة واحدة، وشعب واحد، وهوية واحدة. ومن ثمّ فإنّ الهوية هي نتاج لحركية التاريخ في المجتمع، تتغير وتتبدل وتتطور حسب الوعي الجمعي للشعوب بهذا التاريخ[2]. ونستطيع القول أنّ حجر الأساس في عملية التقدم الاجتماعي والحضاري لأيّة أمّة من الأمم مرهون بمدى وعيها بتاريخها وبتراثها الذي يمثل تجارب انسانية جاهزة، ورثتها عن أسلافها تنطلق منها نحو المستقبل، لأنّ... المستقبل ما هو إلاّ الماضي، مرورًا بالحاضر، والوجودُ الشّخصي هو ثمرة لخبرات الماضي وتجاربه وأحداثه[3] . فالتراث ليس هو الماضي بكل ما حفل به من تطورات في المجالات جميعاً، وما شهده من أحداث تعاقبت عبر العصور، ولكنه الحاضر بكل تحولاته، والمستقبل بكل احتمالاته. إنّه يمتد في حياتنا وينتقل معنا إلى المستقبل. فهو جزء منا لا نستطيع الفكاك منه. و بذلك يصبح سمةٌ أصيلة من سمات الهوية، به تكتمل عناصرها وبصبغته تصطبغ. فهو يمثل التجربة الفعلية للآباء والأجداد وما خلفوه لنا من علمٍ وفكرٍ وحكمٍ وفلسفةٍ وشعرٍ وغيرها من التجارب الانسانية الجاهزة التي يجب علينا أن نعيها وأن تكون هي الأساس الذي يوحدنا، و المنطلق الذي يحفزنا في بناء المستقبل.[4]

ومن هنا فالفصل بين التراث والهوية هو ضرب من المستحيل فلا هوية بدون تراث تستند إليه، ولا تراث إذا لم يؤسس للهوية. فالتراث والهوية عنصران متلازمان من عناصر الذات، ومكونان متكاملان من مكونات الشخصية الفردية والجماعية.[5]

كما نجد أن الهوية في الحقيقة ما هي إلا مجموع الصفات والخصائص والمبادئ التي توارثتها الأمة عن أسلافها عبر سيرورة واعية بها وبالتاريخ الذي جسدها وبالتراث الذي بقي شاهداً على ذكرياتها.

الهوية الوطنية الواعية بالتراث:

---

[1] محمَّد ناصر بوحجام، ملاحظات حول تاريخنا القديم، ط2، المطبعة العربيّة، 1998م، ص40.

[2] عبد العزيز عثمان ، التراث والهوية، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم ،2011، ص7.

[3] المصدر نفسه ، ص20

[4] سعاد جاب الله، المصدر السابق ، ص 176 .

[5] كمال الديب ، موجز تاريخ العراق ، بغداد ، دار الفارابي ، مكتبة كتب التاريخ،2012، ص32.

إنّ الباحث في مجال الهوية الوطنية كان لزاماً عليه البحث في تاريخ بلدنا العراق الممتد لآلاف السنين قبل الميلاد وما تعاقب عليه من حضارات غرست فيه ثقافاتها وتركت بصماتها في هوية شعبه سلباً وإيجاباً، والاحتلالات المتعاقبة لأرضه حاولت بشتى الطرق محو هوية الشعب العراقي كاملة، وطمس معالمه التاريخية والثقافية. بيد أنّ ظهور الوعي الوطني لدى فئات الشعب حافظ على تراث وتاريخ هذه الامة، وأرست قواعدها على حب الوطن والاعتزاز به، وبالتاريخ الذي خلفه شهداؤنا الذي ضحو بالنفس والنفيس من أجل حرية البلد وكرامته، ومن أجل الحفاظ على مقوماته وركائزه الأساسية.[1]

فرغم جَبَرُوت الاستعمار وقوته العسكرية ومخططاته الفكرية الهادفة لطمس الهوية العربية، لم يستطع النيل من هوية الشعب الذي ظل متمسّكاً بهويته وبتراثه إلى أبعد الحدود، وقاوم شتى أنواع القهر والسلب والترغيب والترهيب وسياسات الاندماج و عوامل المسخ، والتدجين التي فرضتها الدول المحتلة من أجل إخراج مجتمعنا من ثوبه الأصيل المتمثل في الاسلام والعروبة. لكن التاريخ ظل شاهداً على تمسك وتشبث المجتمع بكل مقوماته متحدياً بذلك سلطة الاستعمار، فالتاريخ يشهد على الحروب والمقاومات التي خاضها الشعب ضد المستعمر، ليس بالسيف والبارود فقط بل بالفكر عن الطريق الكتاب والمفكرين والمنظرين والصحافة ووسائل الإعلام والدروس في المساجد والمدارس والنوادي .[2]

فالحياد عن الأصل يعتبر بمثابة موت لهوية الانسان، وأي محاولة لاقتلاعه من جذوره هو موت بالنسبة له. ومن هنا تتضح أهمية التراث التاريخي ودروره في الحفاظ على الهوية الوطنية لدى الشعوب بصفة عامة ولدى الشعب العراقي بصفة خاصة، فهو يعبر عن وجود الانسان وكينونته، لذلك نراه متشبثاً بأصوله متمسكاً بها، بالرغم من كل محاولات الاستلاب، و محاولة قلع ثقافة المجتمع من جذورها، وغرس ثقافة المستعمر مكانها، وإضفاء الطابع الغربي الأوروبي ليحل محل التقاليد والأعراف التراثية العربية الاصيلة، وذلك من خلال تسخير كل الوسائل، لتغيير الهوية العربية وضربها في الصميم، ولعل الجهود التي بذلت في منطقة مختلفة كانت أحسن مثال على استهداف الهوية الوطنية، إذ نجد المستعمر قد استغل عامل العرق والطائفة واللهجات لضرب الهوية الوطنية في الصميم. إذ عمد إلى تدمير المساجد وهدم الزوايا.[3]

---

[1] عباس العزاوي ، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين ، بغداد ، مطبعة بغداد، 1975،ص188.

[2] مصطفى عوفي ، الهوية الوطنية في ظل تكنولوجيا الاعلام والاتصال الحديثة، مجلة علوم الانسان والمجتمع، جامعة بسكرة ، العدد،4 كانون اول 2012، ص16

[3] المصدر نفسه ، ص17

بالرغم من كل محاولات التشويه وطمس الهوية الوطنية والتعدي على الموروث التاريخي للأمة، إلاّ أننا نجد هذا الأخير مازال ماثلاً في نفوس العراقيين لحد الساعة، من خلال المحافظة على لغتهم ودينهم وثقافة أجدادهم من فولكلور، وشعر، وأغاني، وموسيقى شعبية، وحكايات، وصناعات تقليدية مختلفة، والاعتزاز بتقاليدهم مثل الحفاظ على اللباس التقليدي والنمط العمراني وطريقة تشييد المباني وتنوّع الأكلات التقليدية وغيرها من العادات التي توارثناها جيل بعد جيل.[1]

إنّ التاريخ المشترك لهذه الأمة هو ما كرّس هوية وطنية ببعدها الإسلامي و العربي ، وهو الضامن الأساسي للحفاظ على هذه المقومات، فالتراث بكل ما يحمله من قيم أخلاقية وفكرية متوارثة يعتبر هو الحجر الأساس في بناء أي مجتمع باعتباره البوتقة التي تتشكل فيها عقلية المجتمع وتصورات الجماهير وقيمها ومثلها وعاداتها، وهو ركيزة أساسية من ركائز هوية الأمة الثقافية، ودعامة رئيسية من دعائمها والضامن على ارساء مقوماتها واستمرار تواجدها، لما يمثله من اعتزاز وافتخار بماضي الأجداد، ومحاولة الاقتداء والسير على هديهم في هذه الحياة، فيكون بذلك هو الدعامة الأساسية من السلف إلى الخلف ويكون نبراس يهتدوا به من الضياع والتيه.[2]

ثانياً: الهوية والوطنية وتحديات العولمة :

إنّ هويتَنا هي عنوانُ أمتِنا ومصدرُ تميّزِنا عن الأمم والشعوب الاخرى، وهي مبعث فخر واعتزاز لنا، وللأجيال التي تأتي من بعدنا. وقد حاولنا أن نبين أهميةَ التراث ودورِه في بناء هذه الهوية وإرساء دعائمها، كونه يمثل الحصانة الواقية لنا من المؤثرات الخارجية وما أكثرها اليوم.[3]

والمتتبع لقضايا الهوية الوطنية يدرك دون عناء أنها أصبحت متشرذمة ، ومضطربة، بفعل ما يسمى بالعولمة .، حيث يجد جيل اليومِ نفسه منشطراً بين الانتماء لتاريخ طالما أعتز به وافتخر، وبين عالم افتراضي وجد ضالته فيه، فتغلغل في نفسه، وسيطر على أفكاره، ومبادئه، يحاول أن يوجهه الوجهة الأخرى، ويبعده قدر المستطاع عن هويته الأصلية.[4]

وقبل الدخول في كنه الموضوع سنحاول أن نتطرق إلى مفهوم العولمة وأبعادها

العولمة:

كلمة مترجمة من (Globalization) الانجليزية بمعنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل، فهو إذاً مصطلح يعني جعل العالم عالماً موحداً، موجهاً توجيهاً واحداً في إطار حضارة واحدة، ولذلك قد تسمى

---

[1] تشارلز تريب صفحات من تاريخ العراق، الترجمة: زينة جابر إدريس، الدار العربية للعلوم، بيروت 2006،ص134.

[2] شريف كنعانة ، دراسات في الثقافة والتراث والهوية، فلسطين ، رام الله ،2011، ص79.

[3] ياسر عبد الجواد، مقاربتان عربيتان للعولمة، المستقبل العربي، عدد252، شباط 2000، ص2

[4] المصدر نفسه ،ص5

الكونية . أي: اكساب الشيء طابع العالمية[1]. وفي اللغة العربية هي لفظة مشتقة من العالم والعالمية والتعولُم، ويقال فوعل الشيء، أي جعل له فاعلية وتأثيراً. ومن هنا يمكننا القول بأنّ العولمة إذا صدرت من بلد أو جماعة فإنها تعني: تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة، وجعله يشمل الجميع أي العالم كله .ويصطبغ بصبغة واحدة شاملة للجميع ، والباحث في مجال العولمة يجد أن هذا المصطلح ظهر في بادئ الأمر في مجال الاقتصاد والتجارة الدولية، إذ نجده مستعملاً بغزارة في الدراسات الاقتصادية، ثم أخذ يجري الحديث عنها بوصفها عالماً متجاوراً يتعدى الجانب الاقتصادي ليشمل جميع النواحي والمجالات الاجتماعيّة، والسياسية، والفكريّة، والثقافية.[2]

ومن خلال البحث عن تعاريف اصطلاحية للعولمة نجد أن العولمة هي دمج ودمقرطة ثقافات العالم، واقتصادياته وبنياته التحتية، من خلال الاستثمارات الدولية، وتنمية تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وتأثير قوى السوق الحرة على الاقتصاديات المحلية والإقليمية والعالمية، وهناك من يرى أن العولمة هي إقحام الجميع في دخول ترس الآلة العالمية بسبب الثورة الجامحة للمعلوماتية وتطور تقنية الاتصالات، وبذلك يكون مصير الإنسانية مُوَحَّدا . لا مجال فيه للاختلاف والتنوع.[3]

إنّ العالم اليوم أصبح يزدحم بالعديد من الأحداث والمستجدات، التي تكون في مجملِها نتاج لصراع بين حضارات وهويات مختلفة، خصوصاً بين الشرق والغرب، أو إن صح التعبير بين الغرب والعالم العربي، هذا الصراع القديم الحديث، الذي لم يسبق للعالم أن شهده بصورته الحالية، وبوسائله وأسلحته الفتاكة، الضاربة في صميم عمق المجتمعات العربية والاسلامية وهويتها. فبعد تهاوي الحدود بين الداخل والخارج من جراء ثورة الاتصالات والمعلومات، وبعد أن تحققت الهيمنة الغربية السياسية والعسكرية ثم الاقتصادية، لم يتبقَّ إلا اكتمال الهيمنة على الصعيد الثقافي [4]. ولذا فلا عجب أن تكون الحربُ حربًا ثقافية تحت ما يسمى بالعولمة، تهدف إلى اكتساح الخصوصيات الثقافية والاجتماعية للمجتمعات، وطمس هوياتها القومية والوطنية، وعدم السماح لأي أمة أن تتميز بدينها، وهويتها، وقيمها، تميّزًا يتعارض مع متطلبات العولمة، وما تبحث عنه من قدر مشترك بين الشعوب والحضارات، يتلاءم مع نتاج الحضارة الغربية.[5]

---

[1] جمال نصر الطيب ، العولمة مفهومها، و أسبابها ، المؤتمر الأول ، جامعة الزرقاء، 2002 ،ص،329

[2] عبد العزيز عثمان ، المصدر السابق ، ص 42

[3] محمد عابد الجابري، العولمة و الهوية الثقافية ، ندوة مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، 1997 ، ط2 ص 297

[4] نادية محمود مصطفى، حوار صراع الحضارات، إشكالية العلاقة بين السياسي– الثقافي في خطابات عربية وإسلامية، مركز الحضارة للدراسات السياسية ، جامعة القاهرة، 2011،ص144

[5] مصطفى عوفي ، المصدر السابق، ص16

ومن أجل بلوغ تلك الغايات كان لزاماً على الغرب تجنيد كل الوسائل المادية والبشرية، من أجل التحكم والسيطرة على مقومات الأمة، وطمس هويتها. وبعدما فشلت كل الحروب الصليبية، والاستعمارية في ذلك، كان سلاح تكنولوجيا الاتصالات، أنسب سلاح للوصول إلى المبتغى، إذ أصبح العالم يشهد ثورة تكنولوجية عارمة، لا قِبل للإنسان بمواجهتها، تشتمل على الأنترنت، والهواتف النقالة الذكية، والحواسب المكتبية والمحمولة، إلى غير ذلك من تقنيات الاتصال الحديثة، التي ألغت كل الحجب والحواجز بين الشعوب والثقافات، مسقطة طبائع العزلة، فدخلت البيوت، وسيطرت على العقول، وسكنت النفوس، مجسدة بذلك ملامح العولمة الغربية، التي تلعب ببراعة على حبل التقدم التكنولوجي، وتعاظم دور المعلوماتية، وذلك كله من أجل ضرب الهويات الوطنية والقومية للشعوب، ونزع الارتباط الوثيق لمفهوم الوطن المتصل بالأرض، فلم يعد التفاعل على أرض واحدة هو الباعث الأول للتجمع، بل أصبح يتم عبر التكنولوجيا ووسائط الاتصال والمعلومات . ليلغى بذلك عامل الأرض والوطن والتراث، المشكلون للهوية الوطنية، ويفتح المجال أمام هويات أخرى دخيلة تهدد الهوية الأم. حيث عملت تكنولوجيا الاتصال الحديثة على إعادة رسم الحدود والخرائط السياسية والثقافية، وأفرزت ثقافة متخطية للحدود، عرفت في ظلها الهويات الوطنية أعتى أخطار الاندثار، وذلك بالنظر إلى أن التكنولوجيا الحديثة قادرة على فصل المكان عن الهوية، واقتحام الحدود الثقافية والسياسية وإضعاف الشعور بالانتماء المحلي والوطني، وتعمل على تقويضه، وإنتاج هويات غير متعلقة بالحيز المكاني، وهويات تشعر بانتمائها ولو رمزياً إلى ذلك الفضاء اللامحدود.[1]

إنّ هذه التكنولوجيا برغم ما تقدمه من عطاء وتسهيلٍ لسبل الحياة، وتطوير نظام العيش في العالم، إلا أننا لا يجب أن نغفل لما يمكن أن تسببه هذه الأخيرة من انعكاسات سلبية في شتى المجالات، سيما الاجتماعية والثقافية منها، كما أنها تسعى كذلك إلى محو وإلغاء كل الفواصل الجغرافية، وتهدد التنوع الثقافي والحضاري للمجتمعات الإنسانية الضارب في أعماق التاريخ، وقد تنتج عنها عملية إبادة شاملة للمورثات الثقافية والحضارية للأمم، خاصة الضعيفة منها، والغير محصنة فكرياً، وعقائدياً، فالمرحلة التي يجتازها العالم اليوم، أصبحت تتهدّد فيها الهويات بالتلاشي أو بالذوبان في الهوية الغازية الغالبة، ويتعرض فيها التراث الانساني لحملات من المسخ والتشويه والتقليل من قيمته والنيل من فعاليته في صيانة حقوق المجتمعات الانسانية، في التشبث بقيمتها التراثية وهوياتها التاريخية التي هي العمودُ الفقريُّ لخصوصيتها الروحية ولمكوناتها الثقافية ولسماتها الحضارية.[2]

والمجتمع العراقي باعتباره جزءًا من هذا العالم ، يتأثر مثلُه مثل بقية المجتمعات المستهلكة، المستقبلة للقيم الجديدة الوافدة من وراء البحار، والتي تهدّد لا محالة الهوية الوطنية وتضربها في الصميم.

---

[1] محمود زكي ، التراث العربي هوية الماضي وزاد المستقبل ، مقالة ، 2009،ص122

[2] محمود زكي ، المصدر السابق،ص123

فالإنسان المعاصر، لم يعد يستقي مفاهيمه وخبراته من الموروثات، ومن تجارب الأجداد وتاريخهم، بل أصبح يستند إلى تجارب جديدة تفرضها عليه التكنولوجيا ووسائطها الباهرة، التي لا قبل له بها، وأصبحت مرجعيته الدنيوية وحتى الدينية يستقيها من وسائل الإعلام، ومواقع الإنترنت، خصوصاً مواقع التواصل الاجتماعي المنتشرة بشكل رهيب ومخيف في المجتمعات، مهدّدة استقرارها ونُظم عيشها، لما تقدمه من كمٍّ هائل من المعلومات والتعليقات والتوجيهات التي قد تعارض و البنية الاجتماعية للمجتمع.[1]

كل هذا يحدث في غياب تأثير وسائل إعلامنا على مختلف أنواعها، وعدم قدرتها على مواكبة متطلبات الشباب، ورغباته، وميوله النفسية والثقافية. فالعالم العربي بصفة عامة والعراقي بصفة خاصة، هو بعيد كل البعد عن تكنولوجيا الاتصالات . الحديثة، والدور الوحيد المنوط به في هذه الشبكة هو دور المستقبل المتلقي، الفاتح لشيفراته دون أي إرسال أو تأثير في الغير. فحجم القنوات الفضائية وتطبيقات الهواتف الذكية وصفحات الانترنيت العربية، ضئيل جداً مقارنة باللغات الأخرى إذ لا يمثل حضور اللغة العربية في الانترنيت سوى 0.89% بالمائة من مجموع اللغات التي يستخدمها العارفون بالتعامل مع الشبكة ليبقى العرب بعيدين كل البعد عن الدخول الفعلي في ترس هذه التكنولوجيا العالمية، التي أصبحت جد مهمة في حياة الإنسان المعاصر.[2]

إنّ العالم اليوم هو عالم مفتوح على مصراعيه لا مجال فيه للرقابة ولا للسيطرة، (سواء رقابة الدولة أو رقابة المجتمع أو حتى الرقابة العائلية) فهذه الوسائل أصبحت متاحة للجميع، تستطيع أن تصل إلى جميع بقاع الأرض، مخترقة حدود الأوطان، متحدية كل الأزمان، مرسلة شظاياها في كل مكان، مؤسسة لقواسم جديدة مشتركة، بعيدة كل البعد عن الموروثات الثقافية، وعن القيم الحضارية التي عرفتها الشعوب في إطار حيزها المكاني الضيّق المحدود، ومصمّمة لقوالب جديدة من التفكير، ونسق جديد من القيم والسلوكيات، وحتى للغة جديدة تتماشى وسرعة الاتصالات.[3]

وفي خضم هذا المناخ الدوليّ غير المستقر، وتعاظم دور تكنولوجيا الإعلام والاتصال التي أصبحت اليوم تهدّد المجتمعات الانسانية في خصوصياتها الثقافية والحضارية، وفي أمنها الفكري والعقائدي، وفي هويتها الوطنية وثقافتها القومية، وفي تراثها الحضاري ، يستدعي منا التخطيط وإعادة النظر في سبل الحفاظ

---

[1] أشرف صالح محمد ، التراث الحضاري في الوطن العربي أسباب الدمار والتلف وطرق الحفاظ ، 2009 ،ص22

[2] عبد الباقي إبراهيم، التراث الحضاري في المدينة العربية المعاصرة.– الطبعة الأولى.– القاهرة: مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، ١٩٦٨.ص74

[3] أحمد إبراهيم عطية، حماية وصيانة التراث الأثري.– القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣،ص166

على مقومات الهوية الوطنية، وتحصينها من كل القنوات الدخيلة التي تصب في عقول شباب اليوم، جارفةً معها كل ما تجده من أفكار و قيم وعادات، حاول التراث على مرّ التاريخ أن يحافظ عليها و يرسى دعائمها.[1]

الخاتمة

إنّ موضوع الهوية الوطنية أكبر من أن تلمّ به هذه الدراسة المتواضعة وتسديه حقه أو تقدم حلولاً لإشكالاته، لكننا سنحاول في ختام هذا البحث أن نلخص إشكالاتها الآنية وأن نقترح حلولاً، علّها تكون مفتاحا للحفاظ على الهوية الوطنية، وإرسائها في ظل العولمة ..

يشهد مجتمعنا كبقية المجتمعات في هذا العصر انفتاحا على الآخرين لا يمكن للدولة أن تحد منه، ويبقى دورها الأساسي في هذا الحول إعداد مواطنيها والأجيال الصاعدة على أن يكونوا فاعلين في هذه المرحلة بما تزودهم به من فرص تنمية مهارات الاتصال والتفكير والانتقاء الجيد من الموروث الثقافي الوطني قصد دمج الصور الايجابية تجاه الفضاء الذي ينتمون إليه.

إن الهوية الوطنية لم تعرف تشرذماً وتشظياً -خصوصاً عند الشباب- كما تعرفه اليوم، وذلك بسبب تلاشي مفهوم وحدة الأرض والمجتمع. والاندماج في عالم افتراضي جديد مبني على عدم الوحدة وتخطي كل الحدود. لذلك يجب إعادة النظر في طرق الحفاظ على المواطنة، والتمسك بمبدأ وحدة الأرض والتراث، والحفاظ على مقومات الأمة.

إن المجتمعات العربية بصفة عامة وما تعانيه من القهر والاستلاب والاستبداد، والضعف على كامل الأصعدة، جعل مجتمعاتها تبحث عن هوية جديدة تنشد إليها في الحضارة الغربية المبنية في ظاهرها على الحرية والتنوع والتطور. لذلك يجب على الحكومات العربية أن تسعى إلى توفير دولة العدل والقانون و المساواة، والرخاء.

إن عصرنا الحالي هو عصر تفتح على العالم لا مجال فيه للعزلة والانغلاق، والحل الوحيد للحفاظ على هويتنا وتراثنا ومعتقداتنا، هو تربية النشء تربية صحيحة، سليمة، مبنية على تراث الأجداد، وما خلفوه لنا من قيم وعادات وتقاليد. حتى إذا ما دخلوا ترس هذه التكنولوجيات كانت لهم الدرع الحصين والواقي.

إعادة النظر في المنظومة الثقافية من خلال تجديد خطابها ووسائلها تلقينها، تماشيا ومتطلبات التقنية للعصر، مع إبراز الجوانب التراثية المشرقة وتكريسها كعامل وحدة للمجتمع وللأمة.

---

[1] المصدر نفسه ،ص 168

بما أن العالم أصبح مفتوحا على مصراعيه يجب عدم التضييق على القوميات والأقليات، بل يجب الاعتراف بالتنوع اللغوي والثقافي والديني الموجود في الوطن، وأن نؤصل للمواطنة والانتماء، حتى لا يُفتح المجال أمام قوى أخرى وتدخلات الأجنبية.

إن الحفاظ على التراث هو حفاظ على الهوية، لذا يجب تسخير كل المستلزمات الضرورية للحفاظ على التراث الوطني (المادي-والمعنوي)، والاستفادة منه، في بلورة القيم وسلوكيات النشء، وإرساء هويته.

وفي الأخير أقول يجب علينا أن نعي جيداً زماننا، والخطر الذي أصبح يهدد كياننا، ونبحث عن حلول جذرية تتماشى والعصر الذي نعيش فيه. فنحاول أن نستفيد من هذه التقنيات ونأخذ الجوانب الإيجابية فيها، ولما لا نمتلك هذه الأسلحة (وهي متاحة للجميع) ونجعلها أسلحة بين أيدينا ننشر من خلالها ثقافتنا وتراثنا، ونكون مؤثرين في الغير لا متأثرين، غالبين لا مغلوبين.

عنوان المداخلة:

البعد الديني وأثره على المجتمع: مقاربة سوسيولوجة.

المهاجرين أنموذجا

دعبد الحق البكوري أستاذ علم الاجتماع جامعة محمد الاول وجدة

مدير المركز الجامعي لدراسات الهجرة

د .لحسن أوري أستاذ التعليم العالي جامعة سدي محمد بن عبد الله فاس

الطالب الباحث ياسين بوجدايني طالب بسلك الدكتوراه بكلية الاداب والعلوم الإنسانية وجدة

ملخص:

سنحاول في هذه الورقة تقديم تصور نظري حول الهجرة وعلاقتها بالهوية الدينية لدى المهاجرين، من جهة و مدى تأثير وتأثر البعد الديني في المجتمع من جهة أخرى، منطلقين من عرض بعض مقاربات الهوية الاجتماعية، من خلال النبش أولا في التراث الفلسفي مرورا بالمقاربة السيكولوجية والسيكوسوسيولوجية وصولا إلى براديغم الاستراتيجيات الهوياتية . ولعلّ هذا ما سيساعدنا على فهم ديناميات الهوية الدينية لدى المهاجرين ومدى تأثرها على المجتمع المستقبل. لأنّ هذه الجماعات المهاجرة الوافدة على المجتمع المغربي تطرح مجموعة من الإشكالات بخصوص أسباب نزوحها وحيثيات إقامتها، بل وجعلها للمغرب بلداً للاستقبال بحكم أمر الواقع والأيديولوجيا والسياسة. وهي إشكالات تساءل البراديغمات والنظريات الكلاسيكية في دراسات الهجرة والهوية الاجتماعية والدينية لهؤلاء المهاجرين وتأثرهم بالمجتمع المضيف، وكذا تصورات الحس المشترك بما في ذلك التصورات الإعلامية والسياسية.

الكلمات المفاتيح: الهجرة، البعد الديني، الهوية الدينية، جهة الشرق، الهوية الاجتماعية.

مقدمة :

أمام إرتفاع معدل الهجرات في الوقت المعاصر عبر العالم ، وتصاعد مجموعة من الظواهر التي ترتبط بهذ الشكل أو ذاك بالمعتقدات الدينية من قبيل : التطرف الديني، الإرهاب... بات من الضروري مساءلة العلاقة الرابطة بين الهجرة والدين في السياقات الاجتماعية-الهجروية . سنحاول في هذه المساهمة تقديم تصور نظري حول الهجرة وعلاقتها بالهوية الدينية لدى المهاجرين الأفارقة، منطلقين من عرض بعض مقاربات الهوية الاجتماعية ، من خلال النبش أولا في التراث الفلسفي مرورا بالمقاربة السيكولوجية والسيكوسوسيولوجية وصولا إلى براديغم الاستراتيجيات الهوياتية . ولعلّ هذا ما سيساعدنا على فهم ديناميات الهوية الدينية لدى المهاجرين الأفارقة المتحدرين من دول افريقيا جنوب الصحراء الكبرى ، محاولين بيان أهمية الدين في سيرورة الإندماج الاجتماعي للمهاجرين وطالبي اللجوء . ذلك ، أنّ هذه

الجماعات المهاجرة الوافدة على المجتمع المغربي تطرح مجموعة من الإشكالات بخصوص أسباب نزوحها وحيثيات إقامتها من جهة ، وبروز بلد المغرب كبلد استقبال -بحكم أمر الواقع والأيديولوجيا والسياسة طبعا- من جهة أخرى . وهي إشكالات تسائل البراديغمات والنظريات الكلاسيكية في دراسات الهجرة والهوية الاجتماعية والدينية والإندماج الاجتماعي، وتفتح آفاقا للبحث في قضايا الهجرة والدين ، ولبناء سياسات عمومية ناجعة وممكنة في ميدان الهجرة واللجوء بالمغرب وفق منطلقات إنسانية حقوقية كونية .

I) حول نظرية الهوية اجتماعية؛

1): الهوية: من الفكر الفلسفي إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية:

إرتبط مفهوم الهوية بالفكر الفلسفي في حقبة تاريخية كان من الصعب على الذهن البشري أن يفصل بين العلوم الإنسانية والدقيقة من جهة والفلسفة من جهة أخرى، فصلا واضحا ومطلقاً ، وذلك راجع إلى خصوصية الفلسفة التي كانت تشمل كل العلوم، والتي يعود لها السبق في إستقراء قضايا الهوية لدى الإنسان في مختلف وضعياته. لقد تصور الحس المشترك –ومازال يتصور- الهوية كمعطى مسبق. الشيء الذي كرس –ومازال يكرس- التصور الماهوي أو الجوهراني للهوية. وعلى المستوى الفلسفي، فإنّ هذا المفهوم أُستعمل كآلية للكشف عن أسرار الشرط الإنساني. غير أن المدلولات التي ارتبط بها، تطورت وتغيرت تبعا لتاريخ الفلسفة و المباحث الفلسفية التي فرضتها ابستيميات المحطات التاريخية الفلسفية الكبرى (القديمة، الوسيطة، الحديثة، المعاصرة). في هذا السياق، يمكن أن نشير إلى قراءة " كلود دوبار" Claude Dubar **Source spécifiée non valide.** في الأدبيات التي تناولت الهوية بالدرس والتحليل، والتي خلصت إلى وجود أربع مقاربات أساسية: الأولى، هي المقاربة الجوهرانية Une Approche essentialiste التي تعود أصولها إلى أُم العلوم، والتي تعرف الهوية بأنها ما يظل هو هو عبر الزمن. والثانية، هي المقاربة السيكولوجية، التي تعترف بتعدد الهويات، نظراً لتعدد التعاريف المقدمة للأنا. أما الثالثة، فهي المقاربة التفاعلية التي تعرف الهوية بأنها علاقة بين الذات والآخرين. وأخيراُ المقاربة الإسمية une approche nominaliste التي تعرف الهوية بأنها شكل غير منفصل عن التأويل البيوغرافي **Source spécifiée non valide.** . وفيما يلي، لمحة عن أهم التطورات والمقاربات التي عرفها المفهوم، بدون الادعاء الإحاطة الكاملة والشاملة

1.1): في المقاربة الفلسفية أو الهوية كجوهر الأشياء:

تعد الفلسفة القديمة بحق أول حقل معرفي استشكل الهوية، خاصة مع فلاسفة ما قبل سقراط pré Socrate خلال القرن السادس قبل الميلاد ، أبرزهم هيراقليطس Héraclite[1] وبارمنيدس Parménide[1]. إذ

[1] عاش هيراقليطس في إيفيزيا، ايونية، في النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد. انتقد أفلاطون كتاباته التي هي في الواقع مجموعة من الشذرات والأقوال المأثورة التي يغلب عليها الغموض في كتابه Cratyle، في المقابل أشاد به الرواقيون الذين جعلوا منه أب التعددية الفلسفية التي تحبذ "الحراك الكوني لكل شيء".

أُعتبر مفهوم الهوية مفهوماً مركزياً في تحليلاتهم وتصوراتهم الأنطولوجية، ووظفوه لمقاربة مجموعة من الأسئلة الأنطولوجية الخالدة، التي تتعلق بإدراك الثبات في قلب التغير الظاهر، ورصد الوحدة في ثنايا التعدد اللافت. والحق، أنّ التصور الفلسفي البارمنيدي حول الوجود (القائل بالثبات)، والتصور الهيراقليطي الذي يقابله (القائل بالتغير) هو ما أفرز التصور الفلسفي الكلاسيكي للهوية، مفاده إنّ الهوية هي التي تجعل من الشخص هو هو، أي متطابقاً مع نفسه باستمرار، رغم ما يطرأ عليه من تغيرات، وتحيل بالأخص إلى التمثل الذي نكونه عن الذات والآخر والعالم..خلال القرون الوسطى، ونظراً لهيمنة إشكالية العلاقة بين النقل والعقل، سواء في الشرق أو الغرب، أُستعمل مفهوم الهوية، للتعبير عن انسجام وتوحد الجماعة. ولم يسمح السقف الإبستيمولوجي للعصر بتطور المفهوم إلاّ خلال القرن السابع والثامن عشر، وكان ذلك مع الإمبريقيين[2]، الذين استعملوه بقصد مُساءلة الهوية الشخصية للذات الإنسانية. ويعد الفيلسوف التجريبي "جون لوك" John lock أهم ممثل لهذا المنظور، من خلال أشكلته لوحدة الشخصية الإنسانية عبر الزمن، معتبراً الوعي بالذات لدى الإنسان يتجسد في قدرته على الاحتفاظ بروح المراحل التدريجية لوجوده.

أمّا خلال بدايات القرن التاسع عشر، ظهر الفيلسوف الألماني "جورج فيلهيلم فريدريش هيغل" George Wilhelm Frederick Hegel الذي نقل سؤال الهوية إلى حقل العلاقات الاجتماعية. إذ اعتبر الهوية نتاج للاعتراف المتبادل بين الأنا والآخر، وتتولد في إطار سيرورة صراعية، وتبنى في إطار التفاعلات الفردية والممارسات الاجتماعية والذاتية. وقد عرف مفهوم الهوية تطورات مذهلة خلال القرن العشرين، خاصة مع مؤسس التحليل النفسي "سيغموند فرويد" Sigmund Freud[3] والمذهب الفرويدي[4]، ومؤسس علم الاجتماع الحديث"إميل دوركهايم".**Source spécifiée non valide** . وذلك، نظراً لمساءلتهم لكل ما يتعلق بعملية إستدخال وإستدماج المعايير والقيم الاجتماعية من خلال سيرورة التنشئة الاجتماعية، معتبرين أنّ هذه الأخيرة تختلف بحسب الثقافات والجماعات الاجتماعية .**Source spécifiée non valide** .

2.1): في المقاربة السيكولوجية للهوية:

يُستعمل مفهوم الهوية الاجتماعية في السيكولوجيا لدراسة طبيعة العلاقات التي تربط بين البعد الاجتماعي والبعد الشخصي لدى الفرد، أو بالأحرى بين بيئته الداخلية son environnement endogène

---

[1] ندين بالكثير مما نعرفه عن بارمنيدس لأفلاطون الذي قدم فكره وناقشه في ثلاث محاورات: ثيتوس Théétète ،والسفسطائي Sophisteوبارمنيدس .Parménide ، ويعتبر أب الميتافيزيقا التي تدافع عن وحدة "ما هو موجود" وقد أثرت فرضياته على الفلسفة الغربية بأسرها، من أفلاطون إلى ديكارت.

[2] نقصد بالإمبريقيين رواد الاتجاه التجريبي empirismeوقد ظهر هذا الاتجاه في بريطانيا ويمثله كل من جون لوك و دافيد هيوم ... والذين يشتركون في فكرة أساسية هي أولوية التجربة في بناء المعرفة، وهذا على عكس رواد المذهب العقلاني الذين يلحون على أهمية الوعي والتفكير والعقل في بناء المعرفة (ديكارت) . هذين الاتجاهين هيمنا على الفكر الفلسفي لمدة طويلة خاصة في الفترة الحديثة ويعود الفضل لكانط في حسم النقاش بينهما من خلال محاولته النقدية التوفيقية .

[3] سيغموند فرويد يعتبر مؤسس التحليل النفسي، وهو الذي طور فرضية اللاشعور –على إعتبار ان هذه الأخيرة ظهرت قبله مع فلاسفة آخرين كشيلنغ واسبينوزا وفريدريك نيتشه ...

[4] يُقصد بالمذهب الفرويدي في هذا السياق مجموعة من التصورات السيكولوجية التي تندرج ضمن التحليل النفسي كما أسسه سيغموند فرويد.

من جهة (هنا الحديث يتمحور حول المسار البيوغرافي للفرد/ أحاسيسه / مشاعره التي ترتبط هي الأخرى ببنائه الفيزيولوجي)، وبيئته الخارجية Environnement exogèneمن جهة أخرى (ويتعلق الأمر هنا بالآخرين les autresوبالمجتمع وقيمه ومعاييره وانتظاراته التي ترتبط هي الأخرى بالمعايير والأدوار الاجتماعية) **Source spécifiée non valide.** .يعود الفضل في إرساء أسس مفهوم الهوية في السيكولوجيا إلى "سيغموند فرويد"، لأنه كان يرى أنّ الهويات تُبنى في إطار الصراع بين هوية للأنا وهوية للغير l'identité pour soi et l'identité pour autruiمن جهة، وبين مختلف العناصر المشكلة للجهاز النفسي للفرد/الشخص أي الأنا والهو والأنا الأعلى من جهة أخرى **.Source spécifiée non valide**.

لقد حاول المحلل النفسي "إريك إريكسون Éric Erikson" أن يطور هذا المفهوم بعد فرويد، وأن يربطه بما هو اجتماعي. لذلك، يعتبره بعض الباحثين بأنه لعب دوراً جوهرياً في إدخال مفهوم الهوية إلى رحاب العلوم الاجتماعية**.Source spécifiée non valide** . فباعتباره محللاً نفسياً حاول أن يدخل في نقاش مع المدرسة الثقافوية l'école culturaliste الأمريكية وخاصة مع "أبراهام كاردينر" Abram Kardinerو"مارغريت ميد" Margaret Mead، فهذان الأنثربولوجيان انتبها إلى مسألة جوهرية تتعلق بالخصائص السيكولوجية للأفراد والتعبيرات الخاصة للثقافات الإنسانية **.Source spécifiée non valide**. هذا بالإضافة الى محاولة "إريكسون" أن يتجاوز نظرية "سيغموند فرويد" في النمو النفسي الاجتماعي، معبراً عن ذلك في كتابه الموسوم ب: الطفولة والمجتمع Enfance et Société الذي نشره سنة 1950. والذي أكد فيه على الدور الذي تلعبه التفاعلات الاجتماعية في بناء الشخصية **.Source spécifiée non valide** . من هنا إثباته على التفاعل المتبادل بين المؤثرات الاجتماعية والمراحل البيولوجية التي يمر بها الكائن الحي.

3.1) : حول المقاربة السيكوسوسيولوجية للهوية الاجتماعية:

عرفت الهوية مجموعة من التطورات في العلوم الاجتماعية بعد هيمنة ملحوظة للتصور السيكولوجي، لدرجة يمكن القول إنّ مفهوم الهوية أصبح منحازاً أكثر إلى السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا. ومن بين البراديغمات السوسيو-أنثربولوجية التي هيمنت على الهوية نذكر البراديغم التفاعلي، الذي مهدت له مجموعة من الأبحاث الأنثربولوجية البنيوية (دراسات مارسيل موس كأنموذج).في هذا السياق، يمكن ا لإشارة إلى أنّ الأنثروبولوجيا الفرنسية أنتجت خلال بداية القرن العشرين مجموعة من التفسيرات والتحليلات العلمية التي ركزت أساساً على مفهوم الشخص الذي يستدعي الانتباه إلى أنظمة التفكير les systèmes de pensée التي تمنح للذات الإنسانية هوية معينة ووضع اجتماعي معين.

لقد ترك "إرفنغ غوفمان" Ervin Goffman بصمةً قوية في مفهوم الهوية الاجتماعية، والذي يعد الأب الروحي للتفاعلية الرمزية، التي تحاول أن تستقرئ التصنيفات الاجتماعية في إطار أنشطة مجموعة من الجماعات والأفراد سواء كان ذلك في إطار التعارض أو التعاون **.Source spécifiée non valide** . ف "غوفمان" من خلال كتابه Stigmate يحاول أن يجعل من الوصم الاجتماعي أداة لتحليل الهوية **Source spécifiée non**

valide. مؤكداً على أساس أنّ الإحساس الذاتي بالوضعية واستمرارية شخصيته هو الذي يجعل الفرد يكتسب مجموعة من التجارب الاجتماعية. بالنسبة له هوية فرد معين، والتي تتبلور من خلال لعبة التفاعل الاجتماعي تنتج عن نوع من التعارض بين هوية للغير l'identité pour autrui وهوية للأنا l'identité pour soi **Source spécifiée non valide.** .فالهوية إذاً هي نتاج توزيع مجموعة من الأشخاص في فئات اجتماعية معينة، والتي تشمل كذلك تلك المسافة بين ما نسميه الهوية المفترضة التي يتم إظهارها للآخرين والهوية الواقعية المطلوبة والمعترف بها من قبل الأنا **Source spécifiée non valide.** .

من المعلوم في السيكوسوسيولوجيا ، أن بحث ودراسة السلوكات البين-جماعية قد أفرز مجموعة من النظريات أبرزها نظرية الهوية الاجتماعية التي تهمنا في هذا المقام. فهذه النظرية أرسى أسسها كل من هنري تاجفل Henri Tajfel وجون تيرنر John Napier Turner خلال عام 1979، وتدخل في إطار منظور دراسة الصراعات البين-جماعية، وتسلم بأنّ التصنيف إلى جماعتين يهدف إلى التمييز ضد الجماعة الخارجية في أفق إظهار تميز الجماعة الخاصة**Source spécifiée non valide.** . وبما أن الأمر يتعلق بالجماعات الإنسانية، فإنه من الضروري الوقوف على مفهوم الجماعة. لقد بلور كل من "تاجفل" و "تيرنر" تعريفاً إجرائياً ومركباً لمفهوم الجماعة ويعرفانها كالآتي: تجمع لمجموعة من الأفراد الذين يعتبرون أعضاء نفس الفئة، والذين يتعلقون ببعض القيم الوجدانية valeurs émotionnelles و الذين لهم درجة من الإجماع فيما يتعلق بتقويم جماعتهم وانتمائهم إليها **Source spécifiée non Source spécifiée non valide.** **valide.** . وعلى هذا الأساس، فإن الجماعة توجد عندما يكون لدى الأفراد وعي بأنهم يشكلون جزءاً منها وعندما يُصنفون إليها.

تعرف الهوية الاجتماعية حسب الباحثان كجزء من مفهوم الأنا لدى الفرد، والذي ينتج عنه وعي هذا الفرد بالانتماء إلى جماعة اجتماعية، وكذلك القيمة والدلالة المشاعرية التي ترتبط بهذا الانتماء.

ومن خلال هذا التعريف يقدم الباحثان ثلاثة مبادئ عامة وهي كالآتي:

- الأفراد يسعون إلى المحافظة على تقدير الذات estime de soiأي أن الأفراد يتطلعون إلى بلورة مفهوم إيجابي للانا un concept de soi positif؛
- الفئات الاجتماعية les catégories sociales وفعل الانتماء إلى هذه الفئات قد يكون إيجابياً، وقد يكون سلبياً، والتقييمات يتم تقاسمها بين أعضاء جماعة ما وبين أعضاء جماعات مختلفة، وقيمة الهوية الاجتماعية تكون نابعة من تقييم الجماعات؛
- تقييم الجماعة يتم بالمقارنة مع جماعات أخرى بالاعتماد على مبادئ ومعايير معينة.

يستخلص كل من "تاجفل" و "تيرنر" من هذه المبادئ العامة –التي هي في الحقيقة مجموعة من الفرضيات les suppositionsثلاثة مبادئ نظرية:

- الأفراد يسعون إلى اكتساب –أو المحافظة على – الهوية الاجتماعية الإيجابية؛

- الهويـة الاجتماعيـة الايجابيـة هي نتـاج المقارنـة بـين الجماعـات الداخليـة والجماعـات الخارجيـة فالجماعات الداخلية تتميز إيجابياً عن الجماعات الخارجية؛
- عندما تكون الهوية الاجتماعية –غير راض عنها- يحاول الأشخاص ترك جماعتهم من أجل الالتحاق بجماعة اجتماعية أخرى مرغوبة.**Source spécifiée non Source spécifiée non valide. Source spécifiée non valide.valide.** .

إن الرغبة في تحقيق هوية اجتماعية ايجابية تحث الأفراد على عمل مقارنات اجتماعية بين الجماعة الداخلية والجماعة الخارجية من أجل تحقيق وضع اجتماعي مميز وله الأفضلية للجماعة الداخلية. وهذا التحليل الذي تقدمه نظرية الهوية الاجتماعية يستند الى مجموعة من العمليات السيكولوجية وهي التعريفidentification والتصنيف الاجتماعي والمقارنة الاجتماعية، والتميز السيكولوجي. إن هذه العمليات السيكوسوسيولوجية الأربعة هي التي تحدد الهوية الاجتماعية والدينية لدى الأفراد عامة، وعند الأشخاص في وضعية هجرة خاصة.

حول أهمية براديغم الاستراتيجيات الهوياتية في فهم الهوية الدينية لدى المهاجرين:

إنّ الفرد الذي ينحدر من الأقليات له مجموعة من الخصوصيات والتي لخصها "غوفمان" في كونه "موصوم" ، ومن خصائصه كذلك أنه مختلف عن الآخرين والذي يعيش في إطار مفارقة بنيوية ، فهو ككل أفراد المجتمع ولكنه لا يظهر ككل أفراد، إنه يتم تحديده وتعريفه من قبل نظرة الآخرين (المهيمنين) ويستدمج هذه النظرة، بل قد يحاول إعادة إنتاجها بشكل لاواعي . لذلك، فسيرورة بناء هويته تتأثر أساسا بالمجتمع المهيمن لدرجة أن هذا الأخير هو الذي يقوم ببناء هويته بالاعتماد على الفروق بينه وبين أعضاء المجتمع الكبير بالإعتماد على بعض المتغيرات والأبعاد من قبيل: الإسم، الدين، لون البشرة، التاريخ، الإنتماء الإثني ... (Malonga, 2007, p. 58). وتؤكد الباحثة Pilar Marti أن هوية الفرد تبنى من خلال تأثير واضح للمؤسسات الاجتماعية، وكذا جماعات الانتماء من قبيل : الأسرة، الثقافة، المدرسة، البيئة المهنية، جماعة الأقران .... (Marti, 2008) . فمفهوم الأقلية لا يتحدد من خلال الدونية الرقمية والعددية فحسب، وإنما كذلك من خلال الهيمنة الاجتماعية والسياسية، مما يدفع بنا للحديث عن جماعات مبنية اجتماعيا وليس لها أي أساس طبيعي أو فطري. وفي هذا المنحى، يؤكد الباحث fredrick Barth أن الجماعات الإثنية لا تتحدد من خلال خصائصها الثقافية واللغوية، وإنما من خلال الحدود المنتجة، والتي يعتمد عليها الفاعلين والجماعات الاجتماعية في إطار التفاعل الاجتماعي، ومن خلال عمليتين اجتماعيتين ويتعلق الأمر بالتعريف والتصنيف الاجتماعيين وعبر مجموعة من الخصائص الثقافية (Malonga, 2007, pp. 58-59) فهذه الحدود هي التي تحدد الإنشطار بين "النحن" و "الهم"، فأن تكون من السود ليس معناه أنه معطى طبيعي، وإنما على العكس من ذلك منتوج للتفاعل الاجتماعي في إطار سياق اجتماعي خاص، ويقول الباحث Malonga في هذا الصدد : "لا نولد سودا وإنما نصير كذلك" (Malonga, 2007, p. 59).

يتبين من خلال ما سبق ،أنه لا مجال للحديث عن الاستراتيجيات الهوياتية إلا في إطار وضعيات اجتماعية هجروية، فهذه الاستراتيجيات يتم اللجوء إليها من قبل المهاجرين الذين وجدوا أنفسهم أمام ضرورة تستدعي إعادة بناء هوياتهم الاجتماعية وتحقيق نوع من التماسك الهوياتي. لأنه لا يمكن في كل الأحوال النظر إلى الهوية وكأنها صورة في الحاضر والماضي، بل ينبغي الأخذ بعين الاعتبار أبعاد تكيف الذات في البيئة المحيطة، وحالتها في المستقبل، وكذا قدراتها القابلة للتطور والدينامية (Marti, 2008).

1-2: في تحديد الإستراتيجيات الهوياتية :

إن أصل مفهوم الإستراتيجيات الهوياتية نجده في نظرية الهوية الاجتماعية خاصة مع "تاجفل" و"تيرنر" (1979,1986) الذين أكدوا على أساس أنّ الأفراد في الحياة الاجتماعية اليومية هم في حالة بحث دائم عن تقدير الذات بشكل إيجابي (الهوية الإيجابية)، أما انتماءاتهم إلى الجماعات الاجتماعية فهو متغير تابع للمتغير السابق لا غير (Amin, 2012, p. 104). لذلك، فعندما تنهار هذه الهوية أو أن الفرد يشعر بالدونية إزاء هويته، فإنه يلجأ إلى مجموعة من الإستراتيجيات الهوياتية، وذلك قصد التعديل والتعويض والمواجهة (Amin, 2012, p. 104).

إنّ الاستراتيجيات الهوياتية هي ذلك المجموع من الإجراءات التي يعتمدها الفاعلين، سواء بشكل واعي أو لاواعي، بشكل فردي أو جماعي من أجل تحقيق غايات معينة. إجراءات يتم بلورتها تبعاً لوضعيات التفاعل، بمعنى آخر بحسب مختلف المحددات (السوسيو-تاريخية/الثقافية/السيكولوجية) لتلك الوضعية (Camilleri, 1990, p. 24) هذا التعريف يكشف البعد الغائي للإستراتيجيات الهوياتية، ولعل هذا البعد هو ما تتقاسمه كل التعريفات المقدمة للمفهوم.

ينطلق Camilleri (1990) من فرضية مفادها أن المهاجر يربط بين مجموعة من الاتصالات بين ثقافته الأصلية وثقافة مجتمع الاستقبال، فالعلاقة بين هاتين الثقافتين هي علاقة صراع وإنشطار دائمين ، وأن الإنشطار الثقافي وما يصاحب ذلك من توتر سيكولوجي يشكلان سمات النسق الهوياتي لدى الفرد-المهاجر (Camilleri, Stratégies Identitaires, 1990) . إذن هذا التوتر السيكولوجي يترجم في إطار نوعان من الإضطرابات، التي هي ناتجة عن الوضع الاجتماعي الذي يعيشه في إطار بلد الإستقبال، ذلك أن أول ما يواجهه المهاجر هو عدم تلاؤم ثقافته الأصلية -بالمعنى الأنثربولوجي للمفهوم – و النسق القيمي والثقافي لمجتمع الاستقبال، خاصة إذا كانت تلك القيم تسود في إطار المجتمعات التقليدية المحافظة التي لها تقسيم اجتماعي بسيط للعمل، لأنه إذا كان الأمر كذلك فلا يمكن في كل الأحوال أن تتلاءم مع قيم المجتمعات المعاصرة التي تعيش مرحلة ما بعد الحداثة. فبخصوص الإضطراب الأول له أبعاد أنطولوجية تتمثل في النزعة نحو الحفاظ على الثقافة الأصلية والتشبث بها، أمّا الثاني فله أبعاد براغماتية تتمثل في محاولة التكيف مع المجتمع الجديد (Amin, 2012, p. 104). لذلك يجد الفرد نفسه أمام ضرورة السعي إلى تحقيق نوع من التماسك بين الوظيفة الأنطولوجية للهوية (الحفاظ على الهوية الأصلية) والوظيفة البراغماتية (التي تستدعي ضرورة

التكيف مع البيئة الجديدة) (Camilleri, Stratégies Identitaires, 1990). لكي يحقق الفاعل-المهاجر هذا التماسك فإنه يلتجأ إلى ثلاث أنواع من الإستراتيجيات الهوياتية على الأقل (Camilleri, 1989; Amin, 2012, p. 104; Camilleri, 1990) :

*إستراتيجيات تفادي الصراعات الهوياتية من خلال تحقيق تماسك بسيط؛

**إستراتيجيات تجاوز الصراعات الهوياتية من خلال تحقيق تماسك مركب ؛

*** إستراتيجيات ضبط الصراعات.

بخصوص عملية تحقيق التماسك البسيط ترتبط إلى حد بعيد بتغير المواقع والأوضاع الاجتماعية لدى المهاجر ، كما أنه يتآثر بقلقه الأنطولوجي ، لذلك يستثمر في النسق الاجتماعي الأصلي ؛ أما بخصوص "التماسك المركب" فإنه يتأثر بالمخاوف الأنطولوجية والبرغماتية في نفس الآن، والمهاجر يحاول أن يمزج بينها ، ولعل الجدول أسفله أكثر توضيحا لكل ما تم التطرق إليه أعلاه .

جدول توضيحي لصنافة "كاميلري" حول الاستراتيجيات الهوياتية (Dasen & Ogay, 2000)

<table dir="rtl">
<tr><th colspan="4">الفرد في وضعية هجرة وتثاقف: مواجهة وضعية اللاتقدير والاستبعاد الاجتماعي</th></tr>
<tr><th colspan="2">إستراتيجيات من أجل استعادة الشعور بقيمة الأنا</th><th colspan="2">إستراتيجيات من أجل استعادة وحدة المعنى (التماسك بين الوظيفة الأنطولوجية والوظيفة البرغماتية)</th></tr>
<tr><td rowspan="2">الهويات المستقلة</td><td><u>الهوية السلبية:</u>
إستدماج الأحكام اللاتقديرية</td><td rowspan="2">التماسك البسيط</td><td><u>تعزيز الوظيفة الأنطولوجية:</u>
(الاستثمار في النسق الأصلي الأساسي ذو الطابع المحافظ)</td></tr>
<tr><td><u>الهوية السلبية المستبعدة:</u>
التخلص من الهوية السلبية من قِبل الذات الفاعلة عن طريق ربطها بأعضاء ينتمون إلى نفس الجماعة التي تنتمي إليها.</td><td><u>تقدير الوظيفة البرغماتية مع الحفاظ على الحد الأدنى من الوظيفة الأنطولوجية:</u>
(التناوب الظرفي للمرجعيات)
(براغماتية نسبية)</td></tr>
</table>

	الهوية من خلال التمايز: **الوعي بالذات وبفرديتها بدون إستدماج اللاتقدير وتجاوزه من خلال إقامة المسافة مع الآخرين.**		**تعزيز الوظيفة البرغماتية:** **الاستثمار في النسق الاجتماعي لمجتمع الاستقبال.** **(الأولوية لإرادة التكيف والتأقلم)** **(براغماتية مطلقة)**
الهويات الإستجابية	**هوية دفاعية:** **الهوية كاستعداد، كدرع لحماية الآخرين**	**التماسك المركب**	**التعديلات الهوياتية:** **تجاوز التناقضات والمفارقات من أجل الأنا، وليس في الأنا.** **منطق فعلاني وليس عقلاني.**
	هوية جدالية: **التأكيد على الخصائص الهوياتية الموصومة كرد فعل عدواني ضد الغير (المهيمن)**		**المنطق العقلاني:** **إعادة التملك، الربط العضوي بين الأضداد.**
	الهوية المبدئية: **سلوكات متناقضة مع متطلبات الانتماء إلى الجماعة الأصلية عن طريق عدم تجسيد تلك القيم في السلوكات.**		**الاستراتيجيات الإشكالية التي لا تسمح بتجاوز الصراع:** **ترجيح فارقي للقيم المتعارضة**

II): الهجرة والهوية الدينية لدى المهاجرين الأفارقة في المجتمع المغربي:

قبل الحديث عن الرابط الديني لدى المهاجرين الأفارقة في المجتمع المغربي ، لا بد من الوقوف إلى المجتمع المغربي الذي يطرح مجموعة من الإشكالات بخصوص طبيعته . هل طبيعته يمكن إختزالها في أنه مجتمع مركب ؟ أم في أنه مجتمع تقليدي ؟ أم في أنه هجين تتسم بنياته بإزدواجية ثقافية بين التقليد والحداثة ؟

بالعودة إلى سيرورته التاريخية-الحضارية ، وإلى الواقع الاجتماعي المعيش ، والذي يجسده الأفراد في تفاعلاتهم الاجتماعية بينهم أو بينهم وبين المهاجرين ، يتبين أن الأساس الذي يقوم عليه هو الإنتماء الديني والقبلي والإثني ، ومثل هذه النزوعات الإنتمائية الأولية تحيلنا إلى مفهوم المركزية الإثنية ، الذي يعد مفهوما أساسيا في أي محاولة لفهم الأقليات في علاقة بالمجتمع المهيمن . فما هي الأسس التي يقوم عليها هذا المفهوم ؟ . إن المركزية الإثنية هي نزوع مجموعة بشرية ما إلى اعتبار نفسها مجموعة مرجعية لسائر المجموعات البشرية ، ويغطي هذا المفهوم أربعة ظواهر أساسية :

- شعور صريح أو مضمر بالتفوق، قد يتخذ شكل غطرسة وإزدراء للآخر ؛
- مقولات وتعابير ومرجعيات لفهم العالم والحكم عليه إنطلاقا من التجربة التاريخية الذاتية والإطار الثقافي والقومي الخاص؛
- سلوك عملي ينطلق من معيار أن ما يصلح للذات لا بد حتما من أن يصلح للآخر؛
- إزدواجية إنغلاقية-إنفتاحية، فالتثمين المبالغ فيه للتجربة التاريخية الذاتية قد يجنح إلى الدعوة لصيانتها من عدوى الخارج، كما قد يجنح على العكس، إلى اعتبارها قاعدة ينبغي تعميمها ونشرها على مستوى العالم أجمع (Mélandari & Ricard, 2003)

يشكل الرابط الديني لدى المهاجر الافريقي ، رابطا أساسيا في نسق الروابط الاجتماعية لديه. والذي قد يتآثر بتجربته في الهجرة ، الشيء الذي يساهم في إعادة بناء هويته الدينية . إن أغلب المهاجرين الأفارقة الوافدين على المجتمع المغربي مسلمين، في حين تمثل الأقلية منهم الديانة المسيحية، ويظلون متشبثين بالهوية الدينية الأصلية (الإسلام) على مستوى التمثلات الدينية، والتي يستعينون بها في خطاباتهم حول التجربة الهجروية وكذا أوضاعهم الاجتماعية الهشة المعاشة من داخل بلدان العبور، غير أن هذا لا يعني -بشكل من الأشكال- عدم تغير علاقتهم مع الدين بفعل مشاريعهم الهجروية، بل كل ما يعنيه الأمر هو أن المهاجرين الأفارقة قد تتأثر علاقتهم مع الدين على مستوى الممارسة في حين يمكن أن يحافظوا عليها على مستوى نسق التمثلات الاجتماعية الدينية. يشترك المهاجرين الأفارقة مع المغاربة الهوية الدينية: الإسلام. والتي يتم إستثمارها في مجموعة من الممارسات والوضعيات الاجتماعية التفاعلية. فعلى أساسها تتمحور العلاقات مع المغاربة - بإعتبارهم جماعة الأغلبية- ومع مختلف الفاعلين الآخرين، وهنا من الضروري التمييز بين مسألة التمثلات الدينية التي يتبناها الفاعل، وممارسته الدينية في الواقع، ذلك أن هناك مجموعة من الفاعلين الذين يعتبرون أنه تغيرت علاقتهم مع الدين منذ إنطلاقهم في "المغامرة" ، في حين نجد فئة أخرى تواجه صعوبات اجتماعية وإثنية لأداء نفس الشعائر الدينية التي تمارسها الأغلبية.

إن الفاعلين يتخذون من الإسلام كديانة أصلية لأسباب اجتماعية محضة، لأنهم خضعوا في إطار مجتمعاتهم الأصلية لمجموعة من عمليات الضبط الاجتماعي خاصة مع يتعلق بالتربية والتطبيع الاجتماعي، فمن خلال هذه الأخيرة يكتسب الفرد مجموعة من التمثلات الدينية حول الذات الإلهية وكيفية نشأة الكون والإنسان

ومصيرهما. كما تجدر الإشارة إلى أن المهارجين الأفارقة يتخذون من الوضعية الاجتماعية الهشة مبرراً لعدم إلتزامهم بالواجبات الدينية والتي يعتبرونها إلزامية. وهذا يكشف -من بين ما يكشفه- الفجوة القائمة بين التمثلات الدينية من جهة، والممارسات الدينية من جهة أخرى. كما يكشف وجود صعوبات ذات طابع عرقي واجتماعي في آداء الشعائر الدينية من قبل الفاعلين وبكل حرية وفي إطار الإختلاف

تشكل الوضعيات الاجتماعية التفاعلية مصدرا لصدور مجموعة من الأفعال البين-جماعية والتي تفرز تقسيمات اجتماعية وعناصر الإختلاف بين الجماعات. فعندما يطلب الفرد المغربي من المهاجر الإفريقي تصريحا بهويته الدينية، فإنه بذلك يريد معرفة درجة الفروق بين جماعته والتي تمثل الأغلبية وجماعة الآخر التي تمثل أقلية، وتتدخل المتغيرات اللغوية والإثنية والقومية بحدة في هذا الإطار ، وهي التي تحدد مصير العلاقات التي يمكن أن تربط بين المهاجرين وبين المواطنين. تجدر الإشارة في هذا المنحى إلى أنّه من خلال هذه الوضعيات يقوم الفاعل بإعادة بناء هويته الدينية، مبلورا لذلك مجموعة من الاستراتيجيات قصد ضمان التكيف الاجتماعي في أفق إنجاح المشروع الهجروي، الذي فرض على الفاعل مثل هذه الوضعيات الاجتماعية والتي يحتل فيها مركزا دونيا لأبعاد ترتبط بهويته الأصلية ولتجربته وهويته. وفي نفس هذا المنحى ، لابد من التأكيد على أن هناك مجموعة من المهاجرين الأفارقة المسيحيين الذين يواجهون صعوبات في ممارسة شعائرهم الدينية المسيحية لأسباب اجتماعية، لذلك يلجؤون إلى ممارسة الشعائر الإسلامية قصد التكيف مع المجتمع المغربي وإنجاح المشروع الهجروي.

يتبين إذن أنّ المهاجر فاعل، ويبلور إزاء الوضعيات التي تتحكم فيها الرهانات الهوياتية مجموعة من الاستراتيجيات ذات الطابع الهوياتي، فهو يعيش في إطار مفارقات أنطولوجية وبراغماتية (Camilleri, Stratégies Identitaires, 1990) ويجد نفسه أمام رهانين: الأول هو السعي إلى تحقيق المشروع الهجروي، والثاني هو الحفاظ على الهوية الأصلية بدون الدخول في صراعات مباشرة مع الجماعة التي تمثل الأغلبية. فلكي يحقق كل هذا يستخدم الاستراتيجيات الهوياتية، التي تمكن كما يقول "كلود دوبار" من القضاء على الفجوة القائمة بين الهوية المطلوبة والهوية الحقيقية (Dubar, 1991) ، ولعلّ ما يعكس هذا هو تشبث الفاعل بديانته الأصلية -على مستوى التمثل الديني-، والتخلي عنها -على مستوى الممارسة-، من خلال ممارسة العقائد الإسلامية، في مجتمع تسود فيه أغلبية مسلمة، واستجابات هوياتية تنهل من الموروث الديني بالدرجة الأولى.

III) : دور الدين في سيرورة الإندماج الإجتماعي للمهاجرين :

بالعودة إلى الأدبيات في سوسيولوجيا الهجرة، يظهر أن هناك مقاربتين أساسيتين في سياسة الإدماج الاجتماعي للمهاجرين وطالبي اللجوء . الأولى تتخذ من التعدد الثقافي منطلقًا لها في رسم برامج وسياسات تحترم الإثنيات المختلفة والأديان المتعددة، وتقر لها بحقها في التعبير عن ذاتها، بل توفر لها من الإمكانات العمومية ما يجعلها تمارس حقوقَها الثقافية والدينية واللغوية وغيرها، بكل حرية ومساواة مع المواطنين

الأصليين. وهذه المقاربة نجدها في الدول ذات التقاليد الأنجلوساكسونية .بينما المقاربة الثانية، تنهل من القيم الكونية والموحدة على الجميع، وهذه المقاربة تنحو نحو تنميط السلوكات والمواقف والاتجاهات في بوتقة واحدة وموحدة، على اعتبار أننا نعيش في فضاء اجتماعي واحد، وأن الذي يحكمها هي قيم مواطناتية عامة، تحت شعار "الوطن للجميع" (جرموني، 2020) وتعتبر فرنسا حالة نموذجية لهذه المقاربة الثانية ، ونظراً لطبيعة العلاقات التي تجمع المغرب بفرنسا ، والتي يمكن إعتبارها علاقة سيطرة (استعمار) في المرحلة الكولونيالية (1912-1956)، وعلاقات تبعية (من 1956 - ...) ، فإننا نجد المغرب الذي يعرف في الوقت المعاصر تدفقات هجروية لمجموعة من المهاجرين وطالبي اللجوء، يحاول تبني هذه المقاربة الثانية (التعددية الدينية والثقافية)، وهو التبني الذي ظهر بشكل جلي في دستور 2011 ، الذي ينص في تصديره على أنّ "المملكة المغربية دولة إسلامية ذات سيادة كاملة، متشبثة بوحدتها الوطنية والترابية، وبصيانة تلاحم مقومات هويتها الوطنية، الموحدة بانصهار كل مكوناتها، العربية الإسلامية، والأمازيغية، والصحراوية الحسانية، والغنية بروافدها الأفريقية والأندلسية والعبرية والمتوسطية... كما أن الهوية المغربية تتميز بتبوئ الدين الإسلامي مكانة الصدارة فيها، وذلك في ظل تشبث الشعب المغربي بقيم الانفتاح والاعتدال والتسامح والحوار، والتفاهم المتبادل بين الثقافات والحضارات الإنسانية جمعاء" (المملكة المغربية، 2011). ولعلّ هذا التوجه، يتوافق والتطورات الدولية التي تمس كل الأمم والشعوب عبر العالم ، حيث أن عالمنا الراهن أصبح يعرف مجموعة من التدفقات الهجروية وتصاعد واضح للتعددية الدينية والثقافية، الشيء الذي دفع إنتباه الباحثين والسياسيين إلى الدين ، وبالأخص العلاقة الممكنة بين الهجرة والدين، ودور الانتماءات الدينية في سيرورة الإندماج الاجتماعي للمهاجرين (Ministre délégué chargée de la communauté marocain, 5-6 décembre 2005, pp. 11-12) فالمهاجرين يمكن أن يظهروا وأن يعبروا عن القيم والممارسات الدينية الأكثر حداثة في المجتمعات الأصلية، وعن القيم والممارسات الأكثر تقليدية في المجتمعات المضيفة (5-6 décembre 2005, pp. 11-12) وهذا إن كان يعبر عن شيء فإنه سيعبر على طبيعة الاستراتيجيات الهوياتية والدينية المعقدة التي يلجأ إليها المهاجرين في المجتمعات المستقبلة التي تسود فيها معتقدات دينية مختلفة عن الهويات الدينية الأصلية ، كما يعبر عن ردود الأفعال السيكو-سوسيولوجية التي يصدرها المهاجرين وطالبي اللجوء في حالة شعورهم بعدم إحترام التعددية الدينية والثقافية من قبل البلد المستقبل، أو شعورهم بعدم القبول الاجتماعي من قبل أفراد المجتمع المضيف .

تأسيسا على ذلك، يمكن التأكيد على أن الدين يلعب أدوراً جوهرية في سيرورة الإندماج الاجتماعي والثقافي للمهاجرين الأفارقة في المجتمع المغربي، لأنه متغير مركزي في تقديم وتعريف الذات من جهة ، وفي التفاعل الاجتماعي وسيرورة بناء العلاقات الاجتماعية والبين-جماعية مع المجتمع المستقبل ، لذلك فإن أي إستراتيجية لإدماج المهاجرين الأفارقة بالمغرب، تستدعي ليس الاعتراف قانونيا وسياسيا بالحريات الدينية وبالتعددية الدينية والثقافية وحسب وإنما تمتيع المعنيين بالحقوق الدينية بما في ذلك حرية تأسيس

المؤسسات الدينية قصد ممارسة شعائرهم الدينية ، وفي ذلك إعترافا بحقوقهم الكونية من جهة ، وأجرأةً لمفهوم التعددية الدينية والثقافية على أرض الواقع ، وتأسيسا لمناخ إجتماعي وثقافي متسامح ضامنا للتفاعل الديني والحضاري بالمعاني الواسعة للمفاهيم المذكورة .

خاتمة:

تأسيسا على ما سبق يمكن التأكيد على تآثر ملحوظ لرابط الدين لدى المهاجرين الأفارقة بالمغرب، وذلك بفعل التجارب الهجروية والوضعيات الاجتماعية الهشة المعاشة في بلد الاستقبال. فتشبث الفاعلين بالهوية الدينية الأصلية، أو ممارسة الشعائر الدينية، أو تقديم تفسيرات للأوضاع الهجروية وآفاق مشاريعهم الهجروية من منطلقات دينية كلها إستراتيجيات هوياتية يعتمدها الفاعلين في إعادة بناء هويتهم الاجتماعية وتحقيق التماسكات الهوياتية الضرورية ، اللذان يشكلان الظروف الموضوعية لإنجاح مشاريعهم الهجروية. لذلك فإن بناء مغرب التعددية الثقافية والدينية رهين إلى حد بعيد بمدى مراعاة المتغير الديني والثقافي في السياسات العمومية المستهدفة للمهاجرين واللاجئين .

ببليوغرافيا

-Amin, A. (2012). Stratégies identitaires et stratégies d'acculturation: deux modèles complémentaires. Alterstice, 2(2), 103-116.

-Barbier, J.-M. (1996). De la notion d'identité en recherche notamment dans le domaine de formation. Education Permanente(128), 11-26.

-Camilleri, C. (1989). La Culture et l'identité: champ notionnel et devenir. Dans C. --Camilleri, & M. Cohen-Emerique, Choc de cultures: concepts et enjeux pratiques de l'interculturel (pp. 21-73). Paris: l'Harmathan.

- Camilleri, C. (1990). Identité et gestion de la disparité culturelle: Essai d'une typologie. Dans C. Camilleri, J. Kastersztein, E. Lipiansky, H. Malewska-Peyre, I. Taboada-léonetti, & A. Vasquez, Stratégies Identitaires (pp. 85-110). Paris: P.U.F.

- Camilleri, C. (1990). Stratégies Identitaires. Paris: Presses Universitaires de France.

- Dasen, P., & Ogay, T. (2000). Pertinence d'une approche comparative pour la théorie des stratégies identitaires. Dans J. Costa-Lascoux, M.-A. Hily, & G. Vermès, Pluralité des cultures et dynamiques identitaires: hommage à Carmel Camilleri (pp. 55-80). Paris: l'Harmathan.

- De Gaulejac, V., & Taboada-Leonnetti, I. (1994). La lutte des places. Paris: Desclée de Brouwer.

- Dubar, C. (1991). la Socialisation: Contruction des identités sociales et professionnelles. Paris: Armand Colin.

- Erikson, E. (1972). Adolescence et crise, la quete de l'identité. Paris: Flammarion.

- Gutnik, F. (2002). "Stratégie identitaires"."Dynamiques identitaires". Recherche-Formation(41), 119-130.

- Laing, R. (1993). le moi divisé. Paris: Stock.

- Lapeyronnie, D. (1997). « Les deux figures de l'immigré ». Dans W. Michel, Une société fragmentée ? Le multiculturalisme en débat. paris: la Découverte.

- Lipiansky, E. (1990). Identité subjective et interaction. Dans C. Camilleri, "Stratégies identitaires". Paris: Presses Universitaires de France.

- Malewska Peyre, M. (1987). la notion d'identité et les stratégies identitaires. les amis de Sèvers(1), 83-93.

- Malonga, M.-F. (2007). les stratégies identitaires des minorités noires face à la télévision française. Dans M. Tristan, Médias, migrations et cultures transnationales (pp. 58-71). De Boeck Supérieur.
- Marti, P. (2008). Identité et Stratégies identitaires. EMPAN, 3(71), 56-59.
- Mélandari, P., & Ricard, S. (2003). Ethnocentrisme et Diplomatie: L'Amérique et le monde au XX siecle . Paris: l 'Harmattan.
- Ministre délégué chargée de la communauté marocain, R. (5-6 décembre 2005). Rapport final de la conférence: migrations et faits religieux à l'ère de la mondialisation. Rabat: International Organisation for Migration IOM.
- Taboada-Leonetti, I. (1990). Stratégies identitaires et minorités. Dans C. Camilleri, Stratégies identitaires. Paris: Presses Universitaires de France.
المملكة المغربية. (2011). دستور المملكة المغربية . الرباط: الجريدة الرسمية.
رشيد جرموني. (13 4، 2020). الدين والهجرة : تحديات ورهانات. تم الاسترداد من مركز نهوض للدراسات والأبحاث: https://nohoudh-center.com/articles.

المحتـــــــويات

ت	المؤلف	عنوان البحث	الصفحة
1	الدكتورعبدالمجيد النوري	المؤرخ وتوقع أمورالمستقبل ، محاولة في التنظيروإعادة البعث والتأصيل في ضوء تجارب الأمم، ووقائع العمران البشري	9
2	د. محمد اليوبي/كلية الشريعة/جامعة سيدي محمد بن عبدالله	الأصول الفقهية والاجتهادية لشروط وقواعد التعارض و الترجيح بين الحجج والبينات في التشريع المغربي.	47
3	الباحث/ م. عدنان فضل الهندي الباحثة/ جمالات عبد الحميد الشاعر	مستقبل الأسرى الفلسطينيين في ظل التطورات الإقليمية والدولية بين عامي 2011-2020	70
4	سفيان البوخاري/ جامعة إبن طفيل ـ القنيطرة ـالمغرب	الظروف العامة لحملة القائد القرطاجي حنبعل على روما	107
5	اد. تيسير جدوع علوش/ الجامعة العر اقية	الدراسات التاريخية و اثرها في ترسيخ التراث و الهوية الوطنية	125
6	دعبد الحق البكوري جامعة محمد الاول وجدة د .لحسن أوري جامعة سدي محمد بن عبد الله الباحث ياسين بوجدايني	البعد الديني و أثره على المجتمع: مقاربة سوسيولوجة. المهاجرين أنموذجا	137